هاجس ثقافي مبكر

> رئيس التحرير

بقدر سعادتنا باستئناف صدور مجلة الجوبة، ابتداء من عددها الرابع عشر، بقدر ما أثلجت صدورنا تلك الحفاوة التي قوبل بها هذا الصدور، من مختلف الأوساط الثقافية والإعلامية محلياً وعربياً. فقد حظيت المجلة بأوسع تغطية لصدورها، وكان لها شرف أن تحظى باهتمام بعض المبدعين الذين وصلت إليهم، إضافة إلى عشرات المطبوعات الثقافية والصحفية ومواقع الانترنت الأدبية من المحيط إلى الخليج، ما يضيف إلى مسؤولياتنا مهمة شاقة، وهي أن نسعى للحفاظ على ثقة محبينا من مبدعين وقراء. لم تكن رعشة، ولا إحساساً مفاجئاً بالدهشة، فحسب بل معان أخرى تلك التي احتلتني، وأنا أراقب الرسائل التي بدأت تصل إلى المجلة عقب توزيعها من أطياف مختلفة حلّقت في فضاءات الجوبة.

وإذ يتضمن هذا العدد مساحة مناسبة للمواد الإبداعية: قصة، وشعراً، ونثراً، ونقداً؛ وإذ تتشرف الجوبة أن تقدم لقرائها وجبة متنوعة من الكتابات، التي تمثل أطيافاً متعددة من كتّاب ومثقفي المملكة والعالم العربي، تجد الجوبة أنه من الوفاء الحديث عن مؤسسها، ومؤسس مؤسسة عبدالرحمن بن أحمد السديري الخيرية، وأمير منطقة الجوف الأسبق معالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، رحمه الله؛ إذ توثّق الجوبة بعضاً من صفحات سيرته، رحمه الله، بمناسبة رحيله عن دنيانا الفانية، بعد حياة حافلة بالعطاء. وإن مجلة الجوبة إذ تخصص هذا الملف للمؤسس الراحل، فإنها تقوم بهذا العمل إيماناً منها بالدور الوطني الكبير، الذي أسداه الراحل الكبير لوطنه من خلال وجوده على رأس منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية العزيزة، التي حقق فيها بعضاً من طموحه في سبيل الارتقاء بها وتنميتها.

إن سيرة الأمير الراحل تستحق أن تدرس، لأنها تمثل مرحلة زمنية عبّر فيها، خلال مراحل كثيرة، عن تقدّمه على عصره بفكره ومشاريعه، التي تأتي في مقدمتها «مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية»، وهي على أي حال سيرة رجل، امتزجت حياته الشخصية امتزاجاً كاملاً بالحياة العامة؛ نتيجة قُرْبِهِ من أهالي المنطقة، وزيارته لكل بيت فيها.

وإذا كان عبدالرحمن السديري قد رحل عنا بحضوره، فإنه بلا شك قد نحت له وشماً في سجل الخالدين، من خلال مؤسسته الثقافية العملاقة التي يتمنى كثير من أهالي المناطق وجود نظير لها في مناطقهم، لما تقوم به هذه المؤسسة من جهود ثقافية. وصلت أصداؤها إلى مختلف البلدان.

إن مؤسسة عبدالرحمن السديري ليست مجرد كيان خيري، يتوقف على دور معين تقوم به كثير من المؤسسات الأخرى، بل تعدى دورها إلى الاعتناء بالإنسان، والإسهام في بناء ثقافته من خلال الأدوار التي تقوم بها، ببرامجها الثقافية المميزة ومكتبتها الرائدة؛ لذا فقد أضفت هذه المؤسسة نكهة ثقافية على مدينة تاريخية موغلة في أعماق التاريخ، وإذا كانت كثير من المشروعات الثقافية التي تقام بالنيات الحسنة، تتكسر على صخرة التمويل والإدارة، على المدى البعيد؛ فإن ثاقب بصيرة الأمير عبدالرحمن السديري، قد بادرت إلى تبني عدد من المشروعات الاستثمارية، التي يعود ريعها على المؤسسة لتمكينها من أداء عملها، وفقاً لما خطط له مؤسسها دون انتظار لمعونة، أو مساعدات، تأتي وقد لا تأتي، ما مكّن هذه المؤسسة أن تجتاز عقدين من الزمان، بكل تقدم وازدهار في برامجها الثقافية والعلمية، بحمد الله.

كما أن خطة النشاط الثقافي التي تبنتها المؤسسة، بدءاً من سلسلة المحاضرات والندوات التي تقيمها، وليس انتهاء بالمعارض التشكيلية، والندوات العلمية، والتظاهرات الثقافية، لهي أبلغ تأكيد على دور المؤسسة الحضاري الكبير، الذي أغلق باباً مشرعاً من الفراغ الثقافي، لم يكن ليغلق لو لم تتوفر هذه المؤسسة الثقافية الرائدة. كما أن اشراك نخبة من أبناء المنطقة في نشاطات المؤسسة والاستعانة بخبراتهم، كان له أبلغ الأثر في تكوين أجيال من الشباب المنظّم، القادر على إدارة مختلف النشاطات الوطنية، وخير مثال على ذلك ما كان يقوم به أسبوع الجوف، بوصفه أبرز نشاط ثقافي شهدته المنطقة في تاريخها، من خلال دوره في التعريف بتراث المنطقة وثقافتها، وبمثقفي المنطقة والمملكة.

ولا ننسى للمؤسس مبادراته المبكّرة للتكوين الثقافي وإقامة المهرجانات في مرحلة مبكرة، مقارنة بما شهدته بقية مناطق المملكة، ومنها بناء المكتبة العامة، التي كانت نواة لمكتبة دار الجوف للعلوم، وتنظيم سباقات الهجن السنوية ومعارض المنسوجات، في ستينيات القرن الفائت، إضافة إلى برامج تشجيع التفوق العلمي، من خلال جائزة التفوق العلمي، التي كان لها الأثر الأكبر في تشجيع الطلاب وتحفيزهم على التفوق، والتي وصلت اليوم إلى ابتعاث عدد من الطلاب المتفوقين إلى الولايات المتحده وغيرها.

لقد امتزجت سيرة عبدالرحمن السديري بمسيرة الوطن منذ تأسيسه، فقد عاصر المراحل الكبرى لتوحيد المملكة وتوطيد أركانها، وعاصر فترات واجهت الدولة فيها عواصف شتى من حروب إقليمية، ومحاولات بعض الدول الخارجية التأثير على الداخل بالدعاية، إضافة إلى تفاعله مع قضايا أمته العربية والإسلامية، ويتضح هذا من بعض أشعاره التي تؤكد حسه العروبي الإسلامي المتفاعل مع محيطه.

إن مسيرة الأمير عبدالرحمن السديري، تختصر المسافة التي يمثلها رجل آمن بالوطن والتنمية؛ فأصبح جزءاً من هذا الوطن ليحكي سيرته للأجيال. وإننا لا يمكننا الحديث عن عبدالرحمن السديري الا كشخصية كان هاجسها الثقافي مبكراً، وخاصة عندما نتقصى الظرفين الزماني والمكاني؛ ففي حين كانت مشروعات توطين البادية ومحو الأمية طابع تلك المرحلة نجد أن معاليه، رحمه الله، كان كمن يستدرج المستقبل إلى تخوم الحاضر؛ فنواة هذه المؤسسة كما لا يعرف ذلك إلا القليلون، بدأت في الثمانينيات الهجرية (الستينات الميلادية)، من خلال مكتبة دار الجوف للعلوم، التي أصبحت اليوم منارة فكرية كبيرة، يُشار إليها على مستوى الوطن، تعد الجوبة إحدى ثمراتها، التي تمتد إلى مختلف النشاطات الفكرية والمنبرية والعلمية والثقافية، إضافة إلى مشروعها الرائد «برنامج النشر ودعم الأبحاث».

صفحات من سيرة

الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري



أمير منطقة الجوف السابق

ومؤسس مؤسسة

عبدالرحمن السديري الخيرية

عبد الرحمن بن أحمد السديري.. ولد في الغاط سنة ١٣٣٨هـ، وتلقى تعليمه على يد الشيخ عبدالمحسن بن عبدالعزيز بن منيع، ومن بعده الشيخ سلمان بن عبدالله بن إسماعيل، ونشأ في غمرة أحداث بناء الدولة السعودية على يد موحدها الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله. تولى إمارة منطقة الجوف في الخامس من رمضان لعام ١٣٦٢هـ، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، واستمر في هذا المنصب إلى أن تقاعد في ١٤١٠/٠٧/٠١هـ. وفي أثناء فترة إمارته في الجوف، قام بتمثيل حكومة المملكة العربية السعودية في اللجان التي شكّلت لمعالجة مسائل الحدود، ومشاكل القبائل السعودية والعراقية، وذلك فيما بين ١٣٦٨/٠٧/٠٥هـ و١٣٧٥/١١/١٢هـ. كما تولى إدارة مفتشية الحدود الغربية، وإمارة القريات بالوكالة.



يتحدث الذين عرفوا الأمير عبدالرحمن السديري وعملوا معه عن حنكته وتواضعه وحلمه، وعن فعالية أسلوبه في معالجته للأمور العامة، وتفانيه في سبيلها، وعن نذره كل وقته للعمل، وفتحه أبواب مكتبه ومجلسه للمواطن والمقيم، دائماً دون قيود؛ كما يتحدثون عن نهجه في كسب القلوب والعقول، بالحكمة واحترام الإنسان، والمحافظة على حقوقه أياً كان. ويصف هذا الحال: الدكتور أحمد اللهيب خلال تعليق له على ديوان «القصائد»، الذي ضم بعض أشعار الأمير فقال: «المهم الذي لم أقرأه حسب إطلاعي المحدود في الشعر الشعبي، إلا لهذا الأمير، هو ما يتعلق بالناحيتين السياسية والاجتماعية، بين الأمير ورعيته، فهو يشكو ألم فراق الجوف وأهله، إذا سافر عنهم، ويرسل لهم القصائد العاطفية، كأنه يرسلها لأبنائه، ولا يخص أحداً دون أحد، ويجيبونه بالمثل: فأهل الجوف في مساجلات شعرية ودية مع أميرهم، في حين أن كثيراً غيرهم مشغولون بالمساجلات الخلافية. والحق يقال، أن هذه الناحية السياسية الهامة فريدة جداً، وهي صفة فعّالة وناجحة، استطاع الأمير من خلالها أن ينتقل من قصر الإمارة ولغتها إلى عطف الأبوة وشفقتها، والمجتمعات في أزمة من هذا النوع».

عُرف الأمير عبدالرحمن السديري بحبه للعلم، والزراعة، والرياضة، واهتمامه بتراث المنطقة، إلى جانب اهتمامه بنهضتها ورقيها. وتعكس مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، التي صدر بها الأمر الملكي الكريم رقم أ/٤٤٢ وتاريخ ١٤٠٣/٠٩/٠٩هـ الأهمية التي يوليها الأمير لنشر الثقافة والعلم في منطقة الجوف. فقد كان الغرض الأساسي من تكوين مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، هو تولي إدارة وتمويل مكتبة «دار الجوف للعلوم»، التي كان الأمير المؤسس قد وضع لبناتها الأولى سنة ١٣٨٣هـ، وسعى لأن تكون بمجموعتيها العامة والخاصة مركزاً للدراسة والبحث والنشر، تسهم في بث الثقافة في منطقة الجوف، ونشر الدراسات المتعلقة بها، وحفظ تراثها الأدبي والأثري. وقد حرص الأمير، على أن تكون الدار مكونة من مكتبتين متماثلتين، مكتبة عامة للرجال، وأخرى عامة للنساء، هي أول مكتبة نسائية عامة في المملكة العربية السعودية.

وفي مجال التعليم، عُني الأمير بمتابعته افتتاح المدارس في منطقة الجوف، وحث المواطنين، سواء كانوا من أهل الحاضرة، أو من أهل البادية، على إلحاق أبنائهم وبناتهم في هذه المدارس، ومتابعة تحصيلهم العلمي فيها. وفي سبيل مساعدة أولياء الأمور على تقَبل تعليم البنات وتفهَمهم له، حث معاليه كريماته على العمل في أول مدرسة للبنات، افتتحت في الجوف، وبادر في لقاءاته مع المواطنين بالحديث عن فائدة تعليم البنات، والتأكيد على أهميته، ما كان له أثره في تلك المرحلة المبكرة من مسيرة التعليم في المنطقة.

كما حرص الأمير على تشجيع أهل البادية على الاستيطان، وشارك في اقتراح المشاريع التي تسهم في تحقيق هذا الهدف، ومن ذلك على سبيل المثال: مشروع توطين البادية في وادي السرحان، إدراكاً منه لأهمية تحضَر أهل البادية، وتمكَينهم من تعليم أبنائهم وبناتهم، وتحَولهم إلى مصالح وأعمال توفر قدراً أكبر من استقرار الحال ورغد العيش.

ويعكس وعي الأمير بهذا الجانب واهتمامه به مسابقة المزارعين التي بدأها عام ١٣٨٥هـ، وتخصيصها في باديء الأمر لحديثي الاستيطان من



أهل البادية، ثم عممها لتشمل كل مزارعي المنطقة، وأرادها أن تكون من خلال الجوائز والمعلومات التي تقدم فيها، وسيلة لتعريف المستفيدين من المسابقة بوسائل الزراعة الحديثة وتقنياتها المتجددة، وتعد مسابقة المزارعين بالجوف، أول برنامج منظم للمسابقات الزراعية بالمملكة.

كما بدأ الأمير منذ ١٣٨٥هـ بتنظيم سباق الهجن بالمنطقة، كان هدفه الأول منه جمع أهل المنطقة في هذه المناسبة للجلوس معهم، والاستماع إليهم، ومعالجة بعض الظواهر التي تؤثر فيهم، والمسائل التي تهمهم، وخلق جواً من التآلف والتعارف يسمح بتنامي العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بينهم، إضافة إلى تشجيع أبناء المنطقة على الاحتفاظ بسلالات الهجن الأصيلة، التي يملكونها، والمحافظة على هذه الرياضة العربية القديمة، التي يحبونها. ويعد سباق الهجن، أول سباق منظم للهجن يقام في المملكة. ويرافق هذا السباق إقامة معرض للسجاد والمنسوجات، التي تصنعها أيدي نساء بادية المنطقة، استهدف منه الأمير التعريف بهذه الصناعة المحلية، ودعم المهمتين بصناعتها من خلال الجوائز التي توزع فيها، وسوق البيع المصاحب لها. وقد أسهمت المعارض العديدة، التي أقيمت لهذا الغرض، في استمرارية هذه الصناعة التراثية المميزة وتطورها.

والأمير عبدالرحمن السديري، شاعر مرهف، يحب الأدب والتاريخ والتراث، ويعشق الفروسية بكل معانيها. صدر له «ديوان القصائد» مطبوعاً ومسجلاً. كما صدر له كتاب عن تاريخ منطقة الجوف، هو كتاب «الجوف وادي النفاخ»، وجرت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية. وقد خصص الأمير ريع هذه الكتب لصالح مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، فيما تنفذه المؤسسة من أعمال خيرية بالمنطقة.

وقد نعى الديوان الملكي معالي الأمير عبدالرحمن السديري رحمه الله بالبيان التالي:

بيان من الديوان الملكي / انتقل إلى رحمة الله تعالى فجر هذا اليوم الأحد ٢٦ صفر ١٤٢٧هـ (الموافق ٢٦ مارس ٢٠٠٦م) معالي الامير عبدالرحمن بن أحمد بن محمد السديري، خال خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، رحمه الله، وأمير منطقة الجوف سابقاً، بعد مرض عضال. وسوف يصلى على جثمان معاليه عصر هذا اليوم فى جامع الإمام تركى في الرياض ثم يدفن في الغاط. والفقيد، رحمه الله، عمل مدة طويلة فى خدمة دينه وبلاده ومليكه، حيث عين أميراً للجوف عام ١٣٦٢هـ، حتى تقاعد بناء على طلبه عام ١٤٠٩هـ، كما أسهم، رحمه الله، فى العديد من الأعمال الخيرية والاجتماعية. تغمده الله بواسع رحمته ومغفرته وأسكنه فسيح جنته.إنا لله وإنا اليه راجعون.

ووفاء لمعاليه، رحمه الله، تُقدِّم الجوبة في الصفحات الآتية ملفاً يتضمن شهادات لعدد من المهتمين، ممن كانوا على صلة ومعرفة بالأمير الراحل ومؤسسته الكبيرة، ومادة عن المؤسسة التي أسسها. مؤكدين أننا لن نستطيع أن نوفي الأمير الراحل ولو جزءاً يسيراً مما قدَّمه للثقافة والعلم في وطنه؛ فما الجوبة، ومكتبة دار الجوف للعلوم، ومركز الرحمانية الثقافي في الغاط، وغيرها كثير من فروع المؤسسة إلا غراس يديه، وما هي إلا ثمرات ما بناه الأمير عبدالرحمن السديري، رحمه الله رحمة واسعة.

أسرة التحرير



هل نكتب عنه؟[1]

> د. زياد بن عبدالرحمن السديري

«عندما يكتفي أهل الجوف من الماء، عندها أكتفي منه».

هذا ما أجابني به أبو فيصل رحمه الله، باسماً ومداعباً، عندما سألته - بعد أن أفاق من الغيبوبة التي ألمت به على أثر مرضه العضال سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م)، وكان لا يقدر على شرب الماء، فأقدمه له بملعقة صغيرة، ويحذرني الأطباء من خطورة الإفراط في ذلك، فأكون بين خشية الوقوع في المحظور والشفقة عليه. وقد أمضى عدة أشهر لا يعرف الشرب إلا بوسيلة الأنابيب - إن كان قد اكتفى من الماء فأمنعه عنه.

وقبل ذلك بنحو عقدين من الزمان، أوصى أبو فيصل أبناءَه، عشية عملية القلب التي أجراها في شتاء سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)، فكتب لهم: «رغبتي أن تهتموا ببناء المكتبة العامة بالجوف، وتنفذوها بموجب مخططاتها الموجودة ضمن المكتبة، وهذا كل ما أطلبه منكم... كما أرغب أن تصدروا الكتاب الذي نحن بصدد إخراجه عن منطقة الجوف»[2].

وهكذا، كانت الجوف وأهلها هاجس أبي فيصل الدائم. ربطته بهما علاقة تجاوزت حدود واجبات العمل، فصارا دون سواهما - حتى مسقط رأسه المحبب له - مضرب مثله في كل وقت، وموضوع شعره عند الاغتراب، ومقر مؤسسته الخيرية التي طالما عمل على إنشائها. أقول هذا من جانب الشهادة بما أعرفه عن علاقة هذا الرجل - الذي أمضى نحو نصف قرن في الجوف - بأهل الجوف وشعوره نحوهم.

وبعد؛ فأنا لست خيرَ مَنْ يكتب عن أبي فيصل أو يُقَوِّمَ عمله، ولكني أرى أن طرق هذا السبيل جدير باهتمام القادرين عليه، ليس من باب الحرص على تبجيل الشخص تعظيماً لذاته، وإنما من باب الرغبة باستنباط القيم التي تصلح لأن تكون نبراساً لنا.

فقد أمضى أبو فيصل في الجوف ردحاً طويلاً من الزمن أميراً لها، وكانت له سيرته التي عرفها كثيرنا، وأعماله التي ما زالت تمثُّل أمامنا، فما هو رأينا في ذلك كله؟ وما هي العبر التي نستوحيها؟. هل مكتبه الذي كان مفتوحاً في كل وقت، ومجلسة الذي اختاره أن يكون غير ذي باب أو حارس، ومائدته التي كان يشترك فيها مع كل زائر وضيف في كل وجبة غداء أو عشاء؛ وإجابته لكل داعٍ، صغر منزله أم كبُر، نأت خيمته أم دنت؛ وموقفه من المواطن، أياً كان موقف المواطن منه أو تاريخه معه، ودوره في المنطقة وأسلوبه في التعامل مع قضاياها، ومنهجه في متابعة متطلباتها، واستقباله لصغار ضيوفها وكبارهم، ومبادراته التي قادها، وجوائزه التي وضعها، هل في هذه وغيرها فوائد نستقيها، فنذكرها وننادي بالإقتداء بها، أم هي مما هو غير ذلك؟

الأمر لنا، والبحث في حقيقته ليس له أو عنه. فهو رحمه الله، لم يرهن عمله بالشكر أو عطاءَه بالتقدير. عمل لأنه أحب عمله وبذل لأنه جبل على ذلك.

رحمك الله يا أبا فيصل وأجزل لك الثواب وأسكنك فسيح جناته بإذنه، إنه سميع مجيب.

١- كتبت هذا النص استجابة لطلب رئيس تحرير الجوبة الزميل إبراهيم الحميد الذي أشعرني أن الملف الرئيس في هذا العدد من المجلة سيكون عن معالي الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري يرحمه الله. فشكراً للزميل على هذه المبادرة وعلى إتاحة الفرصة لي للمشاركة فيها.

٢- وصية مكتوبة بخط أبي فيصل، وجدتها بين أوراقه، كتبها ليلة خضوعه لعملية القلب.

ريادة معرفية لمؤسس طامح

> عبد الفتاح أبو مدين

تدفقت إلـيَ المعاني حين حاولت أن أتحدث عن الأمير عبدالرحمن السديري – أمير منطقة الجوف الأسبق – رحمه الله، وبدءاً لهذه الكلمة التي أكتبها اليوم مشاركة في الملف الذي سيصدر في مجلة الجوبة الثقافية، اخترت: «رؤية ريادية ثقافية لمؤسس استقرأ آفاق المستقبل»، لكني رأيت أنه عنوان طويل، على الرغم من أنه شامل وخليق بأن يكون، لكني آثرت الإيجاز، فاخترت ما رأيت، ولعل الحديث يتعرض لجوانب شتى من جهود رجل طموح في وقت مبكر، وفي منطقة نائية، إلا أن العاملين الجادين، لا يفت في سواعدهم المكان، سواء نأى أو قرب، ولا الموقع مهما تواضع، لأن الأعمال الطموحة تكبر بهِّم أصحابها وتوجهاتهم؛ لأن نفوسهم كبار، وقد وصفها المتنبي بأنها: «تتعب في مرادها الأجسام».

قرأت لمحة عن معالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، أمير منطقة الجوف السابق، ومؤسس ورئيس مجلس إدارة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، الذي ولد في الغاط سنة ١٣٢٨هـ، وتلقى تعليمه، ثم نشأ في غمرة أحداث بناء الدولة السعودية على يد موحدها، الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – وتولى إمارة منطقة الجوف، في مطلع شهر رمضان من عام ١٣٦٢هـ، وظل فيها ثمانية وأربعين عاماً، ثم تقاعد. وكان الرجل ذا خصال حميدة وكريمة، تواضعاً وحلماً، وقد عرك الدهر وعركه؛ فنال خبرة واسعة في مدرسة الحياة. والذين يتولون المناصب ويفرغون للبناء والإصلاح، بهمة وعزيمة وتفانٍ، يتحقق على أيديهم بتوفيق الله نجاح ما يمارسون، لاسيما حين يتحلون بخصائص جميلة، تعينهم على أداء أعمال تشبه المستحيل، وفي مقدمة ذلك الخلق الحسن، ثم الدراية، والقول الحسن للناس. وكان الأمير عبدالرحمن السديري، فيه تلك السمات والسجايا الحميدة. وقد تحدث عنه الدكتور أحمد اللهيب، فيما يخص الجوانب السياسية والاجتماعية، بينه وبين مواطنيه في الجوف، إلى الحد الذي يحس بأنه إذا سافر، أدركه ألم البُعد؛ ولذلك، فهو يعالج حال الفراق بقصائد من الشعر الشعبي، ويتحدث عنهم وإليهم، وكأنهم أبناؤه وخاصته، وهذا الإحساس المتدفق على لُحمة الترابط القوية، بين الحاكم والأمة التي وليَ عليها، وهذه خصائص قد تكون نادرة عبر التاريخ. والحب والإيثار ملامح وفاء، وخصال كريمة، وهي مروءة وتلاحمهم غال وطيد. والوفاء يثمر وفاءً؛ فالمواطنون الذين ربطتهم علائق بأميرهم، يدخلون معه في مساجلات شعرية، شيمتها الوداد، من خلال بث العواطف الصادقة. وهذه الروح، حين تنداح في أمة، تخلق مناخاً غالياً من المودة والالتحام، والوفاء الدافق، وحين يشيع هذا الخلق في أمة، يسعد الراعي والراعية، وتصبح للحياة قيمة ومعنى ومغنى. والأمة الإسلامية عنوانها هذا الترابط منذ فجر حياتها، وقد صوّر الكتاب العزيز ذلك أجمل تصوير، حين آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فأعطى الأنصارُ لإخوانهم أعزّ ما عندهم وأعزّ ما يملكون، فقال عنهم الكتاب العزيز: «والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

ونجد عند الأمير عبدالرحمن السديري – رطب الله ثراه – مطامح أوحاها عقله، ونمت فيه ومعه، وهي خصائص يهبها الخالق لمن يشاء من عباده البناة، ولا تختص بالذين يعيشون في المدن والعواصم، وإنما



في نماذج من خلق الله، فتبدو مشروعاتهم الإنمائية حتى مع القل وضيق الجدوى والعوز، ذلك أن النفوس الكبار تتعب في طموحاته، وفعالياتها ليس لها حدود، والبناء طموح نفوس خلقت لتكون كذلك في كل زمان ومكان. وبذلك يعمر الكون، وتنمو الحياة وتزيَن وترقى. فالأمير عبدالرحمن السديري، كما قرأت عن بعض سيرته، أنه محبٌ للعلم والزراعة والرياضة، كما أنه كان له اهتمام بتراث منطقة الجوف، التي حل فيها في وقت مبكر قبل نهضة الوطن.

والرجل المتدفق حيوية للعمل والبناء، أخذ على نفسه أن ينهض بالمنطقة التي اختير أن يكون أميرها. وكانت لبنة من لبناته هناك، تأسيس «مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية»، لنشر الثقافة، والعلم في الجوف، ولم يتوجه إلى تشييد العقارات أو الاتجار بالمال، ليدر مالاً، لكن الرجل رأى بثاقب فكرة أن رقيَ الحياة لن يكون إلا بالمعرفة. والذي يقرأ هذا التوجه، الذي بدأ منذ ربع قرن في قرية أو مدينة متواضعة شبه نائية، يتمنى أن يرى القادرين في وطنه، وهم كثر، فيكون عندهم هذا التوجه والحماسة والإنفاق، لرقي الحياة والأمة، وعدَ المتنبي أن نقصَ القادرين على التمام عيبٌ... فأينَ أثرياؤها وأغنياؤها في الأمس واليوم، وحتى الغد، ليعمل كل منهم عمل الأمير عبدالرحمن السديري في الجوف، وقد أثمر العمل، لأنه أريد به إفادة المواطن، ورقيَه في حياته كلها!

زرت مع بعض الأصدقاء قبل عقدين هذه المؤسسة الخيرية، فرأينا طموحاً يريد أن يحقق أشياءً ذات قيمة لشرائح كثيرة من المواطنين، ومع الجد الذي غرسه الأمير، وتولى أبناؤه الحرص على تحقيق آمال الوالد الباني البار ومطامحه، الذي لم تشغله نفسه وبنوه، قبل أن ينشيء في البلد الذي أحب أهله وأحبوه، ما ينهض بحياتهم، مشاركة منه خاصة. رأينا يومئذ هناك المكتبة، «مكتبة دار الجوف للعلوم»، وكانت في بداية التأسيس، لكني رأيتها في عام ١٤٢٦هـ، وقد أصبحت مرجعية للباحثين والدارسين، وعشاق الكتاب، لأنه خير جليس. ولن أبالغ إذا قلت إن أثرياءنا في مدننا الكبرى، لم يُنشئوا مثل مكتبة مؤسسة السديري الخيرية. فأين الذين يعملون للوطن من الأغنياء والأثرياء؟ أين هم؟

الأمير عبدالرحمن السديري وأبناؤه، مولوا المكتبة ومشروعات المؤسسة، التي تتوسع مشروعاته كل عام من عطاء صاحبها وحده، والذين حملوا الأمانة جديرين، وإنه لوفاء بنوة لأوبة خلفت، بفضل الله، من يرعى وينمّي مشروعاً ليس ريعه المعنوي المعرفي لأصحابه، وإنما هو لمواطنين، بينهم وبين أميرهم وخلفه ود وإيثار ووفاء. علاقة خليقة بأن تثمر وتؤتي خيرها كل حين بإذن ربها، لأنها أُنشئت لا ليقال إن فلاناً عمل وقدم، وإنما لنفع الناس، وهو ما يمكث في الأرض، كما جاء في الكتاب العزيز، «أما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». ولبنات هذه المكتبة الرائدة، بدأت في عام ١٣٨٣هـ: فهي مركز للدراسة، والبحث والنشر، «للإسهام في بث الثقافة في منطقة الجوف»، وكذلك نشر الدراسات المتعلقة بها، وحفظ تراثها الأدبي والأثري. وهذه المكتبة من خلال حرص صاحبها، هي مكتبتان: إحداهما للرجال، والثانية للنساء، والذي يُفرح بحق، أن المكتبة النسائية العامة هناك، هي أول مكتبة نسائية في المملكة العربية السعودية. وأنا حين أزور بعض مكتبات جامعاتنا التي أنشئت منذ عقود، أجدها حفيلة بالإهمال، لذلك لا أرى لها رواداً من الجنسين، وبعض هذه الجامعات، فيها أكثر من أربعين ألف طالبٍ وطالبة، ولعل خواءها، أن الطلبة من الجنسين، لا يكلفون بشيء من أمور البحث، حتى يتوجهوا إلى المكتبة للاستفادة منها!

ومن جوانب التعليم، رأينا أن الأمير عبدالرحمن السديري، عُني بافتتاح المدارس في منطقة الجوف، وحثُّ المواطنين من أهل الحاضرة والبادية، على إلحاق أبنائهم من الجنسين إلى هذه المدارس،

وليس هذا فقط، إنما أمتد اهتمام الرجل الباني الجاد الحريص على الإفادة والنتائج المثمرة، إلى متابعة تحصيلهم العلمي في هذه المدارس. وترى من خلال نباهة الأمير عبدالرحمن السديري، وبُعد نظره، لكي يقتدي به أولياء أمور البنات في تعليمهن، اختار كريماته للعمل في أول مدرسة للبنات، افتتحت في الجوف. ولم يتوقف عند هذا الحد، بل إنه سعى إلى لقاء المواطنين، ليعلمهم بجدوى تعليم البنات، والحث على الاقتناع بذلك، لأن تعليم المرأة قيمة، وأن طالب العلم كما قال مَنْ لا ينطق عن الهوى: العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأن النساء شقائق الرجال. وربما قال أحدنا: عجيب توجه الأمير الباني واهتمامه بنمو قطاع من أمة في كل مرافق الحياة، الجادة المتطورة. لقد أدرك الأمير بثقافته ووعيه «أن الأم مدرسة إذا أعددتها، أعددت شعباً طيب الأعراق»، كما قيل. ما أحوجنا إلى نماذج مثل الأمير عبدالرحمن السديري، ليكونوا روافد للمجتمع ليرقوا به وينموه ويصلحوه، ليحقق طموحات ولي الأمر حفظه الله، والأمة بعامة؛ لأن التعليم في حاليه رقياً أو هبوطاً، عنوان الأمة، أي أمة.

وهذا الرجل الطموح، أحسن الله جزاءه على ما عمل وأسس وأنجز وسعى، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً في مسيرة البناء المتقن الجاد، لأنه مدرك لرقي الحياة وأدواتها، وحوافزها، وكيف تكون. هذه الألمعية قليلة في حياتنا، وهو توفيق الله عز وجل؛ لذلك نرى هذا الأمير الدؤوب، يسعى إلى إقناع البادية في منطقته إلى الاستيطان، وذلك بإسهامه في مشروعات تحقق هذا التوجه. وهذه الرؤية الحضارية، تجعل من أمية البادية المعزولة عن الحياة، والقانعة بما تنال في حياتها بسبلها المحدودة الضيقة، تتجه إلى الارتقاء، حين يتعلم أبناؤها، ويمارس شطر من الأسرة أنماطاً من الأعمال في المدينة التي في منطقتهم، ليخدموا أنفسهم ووطنهم، حين يدركون وتهيأ لهم سُبل النمو والحياة الكريمة؛ فالحياة عمل جاد، وسعي، ورقي، وتقدم، وطموح، وتحقيق أهداف، وكما قيل: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً.

كما عمل الأمير الطموح، مسابقة للمزارعين في عام ١٣٨٥هـ، كانت من نصيب حديثي الاستيطان، ثم عممت لتشمل كل مزارعي المنطقة. ويعد هذا البرنامج الأول في الجوف قبل أربعين سنة ونيف. وطفق الرجل الطموح من خلال سباق الهجن بالمنطقة، يسعى إلى جمع أهلها للالتقاء بهم والاستماع إليهم، ومعالجة القضايا التي تعترض سبلهم وما يهمهم في شؤون حياتهم وشجونها بعامة، إلى جانب إتاحة فرص التآلف والتعارف، يرمي إلى تنامي العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بينهم. إضافة إلى أن سباق الهجن الذي اهتم به الأمير السديري وأقيم في الجوف، كان أول سباق منظم للهجن في المملكة، ويصاحب هذا السباق إقامة معرض للسجاد والمنسوجات التي تنتجها النسوة في بادية المنطقة، أراد الأمير بذلك إيجاد إنتاج في منطقته لصناعة السجاد المحلي، دعماً للمهتمين بجوائز ينالها وسوقاً للبيع، ونجحت التجربة وساعدت في استمرار هذه الصناعة التراثية وتطورها.

إن الذي يتابع طموحات مؤسسة الأمير عبدالرحمن السديري، يكبر ذلك ويقدره، ويشيد بهذه الروح، وبالفكر الباني العامل القوي الإرادة، والبدء كان مفتاح نهضة هادفة رائدة، هو نشر الوعي والمعرفة من خلال ركائز العلم والثقافة في مختلف توجهاتها. والذي يقرأ نص النظام الأساسي لهذه المؤسسة، يقف ويرى أهدافاً عالية رائدة، ربما لا ينهض بها فرد، وإنما مجموعة من أهل الرأي والعزيمة والثراء.. اقرأوا معي بعض تلك الملامح: «إدارة وتمويل مكتبة دار الجوف للعلوم، والعمل على تطويرها لتكون مركزاً علمياً وثقافياً متميزاً في المنطقة، والإسهام في حفظ التراث الأدبي والأثري في منطقة الجوف، والتعريف بهما، ودعم النهضة

العلمية في منطقة الجوف، وإصدار مجلة شهرية في المنطقة وإنشاء دار للحضانة، وروضة للأطفال، ومسجد جامع». هذه المشروعات ليس بالسهل إقامتها ورعايتها والحفاظ على رقيها ونجاحها، غير أن العزيمة تصنع المستحيل. وأقول بلا مبالغة، لو كان في كل مدينة ومحافظة من هذا الوطن العزيز الكريم مثل الأمير عبدالرحمن السديري، لكان عندنا خيرٌ وفير يُضرب به المثل، وصدق المتنبي القائل: «على قدر أهل العزم تأتي العزائم».

إن السطور والكلمات التي وقفت عليها، أراه توثباً، بدأه المؤسس الكريم، ثم دعمه ورعاه أبناؤه الذين ورثوا هذا الطموح المتميز، الذي ينفع الله به شرائح من المواطنين، ويدفعهم إلى التزود من المعارف، وقد هيئت لهم بين ديارهم، وما عليهم إلا أن يقبلوا عليها مسرعين، لينالوا حظهم منها، بقدر طموحاتهم وتوجههم، وقد دعمت حكومة خادم الحرمين لبنات التأسيس نحو النور بإنشاء جامعة في الجوف، أرجو أن تكون في مستوى أمير الجوف الراحل، وأميرها الحالي، ولا تكون نمطية لا تضيف جديداً ومفيداً، لأمة فتحت عيونها منذ عقود بلغت الخمسة على نور المعرفة في منطقة نائية شبه معزولة، فأصبحت موئل أصحاب المشروعات الزراعية، يقصدها المستثمرون، إذ توفرت فيها لبنات التفتح البصري والذهني على يد رجل وعى قيمة المعرفة، وإنها السبيل لحياة أرقى وأفضل لأي أمة تنشد الحياة الحقة الطامحة، التي ترى الغد، لا بعين الأمس الذي مضى وانقضى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقد زرت كما أشرت آنفاً مؤسسة الأمير عبدالرحمن السديري في وقت مبكر، مع بعض الرفاق في النادي الأدبي الثقافي بجدة: د. عبدالله الغذامي، ود. سعيد السريحي وآخرون، فقدَرنا ذلك التوثب لبث المعرفة في تلك المنطقة شبه النائية، وهذا دليل على أن المعرفة ليست محصورة في المدن المزدحمة بسكانها وتجارها وأموالها، وفي أكثر الأحيان لا تجد في هذه المدن الغاصة بسكانها وثرواتها توجهات إلى دعم المعرفة وسبلها، من إنشاء مكتبات ودعمها بما يُرى أننا نسير في نهضة، يسهم فيه الأثرياء من كل نمط، بجانب الدولة التي لم تجنح إلى فرض ضرائب متصاعدة، لتعينها على الارتقاء بالوطن وطموحات أهله، وأثرياؤنا ليس كأمثالهم من رجال الغرب، يسعون إلى إنشاء المنشآت العلمية والصحية وأمثالها؛ أثرياؤنا لم يتعودوا العطاء، وإنما تعودوا الأخذ وحده، وهذه سبيل أمة أنانية خاملة.

إن هذا الصرح المعرفي المتجدد والمتطور، يدل على أن صاحبه استقرأ آفاق المستقبل، لأنه لم يتوقف عند حد، ولكنه يتجدد مع الزمن والحياة، وفق دأب الأيام وتجددها، مركز إذا قلت إنه متكامل وقليل نظرائه في بلادنا، فإني لا أعدوا والواقع، ولو مد الله في حياة، صاحبة لأصبحت هذه المؤسسة شيئاً آخر، غير أني أقول إن أنجال الفقيد لم يتخلوا ولم يتوقفوا عن التجديد والدعم والتوسع في هذا الصرح أو الدوحة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فالبرامج الثقافية شقت طريقها منذ عقدين على مستوى متميز، وهذه الخطوات تجذب المبدعين والدارسين إلى الإقبال على هذا الصرح.

وقد عجبت حين ذهبت للجوف قبل عام ونيف، ظننت أنني سأجد النادي الأدبي الذي نشأ هناك منافساً لهذه المؤسسة الطموح، غير أنه لم يخط نحو المنافسة، ولا المزاحمة والعطاء، لذلك أدركت أن الطموح يولِّد العمل والعطاء والإنجاز؛ فالعمل أي عمل الذي ينطلق من تخطيط وأداء مدروس ومتابعة، هو الذي يحالفه النجاح بإذن الله. وحين حضرت الملتقى الذي كان عن دور الأندية الأدبية في بلادنا، قبل عام ونيف، رأيت صالة محاضرات ملأى بالحضور، فأدركت أن الذين يخططون لأي عمل يقدمون ويجددون وينجزون. وهذه المؤسسة التي تنجز برامج ثقافية وبحوثاً علمية وتمولَها،



خليقة أن تنفرد بعطاء ذي قيمة، لأن من جد وجد، كما يقول المثل السائر. والكتب والرسائل الجامعية، التي تعنى بها هذه المؤسسة، هو عمل مؤسساتي كبير، لا تنهض بعه إلا جامعات ودور علمية كبيرة، هنا أو هناك.

وحين أرى أعمالاً وإنجازات ذات قيمة، لا أرد ذلك إلى وفرة المال، وإنما إلى الجهود التي وراء هذا العمل الطموح، ذلك أن المال وحده لا يحقق إنجازات، إلا إذا كان الذين بأيديهم ذلك عندهم الحس الدافق للعمل والعطاء، وأنهم يتحدون أنفسهم قبل أن يتحدوا الآخرين، ولذلك فإن أعمالهم بتوفيق الله تنجح وترقى، والحق يقول: «إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً». لذا، حين يرى أي زائر للجوف، ويدلف إلى المؤسسة المتوهجة الدائبة في عطائها، وبرامجها المعرفية، يبهره ذلك الذي لا يجده في المدن الكبرى من بلاده، لأن الأعمال تتحدث عن نفسها كما يقال، قلت وأكرر: ليت في بلادنا الكثير من هذا الرمز الطامح الذكي العامل الأمير عبدالرحمن السديري، لأننا نفتقر إلى هذا الانجاز، ولأننا في حالات كثيرة نقول ونسمع أقوالاً، ولكنها تشبه ما قاله المثل السائر: «أسمع جعجعة ولا أرى طحناً». ليت ما في الجوف نجده ونراه في مدننا وقرانا.

وأقول: كما قال: رسولنا محمد بن عبدالله ﷺ لصهيب الرومي، حين أعطى قريشاً ما يملك من مال كوّنه بعمله وجهده، حتى لا يحولوا بينه وبين الهجرة إلى المدينة، قال: من لا ينطق عن الهوى ﷺ، «ربح البيع يا أبا عبدالرحمن»، وأقول: عن هذه المؤسسة: أثمرت الجهود حين صح العزم، وصدقت النيات، وبذل الإنفاق، من أجل المعرفة، ثقافة، وتعليماً، وعلوماً. وهذا عمل رجل هو أمة، يتطلع إلى غد مشرق، طموح واعد، ولا ريب أن العمل الذي ينفع الناس أياً كان لونه، وأهدافه الخيرة، يحقق نتائجه وثماره، وهدفه الطموح، الذي يراد به وجه الله.

الحديث يطول، حين أريد أن أمضي في فجاجه فيمتد، ولكنه شائق ماتع، لأن أي إنجاز في حياة أي إنسان، ولأجل وطن غال، لا يمل، فالحياة عمل وإخلاص وتضحية، بورك في كل عمل كهذا، وإذا ذكر أي عمل ناجح، يفتش ويبحث من وراءه. ورجل مثل الأمير عبدالرحمن السديري، هذا الرجل الطموح، بعيد النظر، حفل بالمعرفة وأهلها، لأنها قيمة، ولأنها الطريق إلى ارتقاء الشعوب والأمم.

وقد استوعب الأمير المؤسس معاني - أقرأ - أول نزول الوحي على خاتم الرسل ﷺ، في غار حراء، واستوعب صاحب الرؤى المتوثبة قول الحق: «يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم درجات»، وقوله: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»؛ فاستقراء آفاق المستقبل، لا يسعى إليه ولا ينهض به إلا إنسان ذو تطلعات إنتمائية وإنمائية، في مقدمتها المعرفة بكل معانيها وتوجهاتها، رغبة في إثمارها ومعطياتها الواعدة.

وبعد: فإن هذا الرجل الثاقب الرأي، لم تشغله الدنيا بمالها وجاهها، وإمارته، والسعي نحو المصالح الخاصة، ولو توجّه إلى ذلك لاستطاع أن يحقق المزيد، لكنه رحمه الله وطّب ثراه، أراد بتوفيق الله عز وجل، أن ينفع غيره، وهذا هو الحرث للدار الآخرة، وأكرر قول رسولنا عليه السلام - ربح البيع -، وبورك في الخَلَف المبارك، الذي حافظ على منجز الوالد الكريم، وإنهم لأبناء بررة، حراص على الارتقاء وتطوير هذا الإرث الشامخ، في جزء غال من الوطن العزيز الكريم. رحم الله المنشيء والمؤسس، وغفر له، وأعان الخَلَف الصالح للمضي بهذا الصرح المتجدد العطاء والناجح، لأنه أنشئ للخير، ولنفع الناس والارتقاء بمعارفهم، وهذه رسالة المصلحين من أي أمة شامخة طموحة. أسأل الله مزيد التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.



بعض غرس الأمير.. بعض أثر المكتبة

> أ. د سعد البازعي*

في أواسط الثمانينيات الهجرية، الستينيات الميلادية، كانت سكاكا بلدة صغيرة لا يتجاوز سكانها بضعة آلاف، وليس فيها من السيارات سوى القليل الذي يعد على الأصابع، ولم يكن فيها شارع واحد مسفلت. المدارس قليلة جداً، والمستشفى الوحيد كان أقرب إلى مستوصف. كانت المباني طينية، في الأغلب، سوى قصر الإمارة المبني من الحجر ومبانٍ محدودة أخرى، منها مدرسة ابتدائية قريبة من قصر الإمارة اسمها «المدرسة الجنوبية».

في تلك المدرسة، دَرَسْتُ معظم السنة السادسة الابتدائية سنة ١٣٨٢هـ لأنتقل إلى الرياض نهاية السنة، وأكمل متطلبات «شهادة إتمام الدراسة الابتدائية» هناك في وقت كان بعض الحاصلين على تلك الشهادة من «الكبار» - قياساً إلينا نحن الأطفال - يعلقونها في صدور مجالسهم اعتزازاً وفخراً بنيلها. فقد كانت البلاد، حينئذٍ، تجتاز ببطء مرحلة، كان أقصى ما يحققه الفرد فيها من العلم هو ختم القرآن الكريم و«فك الخط»، أي القدرة على القراءة. كان نيل الشهادة الابتدائية يعادل نيل الشهادة الجامعية في أواسط التسعينيات الهجرية، الفترة التي دخلت فيها التعليم الجامعي مع كثير من أبناء جيلي.

كانت الثمانينيات الهجرية مرحلة مبكرة نسبياً من مراحل التنمية في المملكة؛ فلم تكن الرياض حينذاك أكثر من مدينة صغيرة، إن لم نقل قرية كبيرة قياساً إلى المدن العربية الكبرى، التي سبقتها في التنمية بمراحل عديدة. كانت جامعة الملك سعود قد افتتحت سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م)، ولم يكن في الرياض سوى مكتبة عامة واحدة متهالكة البنيان، قديمة الكتب، ومحصورة ضمن موضوعات تراثية في الغالب.

في تلك الأجواء، وضمن تلك الظروف الجافة تنموياً، فوجئ سكان سكاكا بنبتة غريبة، بمكتبة عامة تفتتح مقابل قصر الإمارة آنذاك، في مكان كان يمكن أن يتحول إلى مجرد دكان. وكان أن فوجئتُ بالمكتبة عند زيارتي لسكاكا مع العائلة، فقررت زيارتها مع عدد من أصدقائي الأولاد، وكنت حينها في المرحلة المتوسطة. ولم يكن يدفعني إلى تلك الزيارة سوى اعتداد بالنفس تولّد عن اكتشافي أنني الوحيد بين مجموعة الأولاد المحيطين بي، الذي لديه ما كنت أسميه «مكتبة منزلية»، لم تكن أكثر من مجموعة قصص وكتب تناسب سني، أذكر منها «قصص جحا» وجزءاً واحداً من «أمثالنا الشعبية» لعبد الكريم الجهيمان. شعرت أنني أقوم بزيارة إلى مكان أعرف ما يعنيه، كأنني أقوم بزيارة إلى مكتبة شقيقة أو موازية، فأتباهى أمام الأولاد بأنني إذ أجيء من الرياض بمكتباتها وبما لدي في المنزل من «ذخائر» المعرفة، لم أكن مثلهم غريباً على الكتب والمكتبات.

لكن مفاجأة ما لبثت أن بددت كل ذلك الاعتداد بالنفس حين وجدت في المكتبة الوليدة - المكتبة التي كان قد افتتحها الخال الأمير عبد الرحمن بن

أحمد السديري غفر الله له - ما لم أعتد أن أجده في المكتبات التي كان يأخذني إليها في الرياض أخي الأكبر محمد أطال الله في عمره، وكانت تلك مكتبات تجارية كنت أظنها قد بلغت أقصى ما بلغته المكتبات في موجوداتها. ومع أنني لم أكن أعرف المكتبة العامة بالرياض، فإنني تبينت، فيما بعد، أن مكتبة الجوف الوليدة لم تكن تقل عنها من حيث نوعية الكتب، إن لم تفقها.

في تلك المكتبة بسكاكا، رأيت وأنا الطالب في المرحلة المتوسطة، كتباً لم أرها من قبل، ومجلات أطالع عناوينها للمرة الأولى في حياتي. رأيت «الأغاني» و«العقد الفريد»، ورأيت كتباً لطه حسين، والعقاد وغيرهم. وأهم من ذلك، بالنسبة لتكويني، رأيت أعداداً من مجلة «العربي» الكويتية. أما أهمية «العربي»، فمما تكشّف لي بعد أن أسترجعته بعد سنوات لأتبين الدور المفصلي الذي لعبته تلك المجلة في توجيه اهتماماتي، على النحو الذي يذكر بالدور الذي لعبته مجلات ثقافية وأدبية أخرى في حياة آخرين، من أبناء الجيل السابق واللاحق، مجلات مثل «الرسالة» و«المقتطف» المصريتين، و«الأديب» و«الآداب» اللبنانيتين، وغير ذلك كثير.

كان لمجلة «العربي» التي طالعت أعدادها للمرة الأولى في مكتبة سكاكا دوراً مفصلياً، أتبينه الآن وأنا أتذكر على سبيل المثال مقالة بعنوان «شعراء البحيرة»، تضمنت قصيدة من الشعر الإنجليزي قرأتها مترجمة، وكانت أول نص أدبي أجنبي أطالعه في حياتي، على ما أذكر. كان بالتأكيد أول نص شعري من أدب أجنبي. كانت القصيدة للشاعر الرومانسي وليم وردزورث وعنوانها «نحن سبعة»، ترجمها، فيما أذكر، الباحث والكاتب السوري وليد إخلاصي. أما أهمية ذلك فلم تتضح لي إلا حين جاء قرار التخصص في الجامعة. ومع أن عوامل أخرى تدخلت في اختياري لقسم اللغة الإنجليزية في جامعة الرياض آنذاك، فإني لا أشك الآن أن المحرضات الأولى تعود إلى تلك المطالعات المبكرة، وأين: في سكاكا، في مكتبتها العامة الرائدة والفريدة في نوعها، في ما أسسه عبد الرحمن السديري، أجزل الله له المثوبة.

إن ما أرويه هنا، لا يعدو بكل تأكيد أن يكون قصة فردية، أنموذجاً لتأثر شخص واحد بظروف ثقافية محددة. لم يكن حدثاً وطنياً أو عظيماً للآخرين؛ لكنه كان، في الوقت نفسه، ذا أثر يتجاوز الفرد، يتجاوزه إلى أفراد آخرين، تماماً كما كان قرار تأسيس المكتبة في سكاكا، فقد كان قراراً فردياً اتخذه مؤسسها رحمه الله، وانتقل أثره إلى أجيال من الرواد، لا أدري كم عددهم ولا عن عمق تأثرهم، لكن أثراً ما قد تأسس، أثراً يعرفه بين آخرين طلابي الذين درسوا الأدب الإنجليزي معي، طوال ما يزيد على العقدين، فقرأ معظمهم تلك القصيدة التي قرأتها مترجمة في مجلة «العربي» بمكتبة عبد الرحمن السديري العامة بسكاكا في أوائل الثمانينيات الهجرية. الفرق هو أنهم قرأوها بلغتها الأصلية وواجهوا ثقافة الآخر، كما نسميها الآن، وإن كنت لا أدري كيف جاء معظمهم إلى دراسة تلك الثقافة. هل كان وراء أحد منهم مكتبة أخرى أو مجلة أخرى؟ ذلك ما أتمناه في ظروف جعلت معظم الطلاب يذهبون إلى العلوم والمعارف المختلفة، مدفوعين بالبحث عن الوظيفة ليس إلا.

رحم الله الأمير عبد الرحمن السديري وأجزل مثوبته، وعمم فوائد منجزاته على الأجيال المختلفة، فيما ينفع هذه البلاد وغيرها من بلاد المسلمين.

* أ.د. سعد البازعي: عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، أمين عام جائزة الملك خالد، رئيس نادي الرياض الأدبي



رحلة حياتية إلى الجوف

> د. فوزية عبدالله أبو خالد*

قبل عشر سنوات، وصلتني مع مجموعة من الصديقات الكاتبات والأكاديميات بالرياض، دعوة من السيدة الفاضلة لطيفة السديري، لزيارة منطقة الجوف. ومع أنني شخصياً لست كلفة بتلبية الدعوات الرسمية، ليس لموقف ممن يتفضلون بها، بقدر ما يرجع ذلك إلى الطابع الرسمي، الذي عادة ما يرافق مراسم مثل تلك المناسبات، فيصيبني بالفتور والنفور معاً من أجوائها العامة، نظراً لما تتطلبه من مجاملات وبروتوكولات، لا تعرف أن تتقنها تلك الشاعرة المتمردة على أنماط الحياة الروتينية، فقد جاءت تلك الدعوة تحمل ما يُغري بتغيير العادات. وكان ذلك لسببين رئيسين: الأول سبب تاريخي، والثاني سبب نسوي، وثمة سبب ثالث وقد يكون إفشائه مثيراً للدهشة، هو سبب شعري!

فبالنسبة للسبب الأول، قلت لنفسي كيف لي أن أفرط في رحلة تحملني من هضبة نجد إلى مشارف الشمال، لأشهد على سعة عيوني، تلك الوشائج من العشق القدري بين الجغرافيا والتاريخ، التي تتدخل في نسج الحياة الاجتماعية للمجتمعات الإنسانية وللأفراد، ضمن مثلث علاقات المكان والإنسان والزمان. وبالنسبة للسبب الثاني، سألت نفسي كيف لي أن أقاوم اللقاء بشريحة من نساء هذا الوطن؟ ما سيتيح لي اكتشاف المزيد من المشتركات، في أوجاع النساء وأفراحهن، وفي صبرهن وحلمهن.

السبب التاريخي:

إن منطقة الجوف في التاريخ الموغل في مجد التجربة الاجتماعية من الكفاح اليومي لأهلها، على مر العصور، ليست مجرد منطقة نائية عن العواصم، التي تعاقبت على أرض الجزيرة العربية؛ بل هي معراج القبائل من مضائق الجفاف إلى فضاء الخصب؛ ومعبر التجار والمستشرقين والفاتحين بين برزخ الرمل وبرزخ الماء.

السبب النسوي:

إن منطقة الجوف في الدعوة المعنية الموجهة إلي والزميلات، تناديني للقاء سلالات ملكات الشمال من نساء الجوف في ثلة من النساء المكللات بعرق العمل، ممن يعملن على النول اليدوي في صناعة النسيج والمفروشات، فيفرشن المنطقة بمخمل المخيلة، ويصدرن بساتين أرواحهن إلى أنحاء المملكة، لتوازن بحنان العمل النسوي قسوة الصحراء.

السبب الشعري:

كان ذلك هو السبب الكامن الذي لولا ذهابي إلى الجوف، ما كان لي أن أكتشفه. بدأ ذلك من عسل ابتسامات صباياها، من ضفائرهن الممتدة من أعلى أعناقهن العالية إلى كعوب أقدامهن، وكأن أياً منهن لم تسمح لمقص قط أن يعتدي على خصلة من شعرها.

ولم تنته تلك اللحظة الشعرية عند ذلك الخشوع المعمر بعمر التاريخ، الذي يجتاح الضيف عند مسجد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقد كانت هناك لحظة إلهام خاطفة وطويلة، تنبجس من بلح الحلوة، ومن أخيلة الرجاجيل، تلك المنحوتات الطبيعية، الواقفة كفرسان لا تريد ان تترجل على مر الزمان، وكذلك من غرز تلك النمنمات الرقيقة المطرزة بتلك الألوان البدوية والغجرية، الصارخة على جسد المفروشات.

البعد الثقافي للرحلة:

ما لم يكن في الحسبان، هو أن ألتقي بعدد من الأصدقاء القدامى على أرض الجوف.

لقد فوجئت والزميلات بأن من ضمن برنامج



الرحلة زيارة إلى مكتبة دار الجوف للعلوم، حيث كان فيها عدد كبير من الكتب النادرة في جميع المجالات، من كتب الأدب والعلوم الاجتماعية، حيث أصدقاء عمري المهني، إلى كتب في التاريخ والتراث والجغرافيا، ومخطوطات تاريخية، وموسوعات علمية، وسواها من أوعية المعرفة التقنية الحديثة. وكانت المفاجأة أن نعرف أن هذه المكتبة تستقبل نساء المنطقة من مختلف الاهتمامات المعرفية والأعمار، كأول مكتبة عامة يجري إعدادها لتستقبل النساء بالمملكة العربية السعودية. حيث تعود نشأة تلك المكتبة العامة في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٢م)، وكانت نواتها الأولى تضم ما يزيد على ثلاثة آلاف كتاب. وهي تضم اليوم كما جددت معلوماتي لاحقاً «ما يزيد عن مائة وستين ألف كتاب ومجلد. إضافة إلى قسم للدوريات، يفتح أبوابه لقراء الصحف والمجلات والدوريات العربية والأجنبية في مختلف أصنافها واتجاهاتها، ويشتمل القسم على ما يزيد عن ٢٥٠ صحيفة ومجلة ودورية، تستقطب عدداً كبيراً من القراء والقارئات يومياً. كما تضم الدار مجموعة خاصة من أوعية المعلومات ذات القيمة المرتبطة بآثار المنطقة، وصوراً لمخطوطات يصل عددها إلى أكثر من خمس وستين مخطوطة، إضافة إلى وثائق ونقود تاريخية قديمة، وطوابع، وكتب نادرة وقيمة، تتعلق بالمنطقة وتتصل بها بشكل خاص، وبالجزيرة العربية بشكل عام، كما تضم أيضاً مجموعة من الوسائل السمعية والبصرية، إلى جانب العديد من الوسائل الالكترونية المتنوعة. وتتيح المكتبة، للراغبين من روادها، استخدام شبكة المعلومات (الإنترنت)، التي بدىء باستخدامها منذ مطلع عام ١٩٩٧م. وجرى الآن توفير خدمات الـ ▯▯▯» (تقرير خاص عن المؤسسة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

وقد علمت وقتها من مجموعة من نساء الجوف، الناشطات والمهتمات بالقراءة، أن الريادة لإنشاء هذه المكتبة تعود للمؤسس الأمير عبدالرحمن السديري يرحمه الله ويسكنه جنة الخلد، إذ لم تكن عملية إنشاء مكتبة عامة إلا واحدة فقط من طموحاته الثقافية والوطنية، تجاه المنطقة وتقديرا لشغف أهلها بالعلم والثقافة.

لقد نص النظام الأساس لمؤسسة الأمير عبدالرحمن السديري على تنوّع وتعدد في الأهداف والنشاطات، التي تخدم طموح الأهالي ومنها: إنشاء وإدارة وتمويل مكتبة «دار الجوف للعلوم»، والعمل على تطويرها لتكون مركزاً علمياً وثقافياً متميزاً في المنطقة، والعمل على استعادة وحفظ التراث الأدبي والأثري في منطقة الجوف، ونشر الوعي لتوسيع الاهتمام بهذا النوع من الثقافة التراثية، إضافة إلى الاهتمام بالجانب الحديث من الثقافة، بشقيها العلمي والأدبي؛ وذلك لربط ماضي الجوف الثقافي بالنهضة العلمية الحديثة، ودفعها للإسهام في الإنتاج الثقافي حاضراً، كما فعلت ماضياً. ومن هنا جاءت إقامة نشاط ثقافي دائم في رحاب المكتبة من الندوات والمحاضرات.

ومن هنا، جاء أيضا إصدار مجلة ثقافية في المنطقة، وهي مجلة الجوبة رافدا من روافد هذا الجهد الثقافي؛ لتكون المجلة حلقة وصل بين مثقفي الجوف وبين مثقفي بقية مناطق المملكة، وبينهم وبين المثقف العربي على امتداد الخارطة العربية.

ويبدو لي، أن ما عمل المجلة على تخصيص ملف خاص عن شخصية الأمير عبدالرحمن السديري، إلا وقفة وفاء على ما قدمه ذلك الرجل المستنير لهذه المنطقة. فشكراً لله الذي إذا أراد بأرض خير، قيّض لها ثلة من الأبناء والبنات من داخلها وخارجها، ليحملوا شعلة الفكر، ومعول العمل فيها بإيديهم العارية، ليزيدوا نهارها ضوءاً، وليزيدوا أمجادها عزة، ويجددوا عهد إعمار الأرض بمزيد من الإعمار.

* استاذة الدراسات الإجتماعية بكلية الأداب جامعة الملك سعود. Fowziyah@maktoob.com

عبدالرحمن السديري.. الحياة مرتين

> عبدالرحمن الدرعان*

قبل أكثر من ثلاثين عاماً، كتب الأمير الشاعر عبدالرحمن السديري في ديوانه المنشور «القصائد» قصيدة شهيرة، لا أبالغ إذا قلت إنها واحدة من عيون الشعر النبطي، يرثي فيها نفسه على طريقة مالك بن الريب، في قصيدة بقوله:

أنا من الدنيا خلصت اعذروني

لي جانب الله عن حياة وضيعة

ربما نتفق، مجازاً، على أن البيت من الشعر النبطي غير أنه فصيح، بما يتضمنه من الدلالات، إضافة إلى أنه لا يحتاج إلى أي تعديل ليقرأ كما لو أنه مجزوء من قصيدة عربية، أنشدها الشاعر في سوق عكاظ.. قبل ألف عام.

ظل يستدرج غيمة بيضاء، ينسج منها كفنه لسنوات طويلة، حتى وافاه الأجل، بعد أن بقي رحمه الله على حافة الموت، في حالة احتضار موغلة، فإذا بموته لم يكن مباغتاً وحسب، بل تحَول إلى لحظة أكثر من تراجيدية، تشبه لحظة الانبعاث والولادة!

إذا كان الناس يولدون، بالمعنى البيولوجي، ويموتون مرة واحدة، فإن القليلين منهم، بالمعنى السيكولوجي، يعيشون حياتهم مضاعفة، «ظل يستدرج غيمة بيضاء ينسج منها كفنه لسنوات طويلة»، عدة مرات، ويولدون مرة أخرى بعد موته.

وإذا كان الوطن، برحيل هذا الرجل، فقد شخصية استثنائية؛ فإن منطقة الجوف وحدها التي انكسرت من جهاتها الأربع، وثكلت مساحة من عمرها، تقدر بنحو نصف قرن، قضاها عبدالرحمن السديري فيها أميراً، عرف خلالها أهلها فرداً فرداً.. قرأ نُواح أشجارها حين يشح عنها الماء، وحفظ الأغاني التي تجعل نخيلها يثب من أديم الأرض باتجاه السماء، وعرف كيف يشيم بروقها، وأتقن ترصيع الصفوف المتأهبة على ضفة الغناء بملء صوته، في مناسبة تحرير الجزائر في احتفال أقامه أهالي الجوف آنذاك:

المجد الأول عاد كله من جديد

أحفاد طارق شمروا وابن الوليد

الحديث عن الفقيد من جهة الشعر والأدب - وهو شخصية متعددة الوجوه تشبه موشوراً هائلاً - يقودنا بالضرورة إلى نزهة صغيرة في دار الجوف للعلوم، المنبثقة عن مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، وهي مؤسسة ثقافية رائدة، وضع مؤسسها الراحل لبناتها الأولى في الثمانينيات الهجرية. فلم تكن في ذلك الوقت، سوى مكتبة صغيرة، تعَهدها برعايته، حتى أصبحت مؤسسة ثقافية فريدة على مستوى المملكة، تضم آلاف الكتب، وتتوافر على أوعية المعرفة المختلفة، وتحتضن كأول مؤسسة قسماً خاصاً بالنساء، مماثلاً لقسم الرجال في سعي دؤوب من أجل جعل الثقافة حقاً مشاعاً للجميع، لتسد الفراغ الذي شيَده غياب المؤسسات الثقافية الحكومية في منطقة الجوف، طوال عشرين عاماً.

لحسن حظي أنني في تلك الفترة، كنت أرافق عمي الذي كان يعمل آنذاك أميناً لمكتبة الثقافة، حيث هناك وقف الطفل الذي كنت مأهولاً بالدهشة

في رثاء رجل الوفاء

الأمير الراحل عبدالرحمن بن أحمد السديري

الدكتور أحمد بن محمد العيسى*

ارتبطت معرفتي القصيرة بالأمير الشاعر، صاحب القلب الكبير والمعدن الأصيل والحكمة، عبدالرحمن بن أحمد السديري، رحمه الله، بذكرى عزيزة على قلبي، قادتني لها المصادفة ليس إلا: فعلى الرغم من أني ولدت وقضيت سنوات عمري الأولى في مدينتي الغاط وهي مدينة أسرة السديري العريقة، إلا إن والدي، رحمه الله، انتقل وأنا على مشارف الدراسة في المرحلة الابتدائية إلى العمل في منطقة الباحة، مع أحد رجال أسرة السديري، وهو الأمير سعود بن عبدالرحمن السديري، حتى عاد إلى الرياض واستقرت أسرتي فيها؛ لذا كانت صلتي بمدينة الغاط ضعيفة أثناء مراحل الدراسة. وكان الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري أميراً لمنطقة الجوف في تلك الفترة، حيث خدم في موقعه القيادي لسنوات طويلة قاربت نصف قرن من الزمان، ولكن يسر الله لي في منتصف عام ١٤٠٨هـ، وكنت حينها طالباً بالدراسات العليا في الولايات المتحدة، أن أتقدم لخطبة ابنة أحد أعيان مدينة الغاط، وكان صديقاً ومرافقاً للأمير الراحل، عاش وأسرته معه في مدينة سكاكا لأعوام طويلة، وكان شاعراً مجيداً توفي، رحمه الله، في حادث سيارة، قبل خطبتي لابنته بأشهر قليلة.

وما أن علم الأمير عبدالرحمن السديري وكان ما يزال أميراً لمنطقة الجوف بموعد زواج ابنة صديقه، حتى أصّر رحمه الله، وفاء للرجل، الذي عمل معه لسنوات، على أن يقيم حفل الزواج ويستضيف المدعوين على نفقته وفي قصره العامر في مدينة سكاكا؛ فكان حفلاً بهيجاً لا تزال ذكراه تجلجل بين أضلعي، كان حفلاً عابقاً بكل معاني الوفاء والكرم والسماحة، شاركت في إحيائه فرقة الفنون الشعبية في منطقة الجوف، التي أتحفت الحضور بألوان من الأهازيج، والرقص الشعبي الأصيل.

تعرفت على الأمير في تلك المناسبة العزيزة وفي زيارات قصيرة للمنطقة، قبل أن يضطره المرض إلى التقاعد والراحة، فكنت أرى فيه تلك اللمحات الإنسانية العظيمة، تلك السماحة والدماثة، والمعاملة الرقيقة لمن حوله، والفخر بمشروع الوحدة وتأسيس الدولة، والانشراح عند الحديث عن مشاريع الدولة وخدمة المجتمع. وكان الحديث في مجلسه يزخر بقصص الرواد، وشهامة الرجال، وشظف العيش في الأيام الخوالي.. كان الاستنتاج الذي خرجت به من أول لقاء به في مجلسه واستماعي لحديثه مع المحاضرين، أن المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله لم يكن بحاجة إلى كثير من السلاح والجنود لإنجاز مشروع توحيد الجزيرة، وإنما عرف كيف يختار الرجال، فكانت قيادتهم وسيرتهم كفيلة بالتفاف الناس حول ذلك المشروع الجبار، الذي لم يشهد له التاريخ المعاصر مثيلاً. بعد ذلك، تعّرفت على إنجازات الأمير الراحل في منطقة الجوف، وتعّرفت على حبه للعلم والمعرفة: فكان من مشاريعه التي ما تزال تؤدي دوراً حضارياً بالغ الأهمية، إنشاء مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية في مدينة سكاكا، وتضم مكتبة عريقة باسم دار الجوف للعلوم، ولها نشاطات ثقافية مهمة في دراسات شبه الجزيرة العربية.

وكان لي لقاء آخر مع الراحل الكبير قبل وفاته بأيام قليلة، ولكنه لم يكن لقاء شخصياً، وإنما كان لقاءً معرفياً وسياحياً، خلال رحلة سياحية، شارك فيها خمسين شخصاً ونيّف من أعضاء هيئة التدريس وأسرهم في كلية اليمامة بالرياض، ومن جنسيات عربية وأجنبية إلى مدينة الغاط ومنطقة القصيم، فكانت أولى محطات الرحلة في مكتبة الرحمانية بمدينة الغاط التي تكتسب اسمها نسبة إلى الأمير الراحل عبدالرحمن السديري، والتي شيدها أبناؤه تكريماً ووفاء لوالدهم، فكان الوفد منبهراً بفكرة المكتبة وتصميمها المتميز، وبدورها الحضاري الرائد، في مدينة تتوسط صحراء الجزيرة.

* عميد كلية اليمامة بالرياض.



السديري من خلال مؤسسته

> بقلم د/ حسن بن فهد الهويمل*

عندما قضى الأمير عبد الرحمن السديري نحبه، لم تطو صفحات حياته، ولم ترفع أقلامها، بل ظلت كما هي تكتب سيرة حياة أخرى، حافلة بجلائل الأعمال، وبما أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، فإن المحسنين أحياء بمآثرهم عند من ينتفعون بصدقاتهم الجارية، كما قال الرسول ﷺ: «إذا مات ابن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث»، وأحسب أن للأمير النصيب الأوفى من هذه البشارة، ولا أزكي على الله أحداً، وكيف يموت من قامت مآثره تصل ما أنقطع دون منٍّ ولا أذى.

ومن بوادر التوفيق، أن يستبق الأبناء بالخيرات المستجيبة لحاجات العصر، وكم من محسن ظل مرتهناً لأنماط الصدقات التقليدية، وفات الأكثرين أن ما يبذلونه في سبيل الله يتسع لأكثر مما هو متداول، ومعهود عند الناس من وجوه الصدقات، ومن مخارج الزكاة المفروضة (في سبيل الله)، ولقد اختلف الفقهاء والمفسرون حول مشمولات هذا الصنف، ولما كانت متطلبات العصر مواكبة لمتغيراته، فقد أدرك ذلك الراصدون لها، وسبقوا إلى وجوه النفع التي عجز عنها الأكثرون وإشاعة العلم، والثقافة، وبناء المؤسسات العملاقة، بعض تلك الوجوه، وقد لا يمر بخلد أحد من أصحاب الدثور ما نشهده اليوم من وجوه البر والإحسان المتنوعة، مما عمد إليها المستشرفون للمستقبل المستجيبون لمتطلبات العصر الحديث من مكتبات زاخرة بأنواع المعارف، ومطبوعات، ودوريات، ومنتديات، ومؤسسات عملاقة، تستوعب ذلك كله، وتهيأ فيها أمكنة للقراءة، وخلوات للبحث، وأجهزة للتواصل مع مكتبات العالم، تنطلق فيها المطبوعات لتصل إلى طلاب لمعرفة، حيث كانوا في آفاق المعمورة.

إن مؤسسة عبد الرحمن السديري الفكرية تمارس عملاً حضارياً يستجيب لرغبات العلماء، والمفكرين، والأدباء، وتسد حاجاتهم، ولست أعرف أشرف أو أعز من الذي يبني وينشئ الثقافة والمعرفة ويقربها إلى طلابها، ويضيء عتمة الحياة، وينجز موائد المعرفة للعقول المتعطشة لها في زمن يتنافس أهله في إشاعة حضاراتهم، وتوهين حضارة الآخرين.

ومؤسسة كتلك التي نشهد بما علمنا فيها تبذل من الجهد والمال ما يستجيب لكل متطلبات الثقافة المعاصرة، إذ لا يقرب المعارف لطلابها إلا المؤسسات القائمة على أحدث الأساليب.

لقد قلت بعض ما أعرف عن الحاضر الغائب الأمير عبد الرحمن السديري - رحمه الله، يوم وفاته، وكانت الرغبة تراودني للاستكمال الحديث عن مآثره المتعددة المهمات، والمواقع لنرد له بعض ما له علينا وبخاصة أنني من ورث المعرفة من أبيه، ثم وصلها بمعرفة مباشرة، إذ كان لي شرف التواصل مع معاليه عن طريق تلك المنشأة المتعددة المهمات، وما كان لمثلي أن يقطع صلته، وقد ترك رحمه الله حبال التواصل ممتدة لمن شاء أن يفيد أو يستفيد، وكل من حمل هم الكلمة الطيبة، بكل ما تنطوي عليه من جمال وجلال، وإمتاع ونفع لا يجد بدأً من التواصل مع تلك المؤسسة المستجيبة لمتطلبات المرحلة المعاشة، وكل ما تعج به من مؤسسات ثقافية، ذات أهداف متعددة، ولئن كانت المؤسسة في منطقة أحبها الفقيد، وأنفق فيها زهرة شبابه، وترك فيها ما يحفظ الذكر الحسن، إلا أنها من الجميع للجميع، فهي مشرعة الأبواب لكل من أراد النفع، والانتفاع، والمؤسسة وإن انتمت زماناً أو مكاناً، فإنها بتسبيل المنفعة، وتحبيس الأصل تملك القدرة على الانطلاق في الآفاق، متخلصة من محدودية الزمان والمكان، وذلك عبر الاستقطاب للكفاءات المعرفية واختراق كافة الأجواء بالمطبوعات الإعلامية والمعرفية.

لقد حفظت لنا المخطوطات والمطبوعات، جهود علماء احترمتهم يد المنون قبل مئات السنين، عاشوا في أزمنة وأمكنة متباينة، وما استطاعت يد النسيان



أن تطمس معالمهم، ولا أن تحول دون انطلاقة أعمالهم عبر الأمكنة والأزمنة، لتكون حاضرة في كل مكتبة وبيت، ومدرسة، وجامعة، والمسكونون بهم الكلمة يعرفون آلاف العلماء والمفكرين والأدباء من خلال آثارهم المخطوطة، والمطبوعة، والمعنيون بإشاعة المعرفة من خلال المطبعة، أو المكتبة، يصلون ما أنقطع ويمكِّنون طلاب العلم من التواصل مع من سلف من العلماء والأدباء.

ومؤسسة السديري ستظل كما لو كان صاحبها حياً يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، تؤدي رسالتها الحضارية كل حين بأمر ربها، فالمكتبة مشْرعة الأبواب والمطبوعات الإعلامية، والمعرفية، والدورية، تجد طريقها إلى آفاق البلاد، لتكون حاضرة عند كل عالم، ومفكِّر، وأديب، وكل الذي يوده المؤسس أن تمتد يد المحتاج إلى ثمر المؤسسة الداني، وهو ثمر لا يقاس بالمحسوس من مأكل، ومشرب، إنه غذاء الأفكار، والمعقول، ومن ذا الذي لا يعرف قيمة الكتب، والدوريات، والمكتبة الحديثة، بكل ما تتوافر عليه من كتب في مختلف المعارف، وأجهزة حديثة تصل المنتفع بآفاق المعمورة، وتطوف به مكتبات العالم، وتهيئ له من المستجدات ما لا يقدر على توفيره بنفسه، ولقد أدت المكتبات العامة في عواصم العالم الإسلامي أدواراً إيجابية، عرفها العلماء المهتمون، وإسهام الأفراد في إشاعة المعرفة، لا يقاس بإسهام المؤسس، ومن ثم فإن قيام المشاريع الثقافية مؤذن بتواصل العطاء واستيفاء متطلبات العصر.

إن أجواء المؤسسة مغرية لكل من عايشها عن قرب، وتلك المؤسسة بما هي عليه، وبما هي لها من إمكانيات مادية، وفنية، لمّا تزل في حراك متواصل، وتجديد مستمر، واستثمار لكل مستحدثات العصر، ووجودها بهذه الإمكانيات يضيف إلى المنطقة مزيداً من العلم والثقافة، كما أنها تخلق أجواء معرفية تغري الهوات والشداة، وتهيئ لهم مكاناً قصياً يخلون فيه بما يريدون من الكتب، والأجهزة الحديثة، التي تختصر الجهد والوقت.

والحديث عن المشاريع الثقافية العملاقة، يقّر بها من ناشئة الأمة التي هي أحوج ما تكون إلى تجسير الفجوات بينها وبين قلاع المعرفة ومصادر الثقافة المأمونة العواقب، ولاسيما أن دعاة الفتنة والظلال يقعدون للشباب كل مرصد، ويهيئون لهم من الوسائل، ما يشدهم ويثير غرائزهم وفضولهم، وهذه المؤسسات التي يشرف عليها الأكفاء الناصحون، لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، تحول دون إضاعة الجهد والوقت والمال، للتهافت على مصادر الفتنة والتضليل.

فالعناية بالكتاب، والدورية، والأمكنة، والأجهزة الموصلة إلى المعرفة، وتيسير ذلك لطلابها، من المهمات الجسام، التي لا يقدر عليها إلا أولو العزمات القوية المستشرفون للمستقبل، والتعهد بالعطاء، لا يلقاه إلا الرجال الأوفياء لعقيدتهم، ووطنهم، ومواطنيهم، وما كنت أعرف صدقة تنازع إشاعة الثقافة، وتهيئتها لمن أرادها.

والذين تواصلوا مع مآثر الفقيد، يدركون أنه الحريص على العطاء، السبّاق إلى الإحسان، المتعددة الوجوه، ومن وجد الإحسان، قيداً تقيداً، لقد مرّ بالحياة خلق كثير، ومضوا دون أن يبقى لهم ذكر حسن مع إمكانية أن يعيشوا بالذكر الحسن، وما دروا أن الذكر للإنسان عمر ثانٍ، وأن الصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع به من ثوابت الذكر الحسن، بل لا بد من التحريض، والتحفيز لمزيد من العطاء، وما أكثر الأثرياء المترددين، الذين يحبون الخير ويستبقون إليه، ولكنهم لا يتقنون من المبادرة، ولا يجدون الثقة في المغامرة المحسوبة، ومثل هذه المؤسسة بكل ما تعج به من الإمكانيات كافية، لكي تكون قوة للخيرين من أهل الدثور.

لقد كان لي شرف التواصل، مع تلك المؤسسة الثقافية، في بواكير إنشائها. وقد أدركت من خلال ذلك التواصل، أنها تمتلك القدرة على الاستمرار، والتطور؛ فالإمكانات المادية، ضمنت لها الاستمرار والإمكانيات المعرفية ضمنت لها التطور، ومواكبة الحياة المتغيرة، مؤشر وحي ثاقب، يستشرف المستقبل، ويستوعب تجارب من سبق. والمؤمل من ذوي الثراء، أن يستبقوا الخيرات قبل أن يسبق إليهم العجز أو الموت، فيحول بينهم، وبين ما يشتهون، وما أكثر الذين فوّتوا الفرص

على أنفسهم، وعلى من يحبون بالتسويف والتردد.

والمؤسسات الثقافية، إن لم تمتلك المرونة، والاستجابة للمتغيرات، تظل أثراً بعد عين.إن الحضور الفاعل لكثير من المؤسسات، مرده إلى مرونة الحركة، والتواصل الايجابي مع كل المستجدات. قد توفرت تلك لمؤسسة العرقية، على المبادرة، والعمل الناجز، واستوعبت كل المستجدات التنظيمية.

ومؤسسة السديري من ذلك النوع، إنها كما لو كانت بنت ساعتها، تستجيب لمتطلبات المرحلة، وإذا كان أبناء الفقيد، قد استجابوا لنداء الوطن، وبذلوا المال والجهد والوقت، فإن واجب النخبة شد أزرهم وتبادل المنافع مع تلك المؤسسة الحضارية، فما هي بكل امكانياتها إلا ملتقى لتلاقح الأفكار.

واستجابة العلماء، والمفكرين، والأدباء، تمكن المؤسسة من الحضور الفاعل، وما دامت مشرعة الأبواب لكل قاصد، فإن من الخطأ التسويف، إنها قائمة لاستيعاب أكثر عدد من طلاب المعرفة.

وحق المحسنين، أن نُعرف بهم، وأن نمهد الطريق للوصول إلى منشآتهم، هنا وهناك، فالتواني والعزوف يعطلان المنافع المتداولة لكل منتفع، والاستفادة تسعد المؤسس في قبره، وتسعد أبناءه الذين يودون أن يمتد نفع المؤسسة، وماذا علينا وعليهم، وقد قامت المؤسسة بقاعاتها، وكتبها، ومجلاتها، ومواسمها الثقافية، أن نواصل التواصل، حسب الطاقة، ووفق الإمكانيات.

فإن قامت حاجاتنا إليها، فلا ضير أن نسعى إليها، وإن قامت حاجاتها إلينا، فمن حق المحسن أن نستجيب له، وبخاصة أن مواسمها الثقافية بحاجة إلى المشاركين. إننا في زمن المجتمع المدني القائم على المؤسسات، واستجابة القادرين يعطيه مزيداً من القدرة على استكمال متطلباته، ولن يأخذ المجتمع زينته حتى يكون العمل فيه على قدر الطاقة. رحم الله الفقيد، وجعل ما قدّم في ميزان حسناته. وشدَّ أزر عقبه، ومنحهم القوة لمزيد من العطاء.

* رئيس النادي الأدبي بالقصيم - سابقاً.

وقفة مع سيرة أمير

> إبراهيم خليف مسلم السطام

أثناء زيارة جلالة الملك سعود، رحمه الله، إلى منطقة الجوف عام ١٣٧٣ هـ، حضر إلى مخيم جلالته أحد المواطنين، وهو يحمل شكواه ضد أمير المنطقة، وبسبب تزاحم المراجعين تعذر على هذا الرجل الوصول إلى مكتب الملك في المخيم، وتصادف مرور الأمير بجوار هذا الرجل فتناول شكواه، وسلمها لجلالة الملك سعود، فقال له الملك هذه الشكوى ضِدَّك، فأجاب الأمير أعلم ذلك جيداً. فإذا كان له حق عندي، فخذوه مني، وإن لم يكن فالأمر لجلالتكم.

عن هذا الرجل أحدثكم، ذلكم هو الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري أمير منطقة الجوف سابقاً، رحمه الله، وهذه إضاءة سريعة على صفاته الإنسانية، الذي يستعصى علينا في هذا العصر، أن تجد منافساً له في ميدان الحكمة والتواضع. ومن العسير أيضاً أن ينتزع أحد منه صِفَاتٍ عُرِفَ بها بين الخاصة والعامة من سكان هذه البلاد، على مدى سنوات تحو نصف قرن قضاها بيننا. لقد كانت شعاراته ومدرسته الأخلاقية مضرب المثل للجميع، وإذا تعذر الإتيان عليها بالتفصيل فلنذكر



ما تيسر منها بإيجاز:

الحلم سيد الأخلاق: نعم لقد وُهِبَ الأمير حلماً وعاطفة وَسِعَتْ الجميع، حتى أولئك الذين جَهِلوا أو أساؤا بجانبه وما أكثرهم. ولو كان في هذا المقام متسع للحديث لامتلأت الصفحات بالروايات والأخبار، التي تتكرر على ألسنة الناس، هنا وهناك، عن مناقبه ومآثره، وحسن تعامله مع الخاصة والعامة.

وفي جميع الأحوال، وفي أيامه ولياليه، لم تَلْقَه غاضباً، ولا منفعلاً، ولا متعجلاً، مهما كان الخطب جللاً، والموقف عسيراً، فكان حظه عظيماً في حياته، ونرجو له ذلك في آخرته. أما شعاره الآخر فهو:

من تواضع لله رفعه: لقد كان من اليسير على الشيخ والمرأة والضعيف وذي الحاجة، أن يوقفه أو يخلو به على إنفراد، وهو في طريقه أو في مكتبه، لِيُفْضي إليه بشكواه، ولِيَبُثّه ما يجيش في خاطره، وما أكثر أولئك الذين حُلَّت مشاكلهم وقُضِيَت حاجاتهم بفضل الله عليه، إذ منحه قلباً كبيراً يتسع لهموم الآخرين.

أما عصاه السحرية: فهي الصبر والصفح وهما من عزم الأمور، وبهما يَحلّ المعضل من القضايا والشائك من الأمور. كان صاحب مدرسة فريدة في تعامله مع مواطنيه، كان أباً وأخاً للجميع؛ ينشغل بقضية العاجز والضعيف، ويتابعها بنفسه حتى تُحَلّ، ويعفو عن الجاهل، ويستجيب للشفاعة في غير الحدود.

يشاطر الناس أفراحهم وأتراحهم، ويستجيب لدعواتهم ويحضر مناسباتهم، ويقضي ساعات من وقته لإصلاح ذات البين؛ لكي يَحُلَّ الوئام محل الخصام بين الأسر وأهل الخصومات. كان عوناً لكل من يلوذ به من أبناء هذه البلاد ، ولعله من النادر أن يخلو مجلسه أو مكتبه من واحد أو أكثر من الوافدين إليه من بوادي المملكة وحواضرها، يطلبون منه العون والشفاعة أمام ولاة الأمر، ومن العسير عليه أن يرد أحداً خائباً.

كان يصغى إلى الآخرين من حوله، من ذوي الرأي والحكمة ومن ذوي الاختصاص، ولم يكن يبخل النصيحة يسديها لمن هو بحاجة إليه أو يطلبها منه.

وحتى في جانب العمل الرسمي، فقد كانت تَغْلُبه النزعة الإنسانية في تصرفاته وفي قراراته؛ فَقُبَيْلَ إحداث البلديات في المنطقة، كان يحث الناس على توثيق تَمَلُّك أراضيهم تحسباً للتعقيدات الإدارية المنتظرة. وعندما حلت السنوات العجاف بالمنطقة خلال الفترة من ١٣٧٠ إلى ١٣٨٠هـ سعى إلى إقامة مشروع توطين البادية في وادي السرحان وصوير وغيرهما، كما سعى إلى صرف مكافآت لطلاب المدارس بهدف تشجيعهم على مواصلة التعلم. وكان رائداً للنهضة الزراعية، ومشجعاً للعلم والرياضة، وما أكثر مساعيه ومبادراته الإنسانية في خدمة أمته ووطنه.

ولمن يريد التعرف إلى شخصية هذا الأمير عن قرب، فسوف يجد بُغْيَته في ديوانه (القصائد) وفي قصيدته (الرفيق)، وسيجدهما مشحونان بالحكمة والعاطفة، وتقطران بالوجدان والأحاسيس الفياضة نحو مجتمعه، ونحو محبيه، وذوي قرباه.

وننتظر تدوين سيرة الأمير، وإصدارها في كتاب، يضم سجلاً وافياً لتاريخ الأمير عبدالرحمن السديري، يوثّق أعماله ومبادراته خلال حياته، التي أمضى نحو نصف قرن منها أميراً لمنطقه الجوف.

عبد الرحمن بن أحمد السديري.. الذي أحب الشعر والسياسة.. والاخضرار

> د. عبد الرحمن الشبيلي

أراد له القدر، منذ شهر شوال ١٤١٠هـ ابريل ١٩٩١م، أن يبقى فاقد الوعي، طريح الفراش، تحت رقابة الأجهزة الطبية، تغذي عروقه، وتنظم نبضات قلبه؛ فلا هو الذي ارتاح، ولا هو الذي فتح عينيه، كي تقر بالمحيطين بحبهم حوله، ويرى كيف تحولت الحياة طيلة فترة مرضه الأخير.

وفي الوقت الذي يتعذر على كاتب مراقب مثل محرر هذه السطور، أن يكتب في عجلة عن إنسان لم يجالسه، أو يعش قريباً منه، لكن زمالة ابنه الأوسط (د. زياد) في مجلس الشورى، وصداقة إخوته، قد أتاحت لي فرصة قراءة بعض صفحات سيرته، والتعرف على منهجه وتفكيره، وسماع شيء من شعره، وزيارة معشوقتيه: (الجوف والغاط)، ومتابعة نشاط مؤسسته الخيرية، والتنزه في مزرعته (الفاخرة)، وتذوق انتاجها من التمر الفاخر، والتجول مشياً على الأقدام في المناطق المحيطة بالغاط، من سهل الحمادة ونفوذ الثويرات وعروقه، إلى المستوى غرباً.

إن أسرة السديري المعروفة في محافظة الغاط (بإقليم سدير التابع لمنطقة الرياض)، نزحت منذ قرون من جنوبي نجد. وقد اشتهر منها جد معظم أفرادها الحاليين: أحمد السديري (الأول) وهو جد الملك عبد العزيز لوالدته، وقد تولى إمارة الإحساء في عهد الإمام تركي بن عبد الله آل سعود، مؤسس الدولة السعودية الثانية، ثم أوكل إليه إمارة البريمي (وساحل عُمان) في حدود عام ١٨٥٣. وتذكر بعض كتب التاريخ أن صلة هذه العائلة بالأسرة المالكة السعودية ربما كانت قد بدأت منذ أواخر الدولة السعودية الأولى.

كما اشتهر من هذه العائلة حفيده أحمد السديري (الثاني)، وهو والد الأمير عبد الرحمن (شخصية هذا الموضوع) وجد الملك فهد وإخوانه لوالدتهم، وقد اسند إليه الملك عبدالعزيز مسؤوليات عدة في الوشم والقصيم والأفلاج والغاط، وتوفي عام ١٣٥٤هـ ١٩٣٤م، وخلف من الأبناء ثمانية وهم: تركي وعبد العزيز وخالد ومحمد وعبد الرحمن ومساعد وسليمان وبندر، ومن البنات خمس عشرة، من بينهن حصة بنت أحمد السديري والدة الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن والملك فهد وأشقائه وشقيقاتهم.

ولد عبد الرحمن السديري في بلدة الغاط عام ١٣٢٨هـ (١٩١٨م)، وتلقى تعليمه في الكتاتيب، على يد عدد من مشايخ بلدته، والوافدين إليها من أقاليم مجاورة، ثم سعى لتطوير نفسه في زمن لم يكن يوجد في نجد أي لون من ألوان التعليم الحديث (حتى منتصف الخمسينيات الهجرية الثلاثينيات الميلادية).

لكنه، وقد نشأ، شأنه في ذلك شأن كل إخوانه السبعة، في بيت منهمك مع المؤسس الراحل (الملك عبد العزيز) في جهوده المظفرة لتوطيد أركان الدولة الفتية، وتأمين أسباب الأمن في إرجائها، وجد في بيئة أسرته المعروفة بالفروسية والأدب والانفتاح الفكري تعويضاً عن السير في مناهج الدراسة النظامية، المحرومة منها نجد أساساً.

وفي الخامس من شهر رمضان المبارك ١٣٢٦هـ

١٩٤٣/٩/٥ (أي خلال عهد الملك عبد العزيز) عُين أميراً لمنطقة الجوف، الواقعة شمال غربي المملكة العربية السعودية، وكان قد بلغ الرابعة والعشرين، واستمر في هذا المنصب ثمانية وأربعين عاماً، إلى أن تقاعد في ١٤١٠/٧/١هـ ١٩٩٠/١/٢٧م. وقد شارك في بداية عمله بنشاط سياسي وأمني استمر نحو سبع سنوات، يتعلق بمفاوضات الحدود الشمالية الغربية مع جيرانها. وقد أقام له أهالي الجوف مساء يوم الخميس ١٤١٠/١٠/٢٩هـ (١٩٩٠/٥/٢٤) حفلاً تكريمياً حضره الأمير أحمد بن عبد العزيز، نائب وزير الداخلية.

لكن القدر لم يمهله طويلاً، بعد ترك العمل، ليستمتع براحة بعيدة عن التزامات الوظيفة، وليسعد بأوقات يقضيها قرب أولاده وأحفاده، فعاجله المرض، ليفرض عليه إقامة إلزامية دامت خمسة عشر عاما. وقد أنجب من الأبناء خمسة هم: فيصل، وسلطان، ود. زياد، وعبد العزيز، ود. سلمان، ومن البنات ثمان هن: دليل، وحصة، وجهير، ولطيفة، وشيخة، وجواهر، ومشاعل، وريم.

إن من الصعب أن يوجز التاريخ في سطور، كما أن المقام أيضا لا يتسع للإطالة، فنكتفي بلمحات موجزة من حياته:

الأولى:

لم يشتهر عبد الرحمن السديري كثيرًا بين الناس بشاعريته، لكن من يتأمل في ديوانه (القصائد) المطبوع عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م سيجد أنه أمام شعر رقيق الكلمات، جزل الأسلوب، عميق المعاني، وأن ديوانه لم يأخذ نصيبه الجدير به من التوزيع والدراسة النقدية، وربما كان عزوف الشاعر عن نشر إنتاجه في حينه قد أسهم في عدم شهرته.

على أن الديوان قد أعد بمنهجية عالية الجودة وهوامش مستوفية، وقدم له ابنه (د. زياد) بمقدمة حلل فيها شعر والده، وضمنها دراسة عن الشعر النبطي، وعن الأغراض الشعرية التي طرقها، والمرجو، بالمنهج نفسه، أن يسعى لإعادة إصداره لإضافة كل ما جد عليه من قصائد أو مساجلات، مع استدراك ما قد يكون لوحظ عليه من تصويبات.

وقد تضمن الديوان نحو مائة قصيدة، صُنفت في خمسة فصول هي: الشوارد، والوجدانيات، والغزل، والرثائيات، والعرضات، مع فصل إضافي خصص للقصائد المتبادلة (الردود)، وقد قامت مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية بنشره، وخصصت ريعه للأهداف الخيرية.

ويمكن في هذا المقام أن يُستشهد بأبيات من (وصيته) التي يقول فيها موجها حديثه إلى ابنه الأكبر فيصل (وهي من تسعة أبيات):

لا مت في رأس الشعيب ادفنوني
بالرجم فوق المالحة والبديعة
اضفوا عليّ ترابها واحفظوني
وحطوا على قبري حصاة رفيعة
أنا من الدنيا خلصت اعذروني
لي جانب الله عن حياة وضيعة

ويقصد بالبيت الأول مزرعة له أخرى على ضفاف شعبي الغاط.

الثانية:

أن الأمير عبدالرحمن السديري، الذي أمضى كما سلف، قرابة نصف قرن أميراً على منطقة الجوف، قد نشأت بينه وبين المنطقة حميمية خاصة، بلغ بها الأمر أنه لا يكاد يغيب عنها عدة أيام، حتى يبث لهفته نحوها شعراً للعودة إليها، ثم يبادله الأهالي تحاياه بأحسن منها.

ولقد صوّر أحد الأدباء وهو د. احمد اللهيب حالة المنطقة مع أميرها، بأنها حالة فريدة من الألفة والتآخي، وتبادل المساجلات المليئة بالود والمشاعر النبيلة من الطرفين، في وضع استطاع من خلاله أن ينتقل من قصر الإمارة ولغة السطوة إلى عطف الأبوة



وشقشقتها، وإن المجتمعات في أزمة من هذا النوع، وقد تضمن ديوانه، فصلاً مستقلا لهذه المساجلات أطلق عليه اسم «الجوفيات».

الثالثة:

أنه كان من أوائل من سعى إلى تجسيد رغبته في تنمية منطقته ثقافياً بشكل مؤسسي باق للأجيال، فأنشأ عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م في أثناء توليه الإمارة مؤسسة خيرية وقفية تحمل اسمه، وتعمل على نشر الوعي المعرفي والثقافة العامة، وخدمة التراث الشعبي النابع من المنطقة، وكان من أبرز انجازات هذه المؤسسة مكتبة عامة عامرة للرجال وأخرى للنساء (دار الجوف للعلوم).

إن هذه المكتبة التي كان قد أسس نواتها عام ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م، لم تكن مكتبة تقليدية، بل داراً حقيقية للبحوث المتعلقة بتاريخ المنطقة وتراثها، وتدوين ما يتعلق بدراسات الرحالة والمستشرقين التي تحدثت عنها.

ولعل من أبرز انجازات هذه المؤسسة أيضاً جامعاً ومدارس ونزلاً فندقيا بنيت على أحدث الطرز المعمارية المستمدة من تراث المنطقة.

الرابعة:

وكان عبد الرحمن السديري من أمراء المناطق الذين حرصوا على إقامة مزرعة نموذجية، تكون مدرسة تطبيقية تخدم التجارب الزراعية المناسبة لبيئة الجوف. وقد أردف إنشاء هذه المزرعة بإقامة مسابقة محكّمة للمزارعين، منذ عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، تُقدم فيها الجوائز للأفضل في كل جوانب الإنتاج الزراعي، وتنظيم البساتين، والابتكارات الخاصة بالمهنة.

ولم يتوقف تفكيره عن الاهتمام بأمور الزراعة، بل شملت كذلك قضايا تنموية اجتماعية أوسع، مثل: مشروع توطين البادية في وادي السرحان (شمالي البلاد)، كما اهتم بإقامة سباقات الهجن التي كان لمنطقة الجوف أسبقية التفكير فيها، مع ما يرافقها من أنشطة تراثية، كمعارض السجاد والمنسوجات التي تتم بأيد نسائية محلية، فأصبحت تلك الأنشطة من أهم المهرجانات السنوية التي يترقبها الأهالي وتجتذب إليها السائحين والزوار.

ومن الجدير بالذكر، أنه قد دَون تاريخ منطقة الجوف (ودومة الجندل)، التي تعد إحدى أبرز مخازن الآثار في المملكة، وتضم معالم تاريخية إسلامية وثمودية ونبطية، وشواهد حضارية تمثل امتدادا لآثار البتراء ومدائن صالح ووادي النيل وفلسطين، فألف كتاباً توثيقياً بعنوان: «الجوف: وادي النفاخ»، صدر عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٦، وتمت ترجمته إلى اللغة الانجليزية مع تخصيص ريعه للأهداف الخيرية، التي أنشئت المؤسسة من أجلها، وقد صدرت الطبعة الثانية (المزيدة والمنقحة) عام ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

وكانت جريدة «الشرق الأوسط» في عددها الصادر يوم ١٩٨٢/٨/٢، قد استعرضت أبرز محتويات هذا الكتاب، كما تطرق إليه كتّاب آخرون في الصحف السعودية المحلية.

لقد تطرقت مراجع عدة إلى ذكر الأمير عبد الرحمن بن احمد بن محمد السديري، ومن بينها كتب بعض الرحالة المعاصرين الأجانب الذين مروا بالشمال الغربي من الجزيرة العربية، مما قامت مؤسسته الخيرية برصد كتاباتهم الجغرافية التاريخية.

وهكذا، فان استعراضاً سريعاً لسيرة الأمير عبد الرحمن السديري، آخر أخوال خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، رحمه الله، وأشقائه وشقيقاته، يكشف عن كثير من أوجه التشابه بينه وبين إخوته السبعة أبناء احمد السديري، وبخاصة في النشأة والمسؤوليات والشاعرية، وأمور أخرى.

رحمه الله رحمة واسعة

---

* إعلامي سعودي.



عبدالرحمن السديري

أمير الجوف: مسيرة حافلة

> د.عبد الواحد الحميد

فقدت المملكة أحد رجالاتها البارزين: الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، الذي انتقل إلى رحمة الله، بعد حياة حافلة بالعطاء والإنجازات، وقد قضى معظم سني حياته أميراً لمنطقة الجوف، وارتبط تاريخه الشخصي بتاريخ هذه المنطقة، حيث ظل أميراً لها من عام ١٣٦٢هـ إلى عام ١٤١٠هـ.

وعلى مدى تلك السنوات الطويلة، كان ارتباطه الوثيق بالمنطقة، فلم يكن مجرد حاكم إداري للمنطقة وإنما ارتبط ارتباطاً حميمياً بها وبأهلها.. فقد كتب عنها كتابه الشهير «الجوف: وادي النفاخ»، الذي يُعد أهم وأشمل كتاب مرجعي عن المنطقة.. كما كتب العديد من القصائد، التي يتغنى فيها بالجوف وأهلها وكرمهم، ومنها «هجينية» شهيرة متداولة بعنوان «بلغ سلامي»، يخاطب فيها أحد مرافقيه وسائقه واسمه «قادي» يقول فيها:

ما توصّل القول يا قادي
للدار واللي سكن فيها
جملة هل الجوف والوادي
للحضر والبدو تهديها
بلّغ سلامي بلا اعدادي
حاذور لياك تخفيها
دار ورا العرق من غادي
لو غبت ماني ناسيها
دار بها الجود واجوادي
غير الوفا، الضيف يغليها

وكان الأمير عبدالرحمن شاعراً كبيراً، يرتجل القصائد في المناسبات والعرضات الشعبية ويتغنى بالجوف.. وحتى في سفره للعلاج خارج المملكة، كان يكتب القصائد عن الجوف، ويرسلها مع المسافرين الذين يزورونه، ومنها قصيدة «المطراش»، التي كان من ضمن أبياتها قوله:

هيه ياللي نويتوا على المطراش
خبروني على الدرب وادلّه
جسمي اللي على شوفكم معتاش
إن رحلتوا تبين على خله
خبروني عن الدار يا هنّاش
وارفعوا لي صدى صوتكم كله
جعل وبل الحيا لا نشا واهتاش
يسقي الجوف من بيط لمظله

دارنـا حبهـا مـن صميـم الجـاش

مـن نسـاهـا عسى الـنـار مـثوى لـه

وفي مسيرة الأمير السديري، استهواني دائماً اهتمامه بالجانب الثقافي؛ فقد أنشأ في الثمانينيات الهجرية من القرن الماضي المكتبة العامة بالجوف من حسابه الشخصي، ووفَر لها الكتب والمطبوعات والصحف.. فأصبحت مركز إشعاع ثقافي في المنطقة. ولا زلت أذكر كيف كنت في فترة مبكرة من العمر، أتردد على تلك المكتبة، وأمكث فيها الساعات الطويلة لقراءة الروايات العالمية، ودواوين الشعر، والمجلات الأدبية والثقافية.

وقد تطورت هذه المكتبة إلى مؤسسة ثقافية كبرى، هي دار الجوف للعلوم، وهي جزء من مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية. وقد حدد نظام المؤسسة أهدافها الأساسية، المتمثلة في جعل دار الجوف للعلوم «مركزاً للبحث العلمي والأدبي، تتوفر فيه وسائل الدراسة والأبحاث العصرية، قادراً على الإسهام في هذا المجال على مستوى البلاد السعودية والدول العربية المجاورة»، و«حفظ التراث الأدبي والأثري في منطقة الجوف، وإنشاء متحف لهذا الخصوص، ودعم الدراسات ونشر المعلومات المتعلقة بمنطقة الجوف، و«الإسهام في دعم النهضة العلمية في منطقة الجوف، والعمل على رفع مستوى الفرد فيها: ثقافياً، وصحياً، واجتماعياً، واقتصادياً».

ومع مرور الزمن تطورت دار الجوف للعلوم، حتى أصبحت الآن واحدة من أبرز المكتبات العامة الرائدة في المملكة. وقد أنشأت منذ البداية قسماً للنساء مماثلاً لقسم الرجال. وتحتوي على أكثر من مائة وخمسين ألف كتاب وأكثر من مائتين وخمسين دورية، إضافة إلى أوعية المعلومات الأخرى، والمخطوطات، والوسائل السمعية والبصرية، والأفلام، والأشرطة.

ومن ضمن برامج المؤسسة الثقافية، برنامج النشر ودعم الأبحاث، تشرف عليه «هيئة النشر»، وقد صدرت عنه كتب عديدة في مختلف المجالات. كما يوجد برنامج لتمويل البحوث الميدانية والرسائل العلمية، التي تدرس موضوعات تتعلق بمنطقة الجوف. كما تصدر عن المؤسسة مجلتان: «الجوبة»، وهي مجلة ثقافية؛ ومجلة «أدوماتو»، المتخصصة في مجال الآثار، التي تعد الآن في طليعة المجلات الآثارية المتخصصة المحكّمة على المستوى العربي، وحققت شهرة في الأوساط الأجنبية، من خلال البحوث التي تنشر في القسم الانجليزي منها. وقد نظمت مؤتمراً علمياً حافلاً في الجوف في ديسمبر ٢٠٠٥م بعنوان «المدينة العربية»، حضره علماء بارزون في مجال الآثار من داخل المملكة، والعالم العربي، وأوروبا، واليابان.

وتقيم دار الجوف للعلوم نشاطات منبرية، بشكل مستمر، يدعى لها أدباء وعلماء ومثقفون بارزون من داخل المملكة وخارجها. كما إعتمدت المؤسسة برنامجاً لابتعاث المتفوقين من أبناء المنطقة للدراسة في الخارج. إضافة إلى العديد من الأنشطة الاجتماعية التي تهدف إلى إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية بالجوف.

ولا يمكن الإحاطة بكل عطاءات الأمير عبدالرحمن السديري وإسهاماته، رحمه الله، في مقالة صحفية سريعة؛ فهي متعددة تتوزع عبر مجالات كثيرة، ربما يحين الوقت لرصدها في كتاب عن سيرة الرجل، تصدره المؤسسة الثقافية التي أسسها واهتم بها كثيراً.. رحم الله الأمير عبدالرحمن السديري، الذي رحل عن دنيانا، بعد حياة حافلة وثرية.



معالي الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري

الفكر الثاقب والرأي الصائب

> سالم بن حمود الظاهر

عبد الرحمن بن أحمد السديري، رجل سبق عصره بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فقد كانت شفافية أفكاره مدعمة بواقعية أقواله في كل المجالات التي عمل بها منذ مطلع شبابه، فهو الأديب والمؤرخ والشاعر، الذي وضع نصب عينيه أهمية التربية والتعليم لأبناء الجوف، وفي الوقت نفسه، حثهم على مصادر الثقافة المتنوعة بوصفها المكمل الأساس للحياة، مؤمناً تماماً بأن المدرسة تعطي مقومات التعليم بشتى صوره وألوانه، وتهيئ الطالب ليستمر بعد اجتيازه كافة مراحل تعليمه إلى مدرسة الحياة، التي تستمر كشعلة لا تنطفيء، وقودها الثقافة والكتاب والمكتبة. وكذلك كانت نظرة معاليه إلى المرأة، بوصفها النصف الثاني والمكمل للمجتمع السليم الناهض، وللأبناء والبنات الذين هم رجال ونساء المستقبل.

في عام ١٤٠٣هـ كانت دار الجوف للعلوم بقسميها، فكرة يتوق معاليه إلى تنفيذها، ويضع ثقافة الأسرة بكاملها أمام حقيقة ساطعة. ربما رأى البعض أن الوقت كانت مبكراً لتنفيذها، وكانت رؤية معاليه ثاقبة، لأن الثقافة لا يمكن أن تؤجل أو يوضع لها جدول زمني. وكان معاليه يؤمن بأن الاهتمام بالثقافة هو سبيل الأمة إلى القوة، ودعمٌ لها على البقاء، وسلاحٌ للتفوق، ورمزٌ لعزة المواطن السعودي وكرامته، بل وللمجتمع بأكمله.

وهكذا أصبحت دار الجوف للعلوم امتداداً لمكتبة الثقافة العامة، التي أنشأها معاليه عام ١٣٨٣هـ واستمرت حتى عام ١٤٠٣هـ، إذ تأسست مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية وانتقلت مجموعاتها من الكتب والمصادر، إلى مبناها الحالي، واستمرت طوال هذه السنوات تمثل عظمة رجل، كان بعيد النظر حريصاً على الثقافة .

فقد كان معاليه - يرحمه الله - يرى في الكتب مؤنساً في الوحشة، وصاحباً ونديماً في الغربة، ومعيناً ومسانداً عند الضراء، وسلاحاً قاطعاً ضد الأعداء، وعلى دربه سار كل أبنائه ومحبيه، تغمده الله بواسع رحمته.

ولا يفوتنا أن نذكر مجلسه الذي ظل عامراً طوال حياته باستقبال القاصي والداني يومياً، متميزاً بالود، والزهد، والعلم، والتواضع، والأخلاق الحميدة، والكرم، والذي ذكرنا بقول الشاعر:

وذكّرني حلو الزمان وطيبه
مجالس قوم يملئون المجالسا
حديثاً وإشعاراً وفقهاً وحكمةً
وبراً ومعروفاً وإلفاً مؤنسا

في وداع والدي عبدالرحمن بن أحمد السديري يرحمه الله

> ريم بنت عبدالرحمن أحمد السديري

وقفت عاجزة أمام شجرة الحياة.. ألملم أجزائي المبعثرة، لأجمعها في صرَة الحياة، وأحكم إغلاقها، وأحملها على ظهري لأتابع المسير.

مددت يدي لتلتقط حزني.. فيهتف بي صارخاً.. ويحك ريم.. انتهى ماضيك!.. انتهى حزنك!...

فصرخت بألم، جاثية على ركبتي.. وقد انحنى ظهري وعجز عن حملي، لجلل المصاب.. مطلقة لدمعي العنان ليجري منهمراً حرّاً.. غير عابئة بحجمه أو غزارته..

وألمي يهتف صارخاً مجلجلاً يطرق صدري.. يريد أن يتفلّت، ومحاولة كبحه يعقبها زلزال يهزني.. وصرخة بعد صرخة.. مكتومة بين حنايا صدري... وكتمان الألم يعتصرني.. يؤلمني.. فألملم كلتا يديّ حول صدري، أحاول تهدئة روعي.. فأعجز.. فأنظر حولي، فأرى عيوناً تائهة حزينة، ووجوهاً شاحبة صامتة يعتصرها الألم.. فيزداد ألمي؛ فهي إذن حقيقة ماثلة.. يحاول فكري الهروب منها إلى الخيال، وأبتعد عن الواقع الأليم.. لكن المصاب أكبر؛ فأفيق على الحقيقة المرة ثانية.. ويزداد ألمي.. إنه قضاء الله وقدره.. نستقبله بالتسليم والرضا.. ولكن ألم الفقد يخيم علينا كشبح أسود أمام العيون بالغبش، فتمتد لتنتزع من قلوبنا الصبر والرضا، غير عابئ أو راحم عبرة محب..

والدي، بكيتك وتمنيت ألا أبكيك.. حزنت وتمنيت ألا أحزن.. وتمنيت ألا أتألم.. فالله سبحانه وتعالى أكرمنا بك.. فوهبك ما لم يهب إلا القلة من عباده.. ميّزك بصفات جليلة.. قديرة، لقد حملت لواء التقى والهدى؛ ففتح أمامك طريق الخير لتكون نبراساً يقتدي به، ويستظل تحته الكثيرون..



فكنت خير القائد وخير المعلم، وخير القدوة، وخير الحكيم.. وهبك الله صفات جليلة .. تستمد طاقتها من ديننا الإسلامي الحنيف.. فكنت مرشداً لنا إلى هدي الرسول الكريم.. وآخذاً بأيدينا إلى واحة الإيمان لنرتع في رحابها..

بدأت مسيرة حياتك صالحاً مصلحاً.. حاضناً معلماً.. باراً مبراً عطوفاً داعماً.. وسمو أخلاقك.. والدي.. يعكس معدنك الأصيل.. فنعلك موافق لفكرك..

شققت طريقك.. ونور الإله يرعاك.. والرؤية الواضحة تمهد مسيرتك.. والهدف السامي يوصل من حولك إلى الطريق القويم.. فعملت وأجدت.. وبذلت واجتهدت.. وكان همك إسعاد الآخرين.. وتيسير أمورهم وحمايتهم.. وإطلاق ما لديهم من طاقات.. وكانت هذه سعادتك.. بأن ترى الآخرين سعداء.. استقبلت الكبير والصغير.. واحترمت واحتويت الجميع.. وحنوت عليهم.. وقدمت لهم يد العون.. قدرت الفاضل.. وأدبت الضّال..

كنت مثلاً يقتدى.. ويحتذى.. خططت وبنيت.. وكنت حريصاً على مصالح الجوف داعماً لها.. فاستخرجت أجمل ما في الجوف.. وكانت روضة غنّاء.. يسودها الأمن والأمان... وحلّقت فوقها حمائم السلام.. فتمددت واستلقت وغفت تنعم بالهدوء والسكينة.. تسود فيها فضائل الأخلاق، وتحكمها أجمل الروابط الإنسانية. حميتها من الدخيل والمستغل.. فالتمّ حولك أفرادها كأسرة واحدة بألفة ومحبة.. كانت السعادة تغمرهم، والألم يوحّدهم.

أحييت من التراث ما حاولت الحضارة الحديثة أن تنهيه.. فوقفت بفخر واعتزاز لدعم موروثاتنا الأصيلة الجميلة.. فوقفت بجانبها حاضناً لها وداعماً.. لترى النور من جديد؛ فيسلط عليها الضوء وعلى مميزاتها التي تبعث على الفخر.

فكانت المدينة الفاضلة.. هداها أجمل هدية تهدى.. هدية العلم والثقافة؛ فبرزت دار العلوم شامخة لتؤدي دورها عبر الزمن.. ليرتقي على أعتابها المتميزون، وليكونوا هدية عبدالرحمن أحمد السديري للوطن ولأنفسهم.. فقد كان دائماً يؤمن بأبناء الجوف وقدراتهم..

ولم تكن الجوف محط اهتمام الوالد يرحمه الله - ويسكنه فسيح جناته - فحسب. فقد التفت إلى الغاط، وفاء لها ولشعابها.. فأعاد الإهداء لها بمجال ثقافي علمي.. وبدعم من حرمه منيرة بنت محمد الملحم.. فتقف الرحمانية شامخة بين نخيلها لتؤدي دورها في مجال العلم والثقافة.. آثارك والدي.. ما تزال شامخة.. تنبض بروحك النبيلة.. إنها عزائي إلى أن ألقاك..

ها أنذا أمدّ يدي لأقبض على تميمة الحياة.. لأعيد لقلبي رضاه بالقضاء.. وصبره على ألم الفراق.. لأخرج من كهف أحزاني وظلمته.. رافعة رأسي.. شامخة.. أحث الخُطى. فيكفيني فخراً أنك والدي.. وأني أحمل اسمك.. سأسير في هذه الحياة.. ونور الإيمان يضيء طريقي.. وأملي أن يكتب الله لقيانا تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.. وأن يغفر الله لك والدي.. ويغدق عليك شآبيب رحمته.. ويدخلك فسيح جناته، مع الصالحين والمتقين من عباده.. وإنا لله وإنا إليه راجعون...

ومددت يدي لألتقط حزني، وأضعه في الصرّة مع شديد ألمي، وخوفي من المجهول.. وتوكلت على رب العباد، لأتابع المسير في خضم هذه الحياة.

مواقف إنسانية وعبر من سيرة الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري رحمه الله

> علي الراشد

كان اللقاء الأول مع معالي الأمير، رحمه الله في إحدى ليالي شعبان من عام ١٤٠٣هـ الموافق يناير١٩٨٣م، وبدعوة كريمة من الدكتور زياد بن عبد الرحمن السديري، لمناقشة تجهيزات، مكتبة دار الجوف للعلوم. لقد كانت ليلة جميلة، وعلى الرغم من برودة طقسها، فقد أضفى عليها الأمير عبد الرحمن دفئاً لطيفاً، ومرحاً، من خلال اهتمامه وفرحه بقرب تحقيق حلمه، الذي راوده طويلاً، وهو افتتاح مكتبة دار الجوف للعلوم للرجال والنساء.

وأقول بصدق، أني لم أتمكن من تمييز الأمير عندما رأيته للوهلة الأولى، إذ حضر مع أخوياه (مرافقيه)؛ فلا فرق بينهم، ثم عرفته من خلال حركة الدكتور زياد وتعريف معاليه بالحضور - عندها بدأت رحلتي مع الأمير على مدى الفترة الممتدة من عام ١٤٠٣هـ، إلى أن أقعده المرض، رحمه الله، عام ١٤١١هـ. وقد كان لي شرف اللقاء اليومي معه، حيث أقدم لمعاليه ما يتم إنجازه في المكتبة، وأرافق زوار المكتبة القادمين من خارج المنطقة لزيارة الأمير؛ فهم في حقيقة الأمر زوار الأمير وضيوفه، وهو يستقبلهم، ويشاركوه وجبات الطعام ويسكنون ضيافته حتى مغادرتهم الجوف.

وقد كان لاهتمام الأمير بضيوف المؤسسة الأثر البالغ في نفوسهم. وأود أن أعرض لبعض الأمثلة، والتي كانت مؤثرة إلى حد كبير، لكنها عادة الأمير التي لا يستغربها من عرفه، ومن هذه المواقف:

- زيارة أستاذ جامعي بريطاني من جامعة لندن - رافقته كالعادة - إلى مكتب الأمير المفتوح للجميع، إذ لا تحتاج موعداً لزيارة الأمير، فما عليك سوى الذهاب إلى مكتب الأمير ثم تدخل وتجلس منتظراً دورك لعرض موضوعك الذي حضرت من أجله، ويتم ذلك بيسر وسهولة دون تدخّل من مدير مكتب أو حاجب؛ المهم سلّم الضيف على الأمير وجلس، وفي تلك الأثناء حضر عامل باكستاني له مشكلة مع كفيله، فوجد لها حلاً في المجلس نفسه. ثم انتقلنا إلى البستان - مكان إقامة الأمير - وعلى الغداء، جلست مجموعة من الرجال، فسألني الضيف: هل هم من أسرة الأمير وأقاربه؟. فأجبته بأنهم من المواطنين والمقيمين؛ فباب سفرته مفتوح مثل مجلسه ومكتبه. وأثناء الغداء، حضر شاب غير سعودي ومعه أوراق، وكان يوم أربعاء وهو نهاية أسبوع عمل، فطلب من الشاب أن يجلس ليتناول طعام الغداء، لكنه كان على عجل؛ فما كان من الأمير إلا أن طلب من مدير ضيافته الاتصال مع رئيس المحكمة، وإبلاغه أن يطلع على الأوراق التي مع الشاب؛ فإن كانت كافيه لإطلاق سراح والده من السجن فليفعل. كل هذا والضيف يتابع ويسأل عن بعض الكلمات التي لم يفهمها، إذ كان لديه إلمام باللغة العربية - وعندما ودّع الأمير، قال له «بالحرف الواحد»: «والله إننا في بريطانيا بحاجة إلى حاكم مثلك»!

- وموقف آخر شهدته، كتبت محضر الصلح الخاص به، وهو يتمثل في خلاف على أرض مضت عليه سنوات في المحاكم، بين جماعتين من كبار أهالي الجوف - إذ حضر أطراف القضية إلى مجلس الأمير، وهم في غاية الانفعال والغضب، فتحدث معهم بلغة نابعة من قلبه الكبير، فهدأ خلافهما، فما كان منهم إلاّ أن تركوا الأمر لمعاليه؛ فطلب مني أن أكتب اتفاقهم، ووقع عليه الطرفان برضى، وانتهى الخلاف، فهذا يعكس النهج القرآني الذي تربى عليه.

- وموقف ثالث، أثناء الاحتفال في أحد الأعياد التي رعتها مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، وفتحت مجال المشاركة بها، وبناء على توجيه الأمير للجاليات، وقد حدث خلاف بين أفراد إحدى الجاليات العربية على قصيدة تقال في أحد عروضها وتصاعد الخلاف ، فعرضت الأمر على الأمير فما كان منه إلا أن أعد لهم قصيدة من نظمه رحمه الله منها:

من يـزور الـجـوف يـلـقـي مـا يـريـده
ويـن مـا يـلـقـي مـضـافـات وكـرامـة
عـادة مـا هـي عـلـى الـديـرة بـعـيـدة
كـاسـبـيـن أمـجـادهـا ورث وشـهـامـة

كان اهتمامه رحمه الله، عظيماً بإعطاء المرأة فرصة للتعبير عن نفسها، وإسهامها في خدمة مجتمعها؛ وخير شاهد على ذلك، حرصه على أن يكون للمرأة مكتبة متكاملة، مماثلة تماماً لمكتبة الرجال في دار الجوف للعلوم، وحرص على تجهيز المكتبة النسائية بكل ما يلزمها من الكتب والوسائل والمواد السمعية والبصرية والإدارة النسائية. فقد وكّل إدارة القسم النسائي عند إنشائه لابنته السيدة مشاعل العبد الرحمن السديري، وهي مؤهلة تأهيلاً عالياً من الولايات المتحدة الأمريكية، وتابعت بدايات إنشاء المكتبة النسائية وإدارة أنشطتها، التي كانت وما تزال محل الإعجاب والتقدير، وقد حققت الريادة، نظراً لأنها أول مكتبة عامة نسائية في المملكة - كما أن المكتبة استضافت وفي وقت مبكر سيدات من خارج الجوف لإقامة الأنشطة الثقافية، وهي تعد الآن من أبرز المكتبات العامة الخاصة بالمرأة، وأصبحت مركزاً للأنشطة الثقافية والتدريبية، تديرها السيدة لطيفة العبدالرحمن السديري، وهي الخبيرة في مجال التربية.

وأسجل هنا كلمة نقلاً عن معاليه، رحمه الله، وللأمانة - بأنه كلما كنت أعرض عليه أمراً، وبعد أن يكون قد اطلع عليه الدكتور زياد بن عبد الرحمن السديري مدير عام المؤسسة - كان يلفت نظري بكلماته اللطيفة وصوته الهادئ: «احرصوا على رأي لطيفة، ما لكم غنوة عنه».

وكان لاهتمام معاليه وحرصه على مشاركته الشخصية، رحمه الله، في جميع أنشطة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية الثقافية - ما لم يكن موجوداً خارج المنطقة، حافزاً ومشجعاً للمشاركين في النشاط. وقد كان رحمه الله يشارك أحياناً بمداخلة في بعض الأنشطة - وكم كان سروره عظيماً، رحمه الله، في حفل تخريج أول مجموعة من براعم روضة الرحمانية، عام ١٤٠٧هـ، وقد تحلّق الأطفال حوله، وكانت صورة جماعية معبّرة وجميلة للأطفال معه رحمه الله، وكانت سعادته غامرة في تسليمهم الجوائز والشهادات.

وكان رحمه الله، يفرح بكل مبدع من أبناء هذا الوطن ويهتم به؛ فقد احتفى بشكل كبير، بصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز بعد عودة سموه من رحلة إلى الفضاء، وأقام معاليه احتفالات عديدة في المنطقة لسمو الأمير سلطان، وحث الشباب على الإبداع وأخذ العبرة. واحتفى معاليه كذلك بتميز الدكتور نايف الروضان في مجال طب الأعصاب والدماغ، وكُرمه في دار الجوف للعلوم، وطلب من الدكتور نايف أن يتحدث عن تميزه العلمي لحث الشباب أيضاً على التميز. ولا أنسى اهتمام معاليه بحفل تكريم الدكتور عارف مفضي المسعر عند حصوله على درجة الدكتوراه، فقد كانت محل سعادة غامرة لمعاليه.

كما كان رحمه الله يفرح عندما يرى زوار المكتبة في تزايد، ويهتم بكل ما يقدم للمؤسسة من تبرعات عينية، أو نقدية، أو معنوية، على شكل مقالة أو حتى خبر في صحيفة، وكان يحرص على الرد على الجميع وشكرهم، وتوجيه الدعوة لمن هم من خارج الجوف لزيارة الجوف والتعرف على مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية وأنشطتها، والأمثلة على ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

لقد كان معاليه، رحمه الله، بحق مدرسة في السلوك المهذب والتعامل الراقي ، فلم أشهد خلال فترة تجاوزت التسع سنوات أن سلم على شخص، كبر هذا الشخص أو صغر، وهو جالس، أو نادى شخصاً باسمه المجرد، بل بأفضل وأحب الأساليب، وهو الأخ أو أبو فلان - ولم أسمعه ينادي أو يناقش بصوت مرتفع أو غاضب.

ثمة مواقف كثيرة شهدتها، تفيض إنسانية ومحبة، وتواضعاً، وستراً على عباد الله، وهو استمرار للنهج القرآني، الذي نشأ وتربى عليه، وكان هو ديدنه رحمه الله، فمن ستر مسلماً في الدنيا وأقال عثرته، ستره الله وأقال عثرته يوم المشهد العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، سائلاً الله عز وجل أن تكون سيرته وأعماله الخيّرة شفيعاً له وستراً ومغفرة.. إنه سميع مجيب.

عبدالرحمن السديري أمير الحكمة والعطاء

> فارس الروضان

يقول الشاعر الأمير عبدالرحمن السديري - رحمه الله-

ما ينفع المحروم كثر الفصاحة
ولا يدرك الميت مصوت وملواح
فاجتني الدنيا بغلظ وشفاحة
والحمد لله عد ما بارق لاح

هذا ما قاله الأمير الراحل لحظة حزن ورثاء.. أما نحن فهل لدينا ألسنة لنقول غير ذلك؟!

إذاً.. رحل الفارس..

رحل الحكيم..

رحل القائد المحنك..

رحل معالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، أمير منطقة الجوف السابق..

تاريخ طويل طويل.. ومجد لا يتكرر إلا للرجال العظماء، الذين حباهم الله من المزايا والصفات الاستثنائية..

أبو فيصل كان مجموعة من القدرات.. فكلما تحدث شخص ما عن الحكمة وبعد النظر يتمثل بحكمته - رحمه الله - في فن الإدارة، كان له صولات وجولات.. وكم من تلميذ تعلَم ونهل من علمه، خاصة في فنون التعامل..

ربما لم أكن ممن عاصروه كثيراً، ولكن يكفيني ما سمعته عنه من والدي - حفظه الله - الذي يذكر له العديد من السمات القيادية والقصص، التي تنم عن مدى ما يتمتع به الفقيد - رحمه الله - من شموخ..



إن شئتم فهو أمير، وإن شئتم فهو شاعر، ومثقف، وهو فارس، وهو كريم، ومجدد، وحليم.. تروى عنه الكثير من القصص، التي تنم عن بعد النظر وحكمة التعامل، ومن هذه الحكم: يقال انه إذا جاءه رجل بديوان الامارة وبفراسته - رحمه الله - يعرف ما عنده قبل أن يصله الرجل.. وبحكمة القادة، يعرف الغاضب المحشو بالكلام فيعاكس ما في نفس الغاضب فيزيد له من الترحيب.. وكلما حاول النطق يسكته، إما بطلب القهوة له أو بالسؤال عن أحواله وأحوال الطقس.. وكلما مر الوقت يبدأ الغاضب بالتخلي عن غضبه، ويعيد التفكير ملياً، يريد أن يقول فتتحسن لغته ويصغر ما في نفسه، ثم يخرج الكلمات منه أكثر حكمة وأقل حدة، ويخرج راضياً وفي يده الحل لكل ما يريد.. وبهذا الأسلوب الحكيم ندرك بُعد نظر أبي فيصل - رحمه الله - في فن التعامل مع الناس لأنه يعلم أن الغاضب لا يخضع للمنطق، ولا يرى الأمور كما يجب أن ترى..

وتبرز حكمته - رحمه الله - في قصائده المليئة بالكنوز، والوصايا، والتي تنم عن تجربة طويلة ومنها قوله:

دنياك يا مشكاي كل عدمها

من شب فيها شاب واقفا ابترتيب

وترى الرجال افعولها من اهمها

وكل الدروب إلى المراجل طنابيب

من جاد ساد ومن تدانا حرمها

ومن لا بنا مجده عدته المواجيب

ومن لا تندم قبل يلحق ندمها

يفوته الفايت وعذب المشاريب

وحتى الندامة لو تجرع احممها

ما فات مات وساعة الغيب بالغيب

أوصيك نفسك قبل ما اتلام لمها

احسب احسابك يا عريب المجاذيب

قد تكون شهادتي مجروحة في الحديث عن الوالد عبدالرحمن السديري - رحمه الله - ولكن كلمة الحق يجب أن تقال ولا أظن مقالي هذا قادراً على إبراز مناقبه أو إحصاء تاريخه الطويل، ولكنه واجب ووفاء لرجل ميزه الله بالكثير، وقدم الكثير، وهو لي بمثابة الوالد وأجزم أن هناك غيري من يرغب في الحديث عن مناقبه، رحمه الله .

وبكوني أحد أبناء الجوف المهتمين بالثقافة؛ فإني أقدر لمعاليه - رحمه الله - تبنيه لإنشاء أول مكتبة ثقافية متكاملة للرجال والنساء ترعاها مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.. فقد جاءت دار الجوف للعلوم لتكون منبراً ثقافياً، تميزت بقدرتها على إبراز تراث المنطقة ومعالمها، وكانت ولا تزال المنبر الثقافي الكبير لنا، أسهمت في إبراز الجوف بشكل يثلج الصدر..

أخيراً.. رحل أبو فيصل ولن يرحل.. فهو باق بتاريخه وباق بوجوه أبنائه الكرام، الذين واصلوا سيرة والدهم العطرة؛ فنسأل الله أن يجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأن يغسله بالماء والثلج، والبرد، وأن ينقيه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأن يلحقه العلي القدير بالأنبياء والصالحين والشهداء، وأن يثبته على الحق، بإذنه تعالى، ويسكنه الفردوس الأعلى..

من مواقف الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري

> د/ عبدالعزيز بن سعود الغزي*

لمعالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري فضائل كثيرة، وله باع طويل في خدمة العلم وفروعه، والتي منها علم الآثار، الذي أولاه معاليه عناية خاصة، من خلال الجمعية التي أسسها لتخدم في مجالات شتى، ومنها برنامج النشر ودعم الأبحاث، وإصدار المجلات، والتي من ضمنها ما يعني بالآثار. ويبقى الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري علماً في هامة التاريخ، وله من المآثر الشيء الكثير، الذي يجب أن يسجل في دفاتر الزمن، ليبقى للأجيال القادمة، تتلقى منه الدروس في كيف يكون الإنسان البناء.

قال الشاعر:

الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

يبقى هذا البيت من أصدق أبيات الشعر التي قيلت، وأن كان قائله غير معروف، ولذا تسبه البعض إلى الجن في قصة قراءتها مشوقة، لا يسمح المجال بسرده هنا. وينطبق معنى هذا البيت على منهج معالي الامير عبدالرحمن بن أحمد السديري، ذلك المنهج الذي جعله ينظر إلى الخير وفعله دون أن ينتظر مقابل من أحد. فسعى، رحمه الله، إلى فعل الخير، فسطّر مواقف نبيلة سيذكرها التاريخ.

وهكذا كان الامير عبدالرحمن السديري يفعل الخير لا يريد من وراءه جزاءً ولا شكوراً، ولكن فاعل الخير لا ينسى. فالخير يُذكَر بأهله وإن طال الزمان. وذكرتني مجلتا أدوماتو والجوبة بمعالي الامير الراحل، الذي يعد بحق من الشخصيات السياسيه والثقافيه المرموقة في بلادنا، خلال النصف الثاني من القرن المنصرم.

رجل عرف الإدارة فأجادها، وعرف الرجال فاختار الصفوة منهم. وعرف الشعر فقال أجوده، وعرف الكرم فجاد بما يعجز أن يجود به الكثيرون. ومن قصص الكرم التي سمعتها عن الامير عبدالرحمن السديري أنه ذات مرة دعي إلى وليمة أقيمت على شرفه، ومعه عدد من الوجهاء، وقدمت على وجبة الغداء قعدان من الإبل، وأغنام، وشيء كثير من المآكل، وبعد الفراغ من الوليمه تحدث معاليه في المجلس عن الشعر وفنونه، ثم تحدث في الكرم وضروبه، فأشاد بكرم أهل البلده التي ينتمي اليها مضيفه ونصح مضيفه، إن لا يبالغ فيما يقدر وبعد أن فرغ معاليه أجابه المضيف، ما شاهده معاليه لا يرقى لما يقدمه هو، وذكره بأنه ذات مرة وفي مأدبه أقامها معاليه قدم الجمال والأغنام للضيوف، بل لم يقتصر على ذلك فحشى أجوفة الابل بالأغنام،



وأجوفة الأغنام بالأرانب، ولا شك أنه بهذا بلغ النهاية القصوى للكرم.

أروي هذه القصة كما سمعتها، ولكنني أؤكد للقارئ الكريم أنني لا أعلم علم اليقين إن كانت قد وقعت فعلاً أم لا، وحتى وإن لم تقع بهذه الكيفية، تبقى رمزاً لكرم معاليه المتناهي.

ولمعالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري صداقات واسعة مع العلماء والشعراء والمثقفين، ومن أقرب أصدقائه عمي مساعد بن جارالله بن حمد الغزي، يرحمه الله، فيجمع الاثنين صفة الكرم، وقول الشعر، وحب الخير للناس. وكان أول لقاء لي بمعاليه ليلة زواجي عندما دعاه عمي فلبى الدعوة وكان على رأس المدعوين، ولفارق السن لم احتك به كثيراً، ولكن مواقفه المشرفة تذكرنا به دوماً. فمن مواقفه التي يجب أن تسجل لتبقى في التاريخ ،موقفه رحمه الله في السعي لاسقاط قرض البنك العقاري عن أسرة من عشيرتي عندما علم بوفاة عائلها، فبعد أن أتاه الساعي وبلّغه أن الرجل مات وترك أبناءً قاصرين، وطرح بين يديه صك منزلهم، وبيّن له أنه مرهون للبنك العقاري، لبى الأمير النداء، وتذكّر الصداقة، وبحث عن الأجر والمثوبة من الله، فذهب بالصك مباشرة إلى الملك فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين، يرحمه الله، ولم يخرج من مجلسه إلا والصك بيده يحمل أمر الملك باسقاط القرض فوراً، فجعل الله ذلك في حسنات الملك الراحل، والساعي، ومن سعى لمساعدة تلك الأسرة.

ومن محاسنه إنشاء جمعية ثقافية خيرية تهدف إلى العمل الخيري، وتخدم نواحي عدة في منطقة الجوف، التي تولى إمارتها لمدة طويلة، فأنشأ فيها مراكز ثقافية، وأصدر عنها العديد من الكتب، بل ألـّف هو عنها كتاباً بنفسه تُرجم إلى اللغة الإنجليزية، وأسس مجلة ثقافية باسم «الجوبة»، وبعد أن صدر منها عدة أعداد، وانقطعت عن الصدور لمدة، لتحل محلها مجلة علمية محكمه بمسمى أدوماتو ما زالت تصدر حتى الآن، ثم عادت مجلة الجوبة إلى الصدور من جديد، وفي ثوب جديد.

وبانجازاته المتعددة في منطقة الجوف، وبخاصه تلك التي لها صلة بالعلم والبحث، أصبح اسم عبدالرحمن بن أحمد السديري، شامخاً في المحافل العلمي، لأنه أحب العلم وخدمه. حقاً لم يكن عبدالرحمن السديري باحثاً متخصصاً، أو قاصراً وقته على البحث والعلم، فقد كانت لديه مسؤوليات تستنفذ وقته، ومع ذلك لم يثنيه ذلك عن عشقه للعلم فأنشأ صروحاً لخدمته. بل تجده من القلائل الذين أنشاوا المجلات، وأقاموا الندوات لخدمة تاريخ بلاده. فكثير هم أولئك الذين يملكون أموالاً أضعاف أضعاف ما يملك عبدالرحمن السديري، وكثير أولئك الذين انشأوا جوائز ومراكز بحثية، ولكنهم لم ينالوا من الشهرة بين مجتمع المثقفين والباحثين، كما نال الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري لأن المسالة ليست مالاً، بل عشقاً، فالسديري عشق العلم، والعلم أذاع صيته في أرجاء الكون نظير إخلاصه في عشقه، وأخيراً نتمنى لمعالي الأمير الراحل عبدالرحمن بن أحمد السديري العفو والرحمة والمغفرة، وأن ينفعه بما خلّف إنه القادر على كل شيء.

---

* أستاذ الآثار والتاريخ بجامعة الملك سعود.

جائزة الأمير عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي

حلم طلاب المنطقة

> المبتعث: بندر بن مزعل الشمري*

كنت قد أنهيت امتحان الثانوية العامة بالمملكة عام ١٤٢١هـ، عندما علمت بإعلان مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية للطلبة الحاصلين على المراكز الأولى بالجوف، من أجل التقدم بطلب لجائزة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للتفوق العلمي. وكان أن تم اختياري لأكون أول مبتعث لاستكمال دراستي الجامعية، خارج المملكة في إحدى الجامعات الأمريكية على حساب الجائزة.

وخلال السنوات التي أمضيتها من سنوات الابتعاث حتى الآن في الدراسة، شعرت كم كانت نظرة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري رحمه الله ثاقبة، وكم كان حبه للعلم وأهله عندما أطلق الجائزة في بداية عام ١٤١٠هـ التي انطلقت وقتئذٍ بهدف تشجيع طلاب وطالبات منطقة الجوف على مواصلة التفوق العلمي، واستمرت الجائزة منذ ذلك التاريخ، إذ قرّر مجلس الادارة في عام ١٤٢١هـ، أن تمنح الجائزة سنوياً لأحد الطلبة المتفوقين في الدراسة الثانوية على مستوى مدارس منطقة الجوف، (وهناك أيضاً جائزة سنوية مشابهة للطالبة الأولى على مستوى المنطقة) .

لقد كان لحب الأمير عبدالرحمن للعلم وأهله، أكبر الأثر في إنشاء الجائزة، وبفضل دعم مجلس إدارة المؤسسة تحولت من جائزة تشجيعية الى مشروع بناء أجيال من طلاب منطقة الجوف، ليأخذ المتفوقون منهم فرصهم في التعليم والتدريب في أعرق الجامعات العالمية، ويعودون لخدمة الوطن، كل في تخصصه، متسلحين بتعليم حديث ومتطور. وقد كان لبعد نظر القائمين على الجائزة، وإيمانهم بدورها العلمي الكبير، بالغ الأثر في تذليل المعوقات التي كانت أحياناً تواجه المبتعثين خلال دراستهم.

عندما انطلقت الجائزة كانت الوحيدة على مستوى جوائز مناطق المملكة للتفوق العلمي، التي تقدم للفائز بعثة للدراسة في إحدى الجامعات الأمريكية، مع تكفّل

المؤسسة بنفقات المبتعث الشخصية والدراسية. ومما يدعو إلى الفخر أن هذه الجائزة أقرت في وقت قد توقفت فيه البعثات الحكومية لدرجة البكالوريوس، والذي كان له الأثر في تحفيز الكثيرين من أبناء المنطقة على الاجتهاد في الدراسة من أجل الفوز بها. أضف الى ذلك ارتباط الجائزة باسم رائد النهضة العلمية في منطقة الجوف الأمير عبدالرحمن السديري غفر الله له. وكان ذلك من أهم محفزات الفائز بالجائزة على مواصلة التفوق العلمي الذي بدأه.

وكان لي الشرف لأصبح أول من فاز بهذه الجائزة عام ١٤٢١هـ، ومنذ ذلك اليوم والمؤسسة لا تدّخر جهداً في سبيل توفير كل ما تحتاجه أثناء الدراسة، وكم كنا وما زلنا نسعد بذلك التواصل الأخوي بين أعضاء المؤسسة والمبتعثين.

ولعل أبرز ما شد انتباه زملائنا الطلبة السعوديين المبتعثين في أمريكا، بعد أن تم ابتعاثنا، هو تلك الجهة الأهلية التي ابتعثتنا لدراسة البكالوريوس نظراً لأن بعثات البكالوريوس الحكومية كانت قد توقفت من زمن، واقتصرت على المبتعثين للدراسات العليا فقط. ومن تلك اللحظة أصبح اسم المنطقة مقروناً بجائزة الأمير عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي لدى كثير من السعوديين هناك.

تعد الجائزة للابتعاث الخارجي من أهم البرامج العلمية، وهي فريدة في نوعها. وقد استمرت الجائزة على الرغم من الصعوبات التي واجهت المبتعثين، ومنها صعوبة الحصول على التأشيرات إلى الولايات المتحدة ولذلك اضطر بعض المبتعثين لاستكمال دراسته في الجامعات الأسترالية بدلاً من الجامعات الأمريكية. وعلى الرغم من ذلك استمر دعم المؤسسة إيماناً من القائمين عليها بأهمية هذا البرنامج، الذي سوف يؤتي ثماره في المستقبل القريب إن شاء الله.

وكان من أهم أولويات جائزة الأمير عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي إيجاد كفاءات متخصصة ومؤهلة تأهيلاً علمياً متقدماً من أبناء منطقة الجوف؛ ليكونوا قادرين على العمل في المؤسسات المختلفة الحكومية والخاصة، ما سوف ينتج أجيالاً قادرة على الاعتماد على النفس والتحدي والمثابرة والثقة بالنفس، وسينعكس ذلك إيجابياً على الوطن. وهذا مما لا شك فيه سوف ينتج كفاءات قيادية في المستقبل القريب. أما الجانب الأخر وهو لا يقل أهمية، وهو «البحث العلمي»، ولا يخفى على الكثير أن الجامعات العاليمة العريقة توجد لديها مراكز بحث متخصصة، وإن من أهم أهداف تلك المراكز هو إيجاد جيل من خريجيها قادر على البحث والاكتشاف، فإذا ما حصل مبتعث المؤسسة على تلك الفرصة فأنه سوف يكتسب كثيراً من الخبرة في مجال البحث العلمي أثناء فترة دراسته في تلك الجامعة، وسيرفد ذلك جامعاتنا بالخبرات المؤهلة والمتخصصة في مجال البحث العلمي في الجامعات والمراكز البحثية بالمملكة.

جزى الله القائمين على الجائزة خير الجزاء وغفر الله لمؤسس هذا الصرح وأسكنه فسيح جناته.

---

* المبتعث الأول في برنامج الجائزة، وهو في المرحلة الأخيرة من دراسة ماجستير هندسة الحاسب الي واتصالات - جامعة كوينزلاند للتقنية - أستراليا

ليرحمك الله أبا فيصل

> ثامر المحيسن

يخضع الإنسان في حياته لتقلب الزمن وحوادث الأيام؛ فالحياة: فرح وحزن، سعادة وشقاء، شروق وأفول. قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

بالأمس القريب، افتقدنا معالي الأمير عبدالرحمن الأحمد السديري، رحمه الله، فقد أصابه سهم القضاء؛ فغربت شمسه، واستكملت ساعاته دقاتها، بعد أن كرّس حياته وطاقته لخدمة دينه ومليكه، ووطنه؛ فكان، يرحمه الله، مثالاً للوطنية وأنموذجاً للولاء، ورمزاً للإخلاص والقدوة الحسنة، وينبوعاً متدفقاً، من الفكر التنظيمي والعطاء السخي، يحترم المواطنين ويقدّرهم، ويتحسس مشاكلهم.

مكانته ومنصبه لم يُغيرا من أخلاقياته وتواضعه؛ يقابل المواطنين ببشاشة، ويصغي لأحاديثهم، ويتبادل معهم الرأي والمشورة، ويدفع بهم، ويشجعهم إلى طلب العلم والتفاني في العمل، ويحثهم على الزراعة والعمل النافع. كان رحمه الله، فارساً من فرسان المجتمع السعودي، عرف بفصاحة بيانه، وسرعة بديهته، وقوة رأيه وحكمته، لا يقف أمامه في سبيل الحق عائق.

هذا قليل من كثير، لكن عزائي أنني لا زلت أمسك قلماً عاجزاً، هدّته الفاجعة، وحركني واجبي لأسطر كلمات صادقة مغسولة، من كل زيف ونفاق؛ فمعاليه استحق أوسمة الإنسانية بكافة مزاياها، وهو أحق بها وصاحبها. نعم ذابت تلك الشخصية المتوهجة النزيهة على منصة الضيافة والكرم، وانطفأ السراج بعد أن أضاء الكثير من المعالم الحضارية في دار الجوف، ودور العبادة والعلم، وفي شتى الميادين.

نعم انتقل الأمير والمفكر والأديب والشاعر إلى جوار ربه، يرقد جسده في مسقط رأسه في مدينة الغاط، ولكن روحه ستظل ترفرف في حنايا أرواحنا، تحثنا على التشبث بمكارم الأخلاق، وهذا ما نتذكره دائماً، عند قراءة ديوانه (القصائد) حين يقول:

أنا رفيقي لو غلط مقدر أجزيه

إلا بصفح وعفة عن شناته

أميرنا ووالدنا، قر عيناً وأخلد للراحة الأبدية في جنات الخلد، بإذن الله، والله أسأل أن يلهم الجميع الصبر والسلوان، وكفى فيصل وإخوانه وأخواته فخراً ما تركت لهم من (إرث)، لا يقيّم بمال، إنه العمل الطيب، الذي سيظل ذكرى عطرة على مدى الحياة. ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾.



مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية

دور رائد في خدمة الثقافة والتنمية في منطقة الجوف

> كتب: محمد صوانه

في الساحة الثقافية بالمملكة العربية السعودية اليوم مؤسسات ثقافية أهلية أصبحت مراكز إشعاع حضاري، ومحاضن لنهضة رائدة ترعى العديد من البرامج والنشاطات الثقافية والعلمية، في مختلف مناطق المملكة. وقد جاء تأسيس مثل هذه المؤسسات بمبادرات فردية يقف وراءها رواد قياديون عُرِفوا بحبهم للعلم والعمل الثقافي المؤسسي.

وفي هذا التحقيق سنلقي الضوء على واحدة من المؤسسات الثقافية الرائدة في المملكة، أسسها معالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، وجعل مركزها في الجوف بشمالي المملكة، لتكون مركز إشعاع ثقافي وحضاري متعدد الجوانب.

يعجب الزائر لأول مرة لمؤسسة عبدالرحمن السديرين الخيرية وهو يشاهد بناء مؤسسياً متكاملاً، في وسط مدينة سكاكا بالجوف، يضم مكتبة عامة ضخمة "دار الجوف للعلوم"، ومركزاً للنشاطات الثقافية العامة واحد للرجال وآخر للنساء بمدخل مستقل لكل منهما.

وغير بعيد إلى الجنوب الغربي من مبنى المؤسسة تقع مباني مدارس الرحمانية الأهلية بفروعها الابتدائية والمتوسطة والثانوية، التي تتميز بمرافقها التعليمية وأنشطتها المتميزة.

كانت زيارتي الأولى للمؤسسة لحضور فعاليات ندوة علمية عقدت في قاعة دار الجوف للعلوم التابعة للمؤسسة، حضرها حشد كبير من المهتمين والمثقفين من أهالي الجوف، وعلى هامش الندوة، أقام أعضاء المجلس الثقافي بالمؤسسة أمسية تراثية حفلت بفقرات جميلة ومعبَرة عن جوانب من الحياة الشعبية في منطقة الجوف.



وقد أوضح فيصل بن عبدالرحمن السديري، رئيس مجلس إدارة المؤسسة أن مثل هذه الملتقيات الثقافية تأتي انسجاماً مع أهداف المؤسسة في الإسهام في دعم الحركة الثقافية في منطقة الجوف، وانطلاقاً من أهداف المؤسسة المنصوص عليها في نظامها الأساس، بتبني نشر وتشجيع الحركة العلمية والثقافية واستنهاض همم المبدعين والباحثين.

وخلال زيارتك لمبنى دار الجوف للعلوم تلحظ أيضاً العديد من أبناء منطقة الجوف، وهم يتوافدون إلى المكتبة في ساعات المساء، زرافاتٍ ووحداناً وجماعات؛ لينهلوا من معين أمهات الكتب والمصادر والمراجع العلمية والأدبية، ويطالعون الصحف والدوريات المحلية والعربية، التي توفرها إدارة المكتبة لمرتادي الدار بقسميها. وفي لقاء مع أ. د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري رئيس تحرير مجلة أدوماتو وصف "دار الجوف للعلوم" بأنها دوحة من دوحات العلم والمعرفة بالجزيرة العربية؛ مشيراً إلى ما تضمه من أمهات الكتب والمصادر والمراجع القديمة والحديثة التي وضعتها الدار في خدمة الباحثين والقراء في منطقة الجوف.

وكان الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، منذ أن قدم إلى منطقة الجوف بعد أن ولاه الملك عبدالعزيز أميراً في منطقة الجوف، يتطلع إلى تنميتها ثقافياً وتعليمياً، إلى جانب اهتمامه بالقضايا الاجتماعية والإدارية، فكان ما يشغله هو إيجاد مؤسسة ثقافية ترعى النشاطات الثقافية بالجوف تكون متنفساً لأبناء وبنات الجوف، المتطلعين إلى التعرف على ثقافات المجتمعات الأخرى والمحبين للعلم والمطالعة، فأنشأ في البداية المكتبة العامة في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٢م) وبمجهود شخصي فريد، استطاع أن يجعلها مركزاً لمحبي العلم والمعرفة والمطالعة من أبناء الجوف، وزودها باستمرار بما هو جديد من مطبوعات. ووصف أحد أبناء الجوف، تلك المكتبة، أيام كان طالباً في المدرسة، بقوله: "لقد كانت المكتبة العامة بالجوف متنفساً حقيقياً لي للإطلاع على الكتب، في وقت لم تكن الكتب أو الصحف متوافرة في الحياة العامة في منطقة نائية مثل الجوف آنذاك، وكنت أتردد عليها بشكل شبه يومي، وأقرأ بنهم وشغف كبيرين، وأمارس الكتابة للصحف الصادرة في المدن السعودية، وكان لذلك شأن في حياتي فيما بعد".

> رؤية ريادية ثقافية لمؤسس استقرأ آفاق المستقبل فأرادها تأصيلاً للبناء الثقافي وموئلاً للمبدعين والمتفوقين

رؤية صائبة

تبدو المواقف الريادية للمؤسس الأمير عبدالرحمن السديري جلية في مبادرته لتأسيس المكتبة العامة، إذ بادر لتأسيس أول مكتبة للنساء في المملكة العربية السعودية؛ إدراكاً منه لأهمية تنشئة الفتاة السعودية وإتاحة المجال أمامها، ولتنهل من معين الثقافة بطواعية؛ وإيماناً من المؤسس ببصيرته الثاقبة بأهمية الدور الذي تلعبه الثقافة في حياة المرأة أسوة بالرجل، في بناء مجتمع قويم ومثقف. وكانت هذه المبادرات تنبع من إحساس

عميق بالواجب تجاه أبناء منطقة الجوف ومن إدراكه لأهمية العلم والثقافة في بناء المجتمع. حقاً لقد كانت المكتبة العامة التي أنشأها الأمير المؤسس مفهوماً فريداً وجديداً في الوقت والمكان الذي نشأت فيهما.

ومع الأيام تنامى لدى الأمير عبدالرحمن السديري اهتمامه بالشأن الثقافي والعلمي بالجوف فسعى إلى تجسيد رغبته في تنمية منطقته ثقافياً بشكل مؤسسي باقٍ للأجيال، فأنشأ عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، أثناء توليه الإمارة، مؤسسة خيرية وقفية تحمل اسمه، وتعمل على نشر الوعي المعرفي والثقافة العامة وخدمة التراث الشعبي الأصيل في منطقة الجوف، وكان من أبرز إنجازات هذه المؤسسة تطوير مكتبة الثقافة العامة التي كان قد أسس نواتها عام١٣٨٣هـ- ١٩٦٢م؛ فأصبحت مكتبة عامة عامرة، بل داراً حقيقية للبحث العلمي والدراسات المتعلقة بتاريخ المنطقة وتراثها، وتدوين ما يتعلق بكتابات الرحالة والمستشرقين، الذين زاروا الجوف وسجّلوا مشاهداتهم وملاحظاتهم، عن مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية آنذاك.

من هنا أدركت مدى الدور الريادي الذي تضطلع به هذه المؤسسة الرائدة - بحق - في مجال التأصيل الثقافي، والتفاعل مع المجتمع المحلي بمختلف فئاته، في منظومة متكاملة من الأنشطة والبرامج الثقافية والتعليمية والتدريبية المتنوعة، المخصصة لفئات الرجال والنساء والأطفال وطلاب المدارس؛ إذ تجد البرامج الثقافية الموجهة للرجال والنساء على حدٍ سواء، وتجد مدارس الرحمانية الأهلية، التي تقدم خدماتها للبنين والبنات، بلغ عددهم في العام الدراسي الحالي (٨٧٧) طالباً وطالبة من مختلف المراحل الدراسية.

وفي هذا التحقيق سنلقي مزيداً من الضوء على نشأة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، وأهدافها وبرامجها، المتنوعة والتي تتركز في المجالات الثقافية والتعليمية على وجه التحديد:

نشأة المؤسسة وأهدافها

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية مؤسسة خاصة، ذات شخصية اعتبارية مستقلة بموجب الأمر الملكي رقم (أ/٤٤٢) عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، وقد أرادها المؤسس أن تكون حاضنة للمكتبة العامة، ما يشير إلى مدى الاهتمام والتفكير الذي كان يوليهما الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للمكتبة، والدور المهم الذي تؤديه في مجتمع ناشىء يتطلع إلى المستقبل بأعين ملؤها الأمل، ومتلهفة لتنهل من معين العلم والمعرفة.

أهداف ريادية تستقرئ آفاق المستقبل

إن نظرة فاحصة لأهداف مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، تجعلك تدرك أن الأمير عبدالرحمن إنما كان يؤسس صرحاً ثقافياً رائداً، أراده مركز إشعاع علمي وثقافي، ووفر له السند القانوني، ووضع له أهدافاً سامية، تستقرئ آفاق المستقبل الذي يتطلع له كل محب لوطنه ومجتمعه.

وتترجم أهداف المؤسسة بوضوح مدى الاهتمام والعناية بنشر الوعي والمعرفة والحث على العلم والثقافة بكل أبعادهما؛ إذ نص النظام الأساس للمؤسسة على عدد من الأهداف، منها: إدارة وتمويل مكتبة دار الجوف للعلوم والعمل على تطويرها لتكون مركزاً علمياً وثقافياً متميزاً في المنطقة؛ والإسهام في حفظ التراث الأدبي والأثري في منطقة الجوف والتعريف بهما؛ ودعم النهضة العلمية في منطقة الجوف؛ وإصدار مجلة شهرية في المنطقة؛ وإنشاء



دار للحضانة وروضة للأطفال ومسجد جامع.

ولا يخفى أن العمل من أجل تحقيق مثل هذه الأهداف والتطلعات الرائدة، يتطلب جهوداً متواصلة سواء في التخطيط والعمل أو في توفير التمويل اللازم؛ فهذا المشروع الخيري الاجتماعي والثقافي، الذي أُسس لخدمة المنطقة، يحتاج إلى اهتمام أبناء المنطقة وتعاونهم وتفاعل طاقاتهم، حتى تتحقق تلك الأهداف السامية.

واستناداً إلى الأستاذ سالم بن حمود الظاهر مساعد المدير العام للمؤسسة؛ فقد جرى تمويل أعمال المؤسسة وأنشطتها المختلفة من ريع وإيرادات الأموال المنقولة وغير المنقولة التي وهبها لها مؤسسها، وكذلك من استثمارات أموالها في أوجه الاستثمار المأمون، ومن التبرعات التي تردها باستمرار من أهل الخير من داخل الجوف وخارجها، ممن أحسّوا بنبل الهدف، وسمو الغاية التي يرفعها هذا المشروع الثقافي الكبير، ويعمل من أجل تحقيقها.

> دار الجوف للعلوم مركز ثقافي أصبح دوحة من دوحات العلم والمعرفة بالمملكة

> المؤسسة تنفذ برامج ثقافية ودراسات وتموّل أبحاثاً علمية

مراحل البناء والإنجاز

خطت المؤسسة خطوات واسعة متقدمة باتجاه تحقيق تلك الأهداف الكبيرة، ولعل في الإنجازات المتلاحقة والمشهودة التي تمكنت المؤسسة من تحقيقها ما يشير إلى ذلك الجهد المتواصل في السعي نحو تطوير الأداء وبلوغ الغاية؛ فالمؤسسة استطاعت أن تنتقل من طور البناء والإنشاء إلى طور الإنتاج والعطاء، وعبر سنوات من الجهد والبذل والتخطيط، تمكنت هذه المؤسسة من تحقيق قفزة نوعية كبيرة على هذا الطريق؛ فتطورت خدماتها بشكل متسارع، فبعد أن كانت نواتها المكتبة العامة المتواضعة التي كان قد أنشأها الأمير المؤسس قبل نيف وأربعين عاماً، وكانت تضم ثلاثة آلاف كتاب، أصبحت اليوم مركزاً ثقافياً حيوياً، يشهد، إلى جانب خدماته المكتبية التي يقدمها لأبناء المنطقة، نشاطات اجتماعية وثقافية وعلمية متجددة في كلا القسمين: قسم الرجال، وقسم النساء.

ويشير الأستاذ سالم الظاهر مساعد المدير العام إلى أن النشاطات تتنوع؛ إذ تشمل المحاضرات والندوات والأمسيات، التي تنظمها إدارة المؤسسة على مدار العام، ويحضرها ويشارك فيها حشد كبير من المهتمين من أبناء الجوف وضيوف الدار. كما تشمل المراكز والدورات التعليمية والتدريبية، والمعارض الثقافية والعلمية التي تقام في قاعة دار الجوف للعلوم.

مكتبة دار الجوف للعلوم

يقول السيد نبيل المنجي الأمين المسؤول في دار الجوف للعلوم، أن عدد رواد الدار شهرياً يصل إلى حوالي أربعة آلاف زائر من الرجال والنساء، من الباحثين والقراء، يستفيدون من خدمات المطالعة والبحث العلمي وتقنية المعلومات التي توفرها الدار لهم، في قسمي الرجال والنساء. كما تستقبل الدار



أيضاً مجموعات من طلاب وطالبات الكليات العلمية والجامعات، يأتون بهدف الإفادة من المصادر العلمية والمراجع المهمة المتوافرة في الدار؛ ويؤكد السيد المنجي أن جميع العاملين بالدار لا يألون جهداً في خدمة القراء والمطالعين والباحثين؛ فالمكتبة أصلاً جاءت من إحساس عميق بالواجب لدى مؤسسها الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، ومن إدراكه بأهمية العلم في بناء المجتمع.



* لقطة داخلية في مكتبة دار الجوف للعلوم

ويشير الأمين المسؤول إلى أن مكتبة دار الجوف للعلوم تضم الآن ما يزيد عن مائة وستين ألف كتاب ومجلد. إضافة إلى قسم للدوريات يفتح أبوابه لقراء الصحف والمجلات والدوريات العربية والأجنبية في مختلف أصنافها واتجاهاتها، ويشتمل القسم على ما يزيد عن ٢٥٠ صحيفة ومجلة ودورية، تستقطب عدداً كبيراً من القراء والقارئات يومياً.

كما تضم الدار مجموعة خاصة من أوعية المعلومات ذات القيمة المرتبطة بآثار المنطقة، وصوراً لمخطوطات يصل عددها إلى أكثر من خمس وستين مخطوطة، إضافة إلى وثائق ونقود تاريخية قديمة، وطوابع، وكتب نادرة وقيّمة، تتعلق بالمنطقة وتتصل بها بشكل خاص، وبالجزيرة العربية بشكل عام، كما تضم أيضاً مجموعة من الوسائل السمعية والبصرية، إلى جانب العديد من الوسائل الالكترونية المتنوعة. وتتيح المكتبة، للراغبين من روادها، استخدام شبكة المعلومات (الإنترنت) التي بدىء باستخدامها منذ مطلع عام ١٩٩٧م. وجرى الآن توفير خدمات الـ □□□.

كما استطاعت الدار أن تؤسِّس مجموعة الوسائل السمعية والبصرية، وهي مكتبة سمعية بصرية وثائقية تحتوي رفوفها على عدد من أشرطة الأفلام السينمائية وأفلام الفيديو في موضوعات ثقافية وتعليمية وعلمية متنوعة، ويتولى القائمون على هذه المجموعة مهمة تسجيل وأرشفة أنشطة المؤسسة، وبخاصة الأنشطة الثقافية منها من محاضرات ولقاءات وندوات وغيرها.

ويجري التزويد بالكتب والمطبوعات بشكل مستمر من خلال الشراء المباشر من معارض الكتب والمكتبات التجارية، ومن خلال الإهداء والتبادل. وتتوافر في المكتبة أمام الباحثين والدارسين والقراء أمهات الكتب والمصادر وعدد غير قليل من الكتب النادرة الصادرة منذ تاريخ تأسيس المكتبة قبل نحو ٤٥ عاماً؛ ما يجعلها مقصد الباحثين والمثقفين والمهتمين داخل منطقة الجوف، فأصبحت بحق منارة للمعرفة والعلم.

تبلغ مساحة دار الجوف للعلوم حوالي ٢٣٥٠ متراً مربعاً وتضم قسمين كبيرين منفصلين أحدهما





* بعض إصدارات برنامج النشر بالمؤسسة

للرجال والآخر للنساء، وهي ليست مجرد مكتبة عامة، بل هي الآن، وبتوفيق من الله، مركز ثقافي يشهد مع خدماته المكتبية نشاطاً اجتماعياً وثقافياً متجدداً في كلا القسمين. وتفتح الدار أبوابها للرواد لمدة ثماني ساعات يومياً، جميع أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة.

وبالنظر إلى تطلع المؤسسة دوماً إلى ما هو حديث ومتطور، فقد استخدمت الدار أحدث الوسائل والتقنيات، بدءاً من أجهزة قراءة المصغرات الفيليمة واستخدام أجهزة الحاسوب في الفهرسة والبحث، مروراً بإتاحة الفرصة أمام الباحثين للاتصال بمراكز المعلومات محلياً ودولياً عبر خط طرفي يربط الدار بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية والمركز الوطني للكلى، وأخيراً عبر الاشتراك بشبكة الإنترنت وحصول الدار على موقع دائم على الشبكة باسم المؤسسة، واتاحة الفرصة أمام من يرغب من رواد المكتبة للاستفادة من هذا النوع من الخدمة المتقدمة.

ويشير أمين الدار المسؤول إلى أن خطة التزويد يتم تطويرها سنوياً من خلال تقييم المجموعات، ومن ثم إشراك كافة الجهات ذات العلاقة من قراء، وباحثين، وهيئات حكومية، وخاصة، باستبيان سنوي، يعرض على الجميع المشاركة في اختيار المطبوعات والوسائل السمعية والبصرية والالكترونية، كذلك تتلقى الدار من كافة الناشرين عربياً ومحلياً وعالمياً قوائم الجديد في عالم النشر، إلى جانب متابعة وحضور المعارض الدولية للكتب والاتصال بالوزارات والمؤسسات الحكومية، والجامعات ومراكز البحث والمكتبات الكبرى، لتفعيل برنامج تبادل الإصدارات من الكتب على مدار السنة.

برنامج النشر

منذ أن بدأت المؤسسة أعمالها اهتمت بنشر عدد من الكتب التي تتصل بمنطقة الجوف تاريخاً وتراثاً وحضارة، كان من أبرزها كتاب الجوف وادي النفاخ لمؤلفه الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، وقد صدرت الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٤م)، ثم صدرت الطبعة الانجليزية للكتاب بعنوان (The Desert Frontier of Arabia: Al-Jawf through the Ages)، كما نشر ديوان القصائد للمؤسس، ثم أشرفت المؤسسة على ترجمة

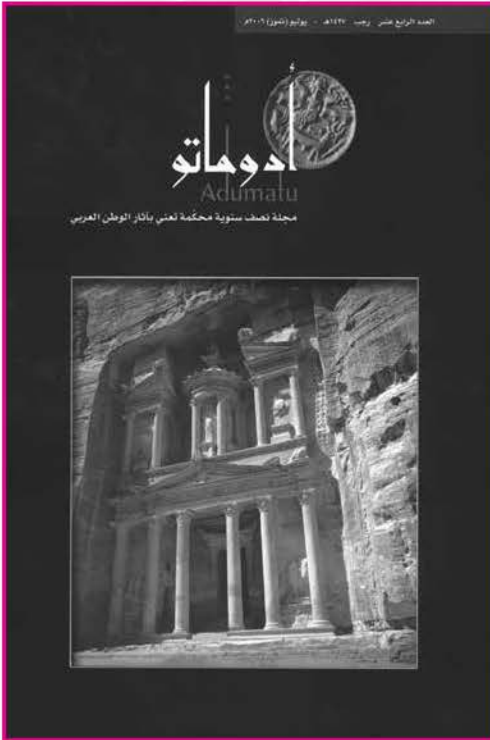
> تتبنى المؤسسة برنامج نشر علمي تصدر عنه دراسات علمية وكتب ورسائل جامعية بمعدل ٦ مطبوعات سنوياً

كتاب الصحراء العربية لمؤلفه الايطالي الويس موسيل.

كما بدأت المؤسسة بتعريب ونشر بعض كتب الرحالة الذين مروا بالمنطقة في القرن التاسع عشر، إذ ترجمت خمسة كتب منها، نشرت المؤسسة أحدها وهو كتاب: "الصحراء العربية - الملاحق" لمؤلفه ألويس موسيل. كما أصدرت سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م دورية ثقافية نصف سنوية أطلقت عليها اسم "الجوبة" تعنى بالشئون الثقافية والاجتماعية صدر منها ١٣عدداً ثم توقفت لعدة سنوات، وارتأت المؤسسة إعادة إصدارها لما تمثله من دور في رعاية الأقلام الشابة بالجوف، واستكتاب المبدعين والموهوبين في مجالات الأدب والشعر والمقالة من أبناء المنطقة، واستأنفت المؤسسة إصدار العدد الرابع عشر من الجوبة مع بداية عام ٢٠٠٦م، وخرج بثوبٍ جديد، يمثل خطوة واعدة؛ ويرأس تحريرها الأستاذ إبراهيم موسى الحميد.

وفي يناير عام ٢٠٠٠م بدأت المؤسسة بإصدار مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بآثار الوطن العربي أطلقت عليها اسم (أدوماتو)، وهي متخصصة بنشر الدراسات والبحوث المتعلقة بآثار وحضارة الجزيرة العربية والوطن العربي بشكل عام، وشكلت المؤسسة للمجلة هيئة استشارية ضمت مختصين من مختلف أقطار العالم، ويرأس تحريرها الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، صدر منها حتى الآن أربعة عشر عدداً وتنشر أبحاثها باللغتين العربية والإنجليزية، وقد لاقت اهتماماً ملحوظاً في مختلف الأوساط العلمية في داخل المملكة وخارجها، واستناداً إلى أ.د. عبدالرحمن الأنصاري أستاذ الآثار فإن مجلة أدوماتو أصبح لها روادٌ من المتخصصين والمهتمين بآثار الجزيرة العربية والوطن العربي، وأصبحت تحظى باهتمام معظم الجامعات العربية والعالمية ومراكز البحث العلمي الغربية، فيما يتعلق بالبحوث المنشورة عن آثار الجزيرة العربية والوطن العربي. ويشير رئيس تحرير مجلة أدوماتو إلى أن قائمة المشتركين بمجلة أدوماتو تضم جامعات ومراكز بحوث عالمية وأساتذة ومختصين ومهتمين من مختلف الأقطار العربية والعالمية، فضلاً عن المشتركين من داخل المملكة.

ومع تطور برنامج النشر ارتأت المؤسسة تشكيل هيئة استشارية للاشراف على "برنامج نشر الدراسات والإبداعات الأدبية وتمويل البحوث والرسائل العلمية" مكونة من ثلاثة أساتذة أكاديميين من أبناء الجوف برئاسة الدكتور عبدالواحد بن خالد الحميد وعضوية الدكتور ميجان الرويلي والدكتور



* غلاف العدد الرابع عشر من مجلة أدوماتو



خليل المعيقل، وبدأت الهيئة بتنظيم أعمال النشر ووضع لائحة تحدد شروط النشر، تتضمن استقبال الأعمال المقدمة للنشر وتحويلها للتحكيم والتقويم، ثم يطلب من صاحب المخطوطة تنفيذ التوصيات الخاصة بالتحكيم، قبل أن يدفع العمل إلى المطبعة ويأخذ طريقه للنشر والتوزيع.



* قاعة الدوريات بدار الجوف للعلوم

وقد أصدرت هيئة النشر منذ توليها مسؤولية برنامج النشر ١٥ كتاباً في مجالات العلوم والتاريخ والآثار والأدب، ومن هذه الكتب: "حي الدرع بدومة الجندل - دراسة معمارية أثرية" لمؤلفته د. حصة الشمري، والمجموعة القصصية "رائحة الطفولة" لعبدالرحمن الدرعان، وكتاب "بحوث في آثار منطقة الجوف" للدكتور خليل بن إبراهيم المعيقل، وكتابان للدكتور سليمان الذييب "نقوش قارا الثمودية بمنطقة الجوف" و "نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية"، وكتاب "التنظيمات العسكرية النبطية" لمؤلفة صالح الدغيم، وكتاب "تقويم أداء مديري مراكز التدريب المهني في المملكة من وجهة نظر المختصين بالتدريب" لدخيل الله الشمدين، وكتاب "اقتصاديات منطقة الجوف - نموذج جديد للتنمية المحلية" لمؤلفه الدكتور محمد عبدالعال صالح، وكتاب "دومة الجندل من عصر ما قبل الإسلام" لمؤلفه عبيد الجابري، وكتاب "ظهور الخطوط الحديدية وآثارها في المشرق العربي" لمؤلفته نوف بنت رزق الروضان، وكتاب "أنواع العقارب والثعابين السامة في منطقة الجوف" لمؤلفه أ.د محمد بن خالد السعدون، وقصتان للأطفال "ريم والصياد" للدكتور أسد محمد، و "مفاجأة ماجد" للأستاذ محمد صوانه. ومن أحدث الإصدارات كتاب "تخطيط المدينة المنورة في العهد النبوي والخلافة الراشدة: دراسة حضارية في ضوء المصادر التاريخية"، تأليف د. حصة الشمري. واستناداً إلى مكتب هيئة النشر بالمؤسسة، ثمة عدد من المخطوطات والرسائل العلمية، ما تزال في مرحلة التحكيم والفسح الآن، ينتظر صدورها قريباً.

تمويل الأبحاث العلمية الميدانية

والبرنامج الثاني الذي تشرف عليه هيئة النشر وتوليه المؤسسة اهتماماً ملحوظاً، هو برنامج تمويل ودعم البحوث العلمية، وهو يتعلق بالبحوث والدراسات الميدانية التي تدرس قضايا مهمة في منطقة الجوف، من خلال البحث المبني على قواعد علمية بإشراف متخصصين أكاديميين تساندهم فرق فنية.

وقد موّلت المؤسسة حتى الآن أربعة بحوث علمية هي: دراسة بيئية وسمّية وإكلينيكية لأنواع العقارب



والثعابين السامة في منطقة الجوف بإشراف الباحث أ.د. محمد بن خالد السعدون من كلية العلوم بجامعة الملك سعود واستمرت الدراسة لمدة سنتين، وقامت الهيئة بطباعة ونشر نتائج الدراسة في كتاب صدر في عام ٢٠٠٤م بعنوان: "أنواع العقارب والثعابين السامة في منطقة الجوف".

والبحث العلمي الميداني الثاني الذي موّلته المؤسسة كان بإشراف باحث من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن أ. د. محمد الجارالله بعنوان: "دراسة تركيز غاز الرادون المشع طبيعيا في المساكن بمنطقة الجوف" وانجز البحث الذي استغرق ١٢ شهراً في صيف عام ٢٠٠٥م، ويجري الآن الاعداد لإصدار كتيب عن نتائج الدراسة يتوقع صدوره قريباً.

كما موّلت المؤسسة بحثاً ثالثاً بعنوان: "دراسة التنوع الأحيائي (الحيواني) في منطقة الجوف باشراف الباحث د. محمد السعدون، وتستمر الدراسة لمدة ثلاثين شهراً، ويتوقع الانتهاء من الدراسة في شهر ديسمبر المقبل، ومن المنتظر أن تكون من نتائج الدراسة إعداد أطلس مصور عن أهم الحيوانات والطيور المتواجدة في منطقة الجوف، ما يشكل دراسة غير مسبوقة ستكون لها أهميتها. وأما البحث الرابع، فهو ما يزال في بدايته وهو دراسة علمية في مجال علم النفس الاجتماعي، باشراف الباحث بجامعة الملك سعود د. فلاح بن محروت العنزي، وسيكون ميدان البحث في الهجر البدوية والمدن الصغرى والكبرى بالمملكة.

مدارس الرحمانية

ومن منطلق اهتمام المؤسس الأمير عبدالرحمن السديري بالتعليم، أنشأت المؤسسة في عام ١٤٠٧هـ داراً للحضانة وروضة للأطفال، ولاقت التجربة نجاحاً واهتماماً كبيراً من أهالي مدينة سكاكا، فأبدوا رغبتهم في التوسع في هذه التجربة وتأسيس مدرسة ابتدائية، فجرى افتتاح مدرسة ابتدائية للبنين وأخرى للبنات عام ١٤١٠هـ ثم توسعت لتضم المرحلتين المتوسطة والثانوية، وأصبحت أول مدرسة أهلية بالمنطقة، وأسهمت في تطور التعليم، وخرّجت أفواجاً متتالية من الطلاب والطالبات، المتسلحين بالعلم والخبرات المتميزة، التي اكتسبوها من خلال برامج المدرسة اللامنهجية التي ترعى المواهب والنشاطات الإبداعية.

وتتمتع مدارس الرحمانية بسمعة طيبة في مجتمع الجوف، نظراً لما توليه المؤسسة من عناية واهتمام ومتابعة لها، ومن حرص على انتقاء الكوادر التعليمية المؤهلة والراغبة في ممارسة مهنة التعليم لتكون قادرة على العطاء والإبداع. وتضم مدارس



* زوار لدار الجوف للعلوم





* مبنى مدارس الرحمانية الأهلية

الرحمانية (بنين) في العام الدراسي الحالي ٦٢٣ طالباً موزعين كما يلي (٣٣٠ ابتدائي، ١٠٦ متوسط، ١٨٧ ثانوي) يشرف على تدريسهم ٥٦ معلماً، أما مدارس البنات فتضم ٢٥٤ طالبة (٤٠ روضة، ٩٧ ابتدائي، ٤٢ متوسط، ٧٥ ثانوي) باشراف ٣٠ معلمة.

جائزة الأمير عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي

واستكمالاً للدور الريادي الذي اختطته المؤسسة في مجال التعليم، استحدث مجلس الإدارة في عام ١٤١٠هـ جائزة الأمير عبدالرحمن السديري للمتفوقين علمياً في مسارات التعليم المختلفة، وتقرر تقديمها على شكل بعثة دراسية للطلبة المتفوقين في مدارس منطقة الجوف، تمنح سنوياً لأحد أبناء الجوف المتفوقين في الثانوية العامة، وفق لائحة الجائزة، وقد بلغ عدد الحاصلين على الجائزة ستة مبتعثين، يتابعون دراستهم في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية واستراليا، والتحق بعضهم في معاهد تعليم اللغة الإنجليزية بالولايات المتحدة الأمريكية تمهيداً لاستكمال تسجيله في الجامعات الأمريكية؛ كما تمنح جائزة نقدية قدرها ٢٥,٠٠٠ ريال للحاصلة على المركز الأول في الثانوية العامة على مستوى منطقة الجوف، لمتابعة دراستها باشراف ولي أمرها. وتقدر تكلفة الابتعاث السنوية للطالب الواحد بمائتي ألف ريال.

وتحرص إدارة المؤسسة على متابعة مراحل دراسة الطالب المبتعث على حساب الجائزة وتحصيله العلمي، وتساعده في الحصول على التأشيرة اللازمة والقبول في الجامعة التي يرغب الدراسة فيها، كما تصرف له مخصصات الدراسة والسكن والسفر والمصاريف طيلة فترة دراسته الجامعية، حسب شروط لائحة الجائزة.

المجلس الثقافي

ويشرف على نشاطات المؤسسة الثقافية مجلس ثقافي مكون من عدد من أبناء الجوف، وهو هيئة تطوعية تضم نخبة من المثقفين من أبناء وبنات منطقة الجوف المتطوعين بجهدهم ووقتهم، للإسهام في إثراء الحركة الثقافية بالمنطقة، تعمل على اقتراح البرامج والنشاطات الثقافية بما فيها تنظيم الندوات والمحاضرات الثقافية العامة حول الموضوعات التي تهم مختلف القطاعات الأهلية بالجوف، ويعقد المجلس اجتماعات دورية لهذا الشأن، ويتكون المجلس من هيئة عامة وهيئة تنفيذية.

وقد أقامت المؤسسة العديد من الندوات والمحاضرات والمعارض المتنوعة المواضيع زادت على ٣٠٠ نشاط بقسم الرجال ومثلها بالقسم النسائي. وأسهمت هذه النشاطات في التعريف بالمنطقة، من خلال لقاءات أبناء المنطقة بكبار المسؤولين والمفكرين والكتاب والمثقفين من جميع أنحاء المملكة والدول العربية أيضاً.

الجمعية العمومية

وللمؤسسة جمعية عمومية تجتمع سنوياً للنظر في التقارير الإدارية والمالية، وتقرير مدقق الحسابات المعتمد عن أعمال ونشاطات المؤسسة خلال العام، وتملك الجمعية التي تتشكل من نخبة من أبناء الجوف ومن أصحاب الخبرة والاهتمام بالعمل العام - صلاحيات واسعة تتضمن تعديل النظام الأساسي، وتعيين الأعضاء، واقرار مشروع الميزانية للسنة المالية الجديدة، وتعيين مراقب الحسابات، وتصدر قراراتها بالأغلبية المطلقة.

وتمثل الجمعية العمومية بأعضائها رافداً معنوياً مهماً في تفعيل نشاطات المؤسسة، واقتراح ما يراه أعضاؤها من فعاليات ثقافية، لتتولى المؤسسة دراستها وتنفيذها.

مبادرات تراثية

كان لاهتمام المؤسس الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، رحمه الله، بالتراث المحلي لمنطقة الجوف، دور في أن تتبنى المؤسسة الخيرية العناية بالتراث الوطني الأصيل، ورعاية المهتمين به وتشجيعهم على النهوض بهواياتهم وإبداعاتهم، وتطويرها، فقد نص نظامها الأساس على إقامة أسبوع للجوف، تقام فيه النشاطات التراثية والمسابقات، التي من شأنها إبراز أصحاب المواهب والصناعات اليدوية التراثية والمشروعات الزراعية الناجحة ورعايتهم وتشجيعهم.

وقد بادر الأمير عبدالرحمن إلى تنظيم مسابقة للهجن عام ١٣٨٣هـ، وكانت أول مسابقة منظمة تجري للهجن على مستوى المملكة في ذلك الوقت. واستمر الأمير عبدالرحمن السديري على اهتمامه بإقامة هذا السباق، وقد أسهمت هذه السباقات في حفظ هذه الرياضة العربية وتنميتها، وزيادة الاهتمام بها من قبل أهالي منطقة الجوف وما حولها.

كان الأمير المؤسس، ينظر بعين ثاقبة وهو يرعى هذه التظاهرة الثقافية السنوية، فقد آتت ثمارها، فاجتمع أهالي المنطقة وترسخت أواصر العلاقة والتعاون فيما بينهم، وازداد تشجيع هذه الرياضة العربية الأصيلة، وزاد اهتمام أبناء البادية بالاحتفاظ بسلالات الهجن المميَّزة التي كانوا يقتنونها، وسعوا إلى تنميتها؛ كما أسهم المهرجان السنوي لسباق الهجن في جلب أنظار المهتمين لزيارة المنطقة وحضور السباق، والاستمتاع بهذه الرياضة الأصيلة.

كما أقام المؤسس مسابقات للمزارعين رغبة في تنمية هذا القطاع، وإطلاع المزارعين على تقنيات الزراعة الحديثة، من خلال الجوائز والمعلومات التي تقدم في مناسبة المسابقة.

وأقام المؤسس الأمير عبدالرحمن السديري أيضاً معرضاً للسجاد اليدوي المصنوع في المنطقة بهدف إبراز هذه الصناعة، وعرض ما تنتجه منطقة الجوف أمام زوار المعرض، وتحفيز من يمارسونها على حفظها وتشجيعهم على التنافس لتطويرها والابداع فيها، من خلال الجوائز التي كان يقدمها لهم.

ومن المبادرات الأخرى التي رعتها المؤسسة



ونشطت في تنظيم برامجها، مركز تحفيظ القرآن الكريم، الذي كان يستقبل الطلاب والطالبات منذ عام ١٤٠٥هـ بواقع حلقتين في كل قسم، وكانت تشرف على التدريس به الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في الجوف، وقدمت المؤسسة مكافآت لطلاب وطالبات المركز قبل أن يتوقف المركز ويقتصر العمل على الفرع المقام بالقسم النسائي بدار الجوف للعلوم.

كما بادرت المؤسسة أيضاً إلى تنظيم دورات تدريبية في مجالات الحاسب الآلي والخياطة، ودورات أخرى كلما دعت الحاجة مثل: دورات تعليم اللغة الإنجليزية، وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. وكانت المؤسسة تقوم بتلك المبادرات نظراً لعدم توافر من ينظمها في منطقة الجوف، وقد تخرج منها العديد من أبناء وبنات الجوف، وبعد انتشار المراكز الخاصة التي تقوم بمثل هذه الدورات بالجوف، رأت إدارة المؤسسة التوقف عن تنظيمها، والاهتمام بالنشاطات الثقافية المنبرية الأخرى.

جامع الرحمانية

سعت المؤسسة منذ وقت مبكر إلى إنشاء مسجد جامع حديث في مدينة سكاكا، وقد خرج هذا المشروع الحيوي إلى النور بدعم كريم من العديد من المتبرعين وفاعلي الخير، وفي مقدمتهم المغفور له بإذن الله تعالى الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - طيب الله ثراه - وأقيمت فيه أول صلاة جمعة بتاريخ ١٤١٥/١٢/٢٠هـ.

صُمّم جامع الرحمانية، بأسلوب جمع بين الأصالة والحداثة، إذ أُدخل في تصميمه استخدام نظام الأبراج الهوائية للتبريد، وهو أسلوب قديم معروف جرى تحديثه مؤخراً، ويعد مسجد الرحمانية أول مسجد تستخدم فيه هذه الطريقة للتبريد، كما تجري تدفئة المسجد خلال فصل الشتاء بوساطة نظام ضخ المياه الساخنة عبر شبكة ممتدة تحت أرضية المسجد.

وتبلغ المساحة الإجمالية للمسجد (٢٧٠٢) متر مربع، منها (١٦٠٠) متر مربع للمصلى الرئيسي، الذي يتكون من صالة مربعة الشكل تتوسطها أربعة أعمدة؛ ومصلى للنساء تبلغ مساحته (٥٠٢) متر مربع، وهو الطابق العلوي للمسجد، وله مداخل مستقلة، وملحق به حوض للوضوء ودورات مياه، ويتسع المسجد بقسميه (مصلى الرجال ومصلى النساء) لحوالي (٣٤٠٠) مصلٍ.



* جامع الرحمانية بسكاكا

وتعلو المسجد من الخارج قبتان



مكسوتان بموازييك برونزي اللون، يبلغ ارتفاع أحداهما (٢٠،٧٥) متراً بقطر (١٤،٣٠) متراً، أما الثانية فيبلغ ارتفاعها (١٧،٣٥) متراً وقطرها (٩،٦٥) متراً، وللمسجد مئذنتان يبلغ ارتفاع كل منهما (٣٧،٢٠) متراً.



* فندق النزل بالجوف جمع بين عناصر التصميم المعمارية: النجدية والخليجية والاندلسية.

فندق النزل

تمشياً مع السياسة الاستثمارية لأموال المؤسسة الهادفة إلى الإسهام في التنمية الاقتصادية لمنطقة الجوف، ونظراً لحاجة المنطقة إلى توافر فندق بمواصفات الدرجة الأولى، رغب المؤسس أن تبادر المؤسسة إلى إقامة فندق حديث في المنطقة؛ فتبنت المؤسسة فكرة إنشاء الفندق، واستثمرت في إقامته جزءاً من المال الموقوف عليها. وتحقق لها ذلك في عام ١٩٩٥م، وأطلقت على الفندق أسم "النزل"، وهو يستقبل نزلائه من زوار الجوف منذ ذلك الوقت، ويقدم لهم خدمات فندقية متكاملة.

وقد روعي في تصميم الفندق البساطة والجمال، ويحتوي الفندق على صالة للمناسبات، ونادٍ صحي، ومطعم خارجي، وصالات جلوس عديدة، كما يعتمد استخدام نظام الأبراج الهوائية للتبريد.

مركز الرحمانية الثقافي بالغاط

واستمراراً لنهج الأمير عبدالرحمن السديري، في تأسيس محاضن ثقافية وريادية، إيماناً منه بأن المكتبات روافد مهمة للعلم والمعرفة والبحث العلمي، جرى تأسيس مركز الرحمانية الثقافي بمدينة الغاط، وهو فرع من المؤسسة التي أنشأها بالجوف. ويتكون مركز الرحمانية من مكتبة الأمير عبدالرحمن السديري للرجال ومكتبة منيرة الملحم للنساء، وقاعة سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز للمحاضرات، ومسجد، وحديقة، وبستان. وتضم المكتبة أمهات المصادر والمراجع التي تهم المثقفين وطلاب العلم من أبناء الغاط، وقد فتحت المكتبة أبوابها في يونيو ٢٠٠٣م، وتم افتتاحها رسمياً في ١٤٢٥/١١/١٧هـ (٢٠٠٤/١٢/٢٩م) برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود. وقد لاقى افتتاح المركز ترحيباً واسعاً من قبل أهالي الغاط، وتفاعل أبناء وبنات الغاط مع مختلف برامج المركز وأنشطته الثقافية المتنوعة.

ملهاة الكائن

> زياد عبدالكريم السالم*

خُذْ الزنبيلَ وعلّقه على الشجرة.

كُنْ حَذقاً مثل زئبقٍ يتسللُ إلى نومنا ليحرس ساعته اللزجة، حيث الحلم وأشكاله اللاهية، إذ يتكون عالمٌ بلا تأريخ.

كُنْ عري المرآة وأكشف مكيدة الأزل، حين يموّه الموت مبتدعاً حمامات منسية في ملهاة الكائن.

ألتمس مهدك المائي أيّها المداهم في خلوة التابوت.

قربك حجر ينزف في العتمة.

هو الذي نزع عنك وحشتك وآنسك بالمسير وأوحى إليك أنْ انتبذ مكاناً. أهله يربّون عبّاد الشمس في حقولهم ويعرون تحت صارية المدينة. عرائس أكثر طيشاً من مجون المياه... دليلهم الغواية، يمضون مهرقين الصاعقة برقاً برقاً على حجر الروح.

•••

ليس للنعامة إلا أن تحنو عليك كلما عوى الذئب من ورائك نفشت ريشها أو باضت في النهر. حتى إذا أويت إلى صخرة ترضع الغمام خفّ إليك توتي تترلق الشرانق بين يديه يُبلل الليل بلعابه ينتحل نفسك الأليفة.

فيما يُسميك زجاجة المدى .

وعند شجرة الأغاني يُلمّع نايه بالحصى مأخوذاً بأطفال يعقدون الأعشاب على رؤوسهم ويرقصون.

•••

يا من تلتقط بقفازك بيضه الهباء ثم تهوي بها في الأقاصي.تمهل قبل أن تؤذي النسناس النائم في خلاء مشمس. ذاك الذي كلما غنى أخضر ما حوله. ألا تراه يسرح دنانه متوسلاً بعين أخرى دالية تلوذ بها شهوة العنب.ستراه، وسترى ملاكاً يندلق الضحى من ثدييه.

إما رأيته رأيت المكان مزيناً بأباريق الظلال.

لكنه كالورد يذوب في الترهة مرتشفاً حبر الأنثى. حتى إذا مر به أول الطيور اصطفاه لنفسه وأغواه بخواتم النيروز.

تهمّل إذاً.

تمهل قبل أن تتهمه بدمية شمع ملقاة على الساحل.

•••

مرايا النهر

بادهتني الريحُ فوضعت ثيابي على شعر شقيقتي الممتد من قرية قصية تكاد تختفي الآن.

رأيت من عيني الواقعة على قرن حلزون ذاهب في النعاس، رأيت صبية أشبه بذباب الفاكهة، يلعبون في النهر كأنهم يلهون في دمي.

قلت: خلقت من هذا المكان ولن أبرح حتى يُريني الكلب زرقة قدميه!

•••

لقطة زجاجيه/ مرايا البحر. الملاّحون نائمون على خرائطهم الليلية.

يرعون أعشاب البحر في قمرة أحلامهم.

يكتشفون فناراً يضيء نايات تنتحب في زوارق الليل.

قلت: هذه السفينة مخلّعة الألواح آن لأهلها أن يتأملوا القطن وهو يدخل فترة الظل.

طالما أن النوارس ترفو زرقة الأماكن!؟

•••

كنت مطارداً وموشكاً، مثل بالون يحاول التفلت من دائرة القطط.

نفرت إلى كوخ بين جذوع النخل، يغزل اللهو لأشخاص غامضين ذوي معاطف تثير الريبة، وغلايين مضيئة تتدلى من شفاههم، إلا إنها مشغولة بغزلان فقدت قرونها ثم تاهت في البرية.

* شاعر وقاص سعودي.

على مشارف الوجع..

> عمار الجنيدي *

تهويمة..

مالي،
كلّما راهنتُ على جوادٍ
كبا.
وكلّما راهنتُ على صديقٍ؛
حاد عن جادة الوفاء
وانتحى.
وكلّما جاءني حاقدٌ؛
نضوتُ غبار الحقد عن وجهه
وسكبتُ في روحه أشجاني،
والمنى..
وكلّما رنوتُ إلى حظّي
في صقيع الفنجان،
يخرج مارد الذهول
من غفوته الطويلة
يبحث عن حظي المزعوم
في جبال عجلون
في (تلال الصوان) (والمحافير)[1]
وكلّما أوغلَ في الفشل؛
عاد،
وهو ينسج للفجر
من السواد كفناً..
خيولي:
خيولي التي رَمَحَ الجنونُ صهوتها؛
ترثيني..
فما عاد الفرقُ جليّاً
بين الصهيل ورجع الصدى ...

على رموش عينيكِ..

(١)

لم يكن الفراقُ
مجرد أغنية
ردّدناها معاً.
أو دمعتين
تساقطتا
من مقلتينا ...
لا؛
ولا كان الوداعُ شراعاً،
طواه الموج
وراء البعيد.. البعيد:
الغارق في التيه والضياع..

(٢)

لم يكن بالبال رحيلك ...
ففي القلب خطايا كثيرة،
وفي محرابِ الروحِ
ابتهالات مؤجلة ...
غير أني:
من أجل عينيكِ
أنزفُ شعراً،
من أجل وشم الكبرياء المرسوم:
فوق أهدابك..
وأستحلفكِ،
يا محزونة العينين،
بأن لا ترحلي،
قبل أن أنصب
على رموش عينيكِ:
مشنقتي!!..

عبث..

مرّي:
على سنابل تمرّدي
ودعي
غيث السماء
يتهاطل سخيّا
على حقولي
وأسكري
صهيل انتصاراتي
بلفتة
من مهجة الشوق
فما زال في العمر متسع
لكلّ هذا العبث..

جنون..

أنتِ:
والغول الذي يلاحق الرعاة
في غابات الأرق،
مجرد صرخةٍ في زمن الثرثرة.
مجرد تهويمةٍ
يشدو بها حادي الفصولِ الخمسةِ..
فاخلعي عنكِ
عباءة الندمِ المجنون..
ثم اهبطي
من عليّة الوجومِ على عجل؛
كيما نتصالح ونتفقَ
على المزيد من الجنون..

---

* شاعر من الأردن.

(١) أشهر الأماكن الزراعية في جبال عجلون..

ارتِبـــاكٌ

> سعدي يوسف

نهاري نهارُ الناسِ حتى إذا دجا بي الليلُ هبّتْ تنهبُ السهْبَ متْهَبا

عواصفُ شتّى: الثلجُ والنارُ ؛ بينما أُحِسُّ هفيفاً من جناحِ فراشةٍ

على هُدُبي. ما أضيقَ الكونَ! إنني أُسرِّحُ طرْفي في المياهِ فلا أرى

سوى صورةٍ بُنْيَّـةٍ. أهيَ صورتي أم الأصلُ؟ هل كان الصباحُ

حقيقةً؟ وأين نهارُ الناسِ؟ في مطلع الفجرِ عندما نظرتُ من الشبّاكِ

أبصرتُ، بغتةً، غزالاً. وأوراقُ الخريفِ وثيرةٌ على الأرضِ. والعشبُ النديُّ

يرِفُّ في مرايا رهيفاتٍ. وكتمْتُ، مُصغياً إلى الكونِ، أنفاسي.

الغزالُ كأنه غزالُ التماثيلِ. الشُّجيراتُ مرتسمٌ. وما أفصحتْ عنه

العصافيرُ منطقٌ لغيرِ العصافيرِ. الحياةُ - كعهدِها - تريدُ حياةً ؛

أين منّا مياهُها العميقةُ، والجُرُفُ الذي ليس دانياً، ولو حُلُماً؟

يا للغـــزال!

لندن ٢٠٠٥/١١/١٣

لحظة شُرود

> د. عبد البديع عراق

ذَهبَ السمعُ وغطّاني السكونُ ... وافترشتُ اليأسَ تكويني الظنونُ

أرقبُ الأفواهَ والأوجُهَ علّي ... أفهمُ المقصودَ لو لاحتْ عُيونُ

قيلَ: هيّا، عند (دكتورٍ) قريبٍ ... هو للسمع نَطاسيٌّ أمينُ

قلتُ: كلاّ إنني في وحدتي هذي ... سعيدٌ، ليسَ ليَ اليومَ مُعينُ

كل يومٍ نشرةُ الأخبارِ تُلقي ... بتلالٍ، كلُّ ما تحوي حزينُ

وبلادي في حريق يتلظّى ... وبها للقتلِ في أهلي فنونُ

ورحابُ القدسِ تشكو دهرَها ... وينزُّ الدمعُ تغليهِ الجُفونُ

ورجالٌ قَبلوا الزيفَ جُلُوداً ... حاربوا الصِّدقَ، وما فيهمْ رزينُ

لم يَعُدْ للحقِّ سيفٌ أو لسانٌ ... ها هو العدلُ شريدٌ أو طعينُ

هذه الأيام تُسْقَى بظلامٍ ... وبظُلمٍ، إنه دهرٌ خَئُونُ

هي دنيا للأفاعي والخنازيرِ ... فَبِئْسَتْ، فهي للموتِ قرينُ

فاتْركوني لشقائي، لا أريد السمْع ... والدنيا، فهل هذا جنونُ؟!

* * *

أيها الشاعرُ لا تكفرْ، بل اشكرْ ... خالقَ الكونِ على ما كانَ قدَّرْ

و أرْضَ بالأقدارِ والمقسومِ دوماً ... أقبلَ الحظُّ يُغني، أو تَعثّرْ

تجدِ الراحةَ والبُشرى جزاءً ... فالرضا كنزٌ، على الإنسانِ كوثرْ

نعمةٌ ضاعتْ وولّى خيرُها ... سوفَ يبْقى من عطاء الله أكْثرْ

وامتحانُ اللهِ للخلقِ ابْتلاءٌ ... هل ستطغي ؟! أم ستنساها وتصبرْ ؟

وفلسطينُ فِداءٌ وعَطاءٌ ... بَيْرَقٌ للحقِّ يَعْلونا فنَفْخَرْ

* * *

عفوكَ اللهمَّ، واغفرْ لي شُرودي ... ولكَ الحمدُ، أنا لا زلتُ أُبْصِرُ

إلى توم هانكس باكراً

> محمد الحميد

"منذ شاهدت فلم (شيفرة دافنشي) وأنا أصارع الجدار، أينُّا يتأخر". يتعينُ للعين أن تكشط السقف، تفتح فيه الدروب، لتسري الأصابع، تمتص هذا السديم المُغَبَّش، تطرقه في بياض الجدار، لتفسح في الدم أول ما يلتقي الآخِرون بأسلافهم. تستعير الكنائس أصواتها في الخلود.. لتعرى.

الممثل لم يذكر النحل في حرفه، تجرد حتى يكاد الزجاج المهيب على متحف (اللوفر) يدنو ليلمس أدنى النوايا، يعد الطلاسم يكشف عن قاتل الجد (سينير).

(توم هانكس):

أبوء بعيني، ترف عليك كما البرق، تخطف أحراش تيك الحشائش، تقرفص فيك الديانات، تُجاوب أصدائها في الوجيب الممل، ألا تترك الباب، تصعد فيك تآويلهم في الضحى، وأنت بـ (باريس) تصرخ:

صاعدون باتجاه (الأنثروبولوجيا)، ولتكن فيكمُ بحة الفوت، يا أيها الناسكون بملح التأخر. صباح (التشرذم) يا أيها الفلم، تكسو صباح (الرياض) بهذا الضباب المفخخ، أنادم بعدك هذا الجدار الفسيح؟ أسائله، من تراه على ضفة الصدق يفنى، ومن يتأخر؟

قصائد

> عبدالرحيم الماسخ *

هدنة

مسامُ الحرير لروحكِ شرنقةٌ
وأنا في حنيني أسير
بلا وتر تتوزّعه ثقة في الزوايا تدور
تمزّق أقبية الصمت
والوقتُ ينصبُ أجراسه في ندى نشوتي
في مهبِّ الغرور
وأنتِ تُحيطين فجرا بأغنيةٍ
وتفيضين من وَترِ القمر المُنْصِتِ
الشجرِ المتلفّتِ
بحرِ اللقا والتشتتِ
أنتِ وأنت وأنت
ومن لوعتي انسحبتُ فرحتي
احتضنتُ يقظتي غفوتي
فاحتجبتُ بقوس انتظاري
أهادِنُ ثورة مائي وناري
بوهم اقترابكِ يا حلوتي!

إيغال

في وجوهِ الصبايا
سقى الوردُ نايًا فنايا
فأخرجَ للعاشقين ثياب المرايا
وما زالتِ الطيرُ ترعى خيالا وعَى
للرحيل الوصايا
أنا والرياحِين
والصمتُ: شوقٌ دفين
يرفرفُ عبْرَ الحنايا
وأغنية تتثاءبُ
كالغيمة انكسرتْ
واحتوتْ مقلتيها العجائبُ
معْروقَة بالثنايا
أحبكِ
تنفلتُ الريح بي
وتحطُّ على الكوكبِ المستريح الخبايا
أحبكِ
تسمعني الذكريات فتنتفضُ
الظلُّ تومضُ فيه الحياة بآمالها
وتطِلُّ على شجر يستعيد الزوايا
وأرحلُ معتصمًا بانكساري
أسوقُ على الماءِ داري
إلى مُنتهَى منتهايا!

إصرار

تستديرُ إلى حائطِ الصمت أغنيتي
والخلاء يُمسِّدُ شعرَ النسيم
ألملِمُ وقتي
وتهرب من حيرتي همساتُ النجوم
وأنتِ تطوفين يا نحلّة بالأزاهير
يا موجّة............ بالخرير
ويا قمرًا....... بالمساء الضرير
ولا تحملين الوصايا إلى موعدٍ
تتراكبُ أغصانه: شجراً في مسام الحرير
تدور إلى حائط الصمتِ أغنيتي
الخلاءُ يرجِّع موتي
وأنتِ كما أنتِ
منذ وعدتِ الشذى بالخلاء النضير
رياحَ الصَّبا بالغدير
رياضَ السنا بالعصافير
واخترتِ بيتاً على ربوة الحلم
الليلُ يهمي
وتشتعل الذكريات على جمرة الألمِ
المحتمي بالخلاء المطير
ولم تمسكِ الريحُ عُرفَ الغمامةِ
والبرقُ تاه عن السريان/ العلامةِ
بين الهُدى والمسير
وأنتِ كما أنتِ
لم تطلعي منذ غبتِ
وأرسلتُ خلفكِ أوردتي
عكسَ موج المصير!!

---

* شاعر من مصر.

الطريق إلى العدم

> سعيد أحباط*

تكسيراً للرتابة والملل، عزمت أنا وصديقي السفر إلى إحدى المناطق. حبذ صديقي الفكرة، وبدأ متحمساً، أعددنا أمورنا وانطلقنا، بعد يومين من السفر عبر الحافلة وصلنا للمكان المقرر.. استقبلنا الهواء الساخن بتحّية حارّة؟

في اليوم الثاني، استأجرنا سيارة تاكسي، خرجنا لنستكشف معالم الفضاء الصحراوي.

ابتعدنا عن المنطقة التي كنا نتنزه فيها. أثارت رؤية المناظر الرملية نشوة فينا. كانت منحوتات تقدم للعين دون استئذان.

تبادل معي صديقي كلمات هامسة، مبدياً سعادته الفائقة للاختيار.

سررت لسعادة صديقي، لاحظ السائق همساتنا، وكأنه أدرك ما يدور بيننا. فأقترح علينا أن يأتي صباح الغد يأخذنا في رحلة أبعد، وبالأجرة نفسها، مؤكداً رغبته في مساعدتنا، لمزيد في اكتشاف خبايا هذا الفضاء الصحراوي..

بعد وصولنا لأحد المطاعم، طلبنا من السائق أن يتوقف لنتناول طعام الغذاء. استحسن السائق الفكرة، وقال إنه سيشاركنا الطعام إذا ما وافقنا على ذلك، أردت أن أدفع ثمن الوجبتين، إلا أن السائق اعترض، ودفع ثمن الوجبات الثلاث!.

في اليوم الثالث، وفور خروجي من باب الفندق، رأيت السائق يقف بجانب سيارته، حييته، ردَّ التحية بأحسن منها وصافحنا. ركبنا "التاكسي"، أدار المحرك، وكعادته أخفض "طاقيته" على جانبه. استرق بعض النظرات إلينا، مر بنا بإحدى "المداشر" الجميلة. لدرجة أن صديقي كان يرد « ياه!..»

كان السائق صامتاً طيلة الوقت، يتطلع إلينا من المرآة، حين نسأله يجيب إجابات دقيقة، لم يكن سائقاً "ثرثارا" كالسائقين الآخرين. بعد مضي فترة قصيرة



من السفر، همس لي صديقي أن صمت السائق غريب، أخبرته أن من الأفضل لنا أن نصطحب سائقاً صموتاً على أن نصطحب سائقاً كثير الكلام. أدرك السائق ما يدور بيننا. ولكي ينفي تهمة الهدوء المريب التي ألصقناها به. شرع يتكلم ولكي يهدئ من حدة انفعالنا، ويلفت انتباهنا إلى المناطق الخارجية، اقترح علينا الذهاب إلى مناطق أخرى أكثر جمالاً، قال ببساطه إنه يستحسن أن نستغل ضوء النهار. وضحك، وهو يقول لنا إن الفرصة لا تطرق أبواباً بحياتنا دائماً، ووافقنا السائق على الفكرة، وطلبنا منه أن يسرع ويأخذنا إلى الأماكن الأخرى التي يجدر بنا، أن نراها، أبدى استعداده التام بهمزة من رأسه، وابتسم ابتسامة شاحبة.

انحرف بنا في اتجاه آخر، كانت تظهر في أوقات متباعدة سيارات عادية قليلة، وسيارات أخرى عسكرية، شعر بقلقنا، ابتسم وقال إن ثمة معسكرات موجودة في هاته المنطقة، لكنه أكد لنا أنه يعرف المنطقة، مثلما يعرف إصبع يده، كانت المنطقة التي دخلناها قاحلة وشديدة الحرارة، لدرجة تشعر معها أن الصخر والرمل وكل شيء سيشتعل، أشرت إليه أن الطريق مليئة بالخطر وتبعث القلق والرهبة، فهم صديقي ما يدور في داخلي، فقال إنه هو الأخر قلق من هذه المنطقة القاحلة.

لم أعد أطمئن إلى كلامه وابتسامته، لزمنا الصمت وسارت بنا السيارة بسرعة، أدار مفتاح المسجل، انبعثت منه موسيقى خافية، طلبت منه أن يغلقه. لاحظ مدى قلقنا الظاهر على وجهينا فأخذ يحاول تبديده بمجاذبتنا أطراف الحديث مع الاحتفاظ بابتسامته الشاحبة. المنطقة تزداد وعورة وقسوة كان لسانه لا يهدأ وعيناه تنظران إلى الطريق وإلينا، والسيارة تنحدر بسرعة في طريق جبلي ضيق غير معبد، ثم ابتسم ابتسامة عريضة، وقال إن العجلة أصيبت بعطب، دب الذعر فينا، طلب منا بلطف أن ننزل لنساعد على تغيير العجلة قلنا له، إننا لا نستطيع أن نقضي ثانية واحدة في هذا الخلاء الصحراوي، قال مبتسماً أننا سنتحّمل ذلك، أكد لنا أن تغيير العجلة لا يستغرق أكثر من دقيقتين نزلنا من السيارة، لسع الرملُ الحارَ أطرافَ أصابع قدمينا، وانصبت أشعة الشمس الحارة على رأسينا.

في أثناء انشغالنا بحرارة الرمل، علا صوتُ محرك السيارة هادراً في صمت الصحراء، أطلَّ السائق برأسه من النافذة، وصرخ بصوتٍ عالٍ مودعاً إيانا متمينا لنا حظاً سعيداً في هذا العراء المخيف، وقهقهاته الحارة تردد في الصدى!.....

* قاص من المغرب، صدرت له سنة ٢٠٠٣م مجموعة قصصية موسومة بـ "صباح سوريالي"، وسيصدر له قريباً مجموعة قصصية ثانية: "لا أرى وجوهاً".

الرجل الذي لا ينام أبداً

> ترجمة محمد المزديوي/باريس

إنه من نوع الرجال القادر على فعل كل شيء، وهو لا أحد. هو من النوع الذي قام بكل شيء، تلقى دراسات وأشغالاً وضربات. هو الآن يدير معملاً، ولكن إدارة المعمل ليست هي الكلمة المناسبة. أوساط الأعمال تشبه باقي الأوساط الأخرى. دائماً ثمة القانون الأولي والبذيء ذاته. في كل مكان يوجد تعطش نحو الإدارة ورغبة في الإفناء، هو يعرف هذا القانون من دون أن يخضع لها. إنه يشبه المغناطيس، الذي يجذب إليه سُحالة المَصَالِح والوضاعات الضرورية في كل شُغل. هو يرى ويمرّ. لا يُفسدُهُ أبداً ما يقترب منه. الكبرياء هو من يقوده. كبرياء لا حدّ له، هو الذي حدده بنفسه. الكبرياء الذي يجعله لا يتخلى عن أناقة العيش، كبرياء الإفلات إلى حالته.

يسير في العالم مثل اختصاصي في علم الهندسة. يقيس المسافات بغريزته، ويعرف، دفعة واحدة، المركز والأطراف. حين يصل إلى مكان ما، يستمع، قبل الأوان، إلى الكلمات التي سوف يُتلفَّظ بها. يرى ما سوف يحدث، ويرى ما لنّ يحدث. يتجول في كل مكان. يعاشر النبلاء وثقيلي الظل وواسعي النفوذ. يُرَحَّب به على موائدهم، ويَستَمع إلى أحاديثهم. يقترب إلى أقصى درجة من هذه الرّجالات مثلما نميل في الفراغ ويخاطر أن يسقط فيه. يمرّ قريباً جداً من مرحلة موت الروح وقريباً جداً من نهاية طفولة. يفلت في آخر دقيقة من القهقهة ومن الوقاحة. ثم يعود، في الثانية الأخيرة، إلى ما لا يتوقف عن أن يكونه ألا وهو ذلك الطفل اللا مُحْتَمل، والفُضولي لمعرفة كل شيء.

الثعلب المهووس بالطريدة. يعود أدراجه، في ضحكة ويبتعد. الأحداث الحقيقية نادرة في حياةٍ ما، كما أن الأشياء الحقيقية نادرة هي الأخرى في الحياة. العالم ضيق ولا يحتمل طموحه، إذنّ فما الذي يتوجب فعله بالزمن المتبقي، بل ماذا يتوجّب أن يُفعَل بكلّ الزمن؟

يمتلك، اليوم، هذا المصنع، وغداً سيمتلك شيئاً آخر. يمنح لمن يودّ أن يرى رؤية لا يمكن استبدالها عن عالَم الأعمال: مقاطعة، أرض واطئة، أرضٌ من دون سماء، ومن دون أمل. يصنع فيها البلاستيك والصلب والكارتون. وتخترع فيها النفايات. هذه هي الصناعة السائدة، مغامرة الصناعة الكبرى، وهو ألا نعرف أبداً ما نحن بصدد فعله، وأن هذا لا يستحق الوقت الذي يُفعَل فيه، وهو أيضا إقناع الآخرين بفعل ما هو أكثر، ثماني ساعات في اليوم، ثمانية قرون في الساعة! العالَم الصناعي هو العالم بأسره، خرافة سوداء من أجل الأطفال، أرَقٌ سيء في النهار. حضور المال، في هذا العالم، هامّ جداً.

إنه (حضور المال) الذي يتوهّج دائماً.

يسيطر على حركات الأفكار كما على حركات الوجوه. من يُصدرون الأوامر يخدمونه. ينفقون من وقتهم من دون حساب. يعتقدون أنهم يشتغلون في حين أنهم لا يفعلون سوى التمتّع. يعتقدون أنهم يحققون اللذة في الوقت الذي لا يفعلون فيه سوى طاعة رؤسائهم. إنهم فخورون بهذه العبودية. هم يعتقدون أنه من دونهم ما كان يمكن توفر ثروات، لا خبز ولا معنى، ولا أي شيء من العجائب على هذه الأرض. بمعنى ما، هم مُحقّون. بمعنى ما، هم ضروريون لحالة الأشياء.

إنهم موجودون هنا، مكلفون بالأموال، كما هو الحال في بعض القبائل، مع هؤلاء الأشخاص المنبوذين والمنذورين لتجارة الموتى. منظر حالهم كما لو كان منظر كنّاسي المال، مثل عبيد من نوع جديد، عبيد مليونيريون. يعطون أوامر، ويقررون ويحسمون الأشياء ويتكلمون كثيراً. الكلامُ هو مادتهم الأولية. يتكلمون كثيراً ولكن كلامهم ليس، بالمرة، كلاماً شخصياً. إنهم يتحدثون تبعاً لما يعملونه، تبعا لفكرة عامة عن ما يتوجب فعله في الحياة، فكرة تعلموها.

إنهم الرجال الجدّيّون، الرجال الذين لا ظلّ لهم. وَميضُ المال يُعادل قسماتهم. حتى يمكن القول إنهم الرجل نفسه في كل مرة، الغياب المُتعالي ذاته، الخراب ذاته لكل مغامرة شخصية متفردة. نجدهم بالآلاف في المكاتب وفي المطارات وفي المطاعم الباذخة.

هو يخترق كل هذا، بسهولة. هو ليس من هنا. هو لا مكان له. هو ينجح أينما كان، ولكن هذا لا أهمية له. هو ينجح لأن الأمر لا أهمية له. وكان في مقدروه أيضاً أن ينجح في عالم الإجرام، كما في عالم الصناعة. هو الفوز نفسه، في نهاية المطاف، والعقبات نفسها، وقد تُجُووِزَتْ أمام الآخرين وأمام نفسه. الناس تنظُرُ إلى ما يُحيط به، تنظر إلى ما يجتازه وإلى ما يُضيءُ مرورَهُ.

بفضل الكتب، يمكن تعلّم ما هو خالد وما لا يتزحزح. ولكن العالَم لا يمكن معرفته إلا عبر هذه الطريقة، التي تقتضي الإقامة فيه مع الهروب منه، إلا عبر هذا الذكاء المحسوس والغاطس في ما يلتقطه، مثلما الماء مع الماء. عند رؤيته نتعلم كل شيء عنه، ولكننا لا نعرف شيئاً عما نتعلمه، هو متحرك ورشيقٌ، هو موهوب بذكاء كبير جداً، أي ذكاء الغريزة. هو لا يخاف على نفسه من أي شيء، سوى العزلة؛ عزلة تتجاوز يوماً واحداً تجعله يذوي مثل مصباح دون زيت. إنه يعيش من ما يتلقاه من العالم، ومن ما يأخذ منه، يتغذى منه جسدياً وذهنياً. هي الحاجة الضرورية الوحيدة التي تنظم الباقي.

من وجهة نظركم أنتم، الذين تحتاجون إلى العزلة كي تكتبوا، ولكن أيضاً كي لا تكتبوا كما هو شأن الجميع؛ فإن هذه الحاجة لديه هي نقطة عمياء، تُتيح له أن يرى العالَم في الضوء، ولكنها تحرمه من كل ضوء آخر. هو بطبيعة الحال، ينفي وجود شيء آخر في العالَم باستثناء هذه اللعبة، التي يعشق كثيراً ممارستها إلى درجة الفوز بها. إنه يتحدث ويُدهش ويستميلُ.

هو يحب صداقة الرجال الآخَرين، ولكنه ليس على صلة، في معرفته عن نفسه، سوى مع النساء. الإغواء عنده يشبه فناً قديماً جداً ورِقّة خشنة. الإغواء كما يفعل، هو القتل من

دون جراح. يتحدث بكلام فضيّ وبرّاق وحيّ. كلامه اللامع يفرض الاستماع، وعقله الطيّار يَفرضُ المشاهدة. كلماته على صورته، إنها تنفلت في المفارقة، وتُدمّر نفسها، ملغومة بضحك صامت. يحرص على أن لا يؤمن بشيء.

إن من يصدر الأوامر للآخَرين يضع نفسه في مكانة الربّ. من يُصدر أوامر ويضحك من أوامره، يضع نفسه في مكانة الشيطان. إنه شيطان من دون سواد، شيطان طفولي. إنه يتصرف تبعاً لفكرة هزيلة. يتصرف تبعاً لفكرة هاربة جداً من نفسه، تبعاً لفكرة تفرض عليه ألا يتذوق الرّاحة أبداً، اللهم إلا في الحركة. ينطبق الأمر عليه وعلى كل الرجال الذين يحبون القوة المضيئة للإرادة، إذ يمكن أن نعتقد أنه لا ينام أبداً. لا شيء يخفف من سرعته، ولا نوم يثقل كاهله. يقول المرء حين يراه، حتى وهو نائم، أنه يظل يقظاً، بالمرصاد، تحت أوراق نومه الميتة.

في المساءات السيئة يغرق في التفكير العقلي. يستسلم للتعب وللصفاقة. إنها حصته من السخافة، وهي دون شك، مستحيلة الاجتناب. يستعيد ذكاءه عبر الحركة. يبني فكره عبر العمل. إنه في لجة قوة عمره. وهو سيظل على هذه الحال طوال عمره، في قوّة الفراغ. ليس هذا ما نطلق عليه تعبير الشخصية، لأنه لا يلعب دوراً معيناً، ولا يبقى في مكان ما. إنه يجهل من حياته عملاً عابراً، من دون أرشيف ولا بقايا. إنها حياة في طريق الانقراض، إنّها بصدد الإمّحاء. هو رجل دون وجه. هو موديل أسرع من الرسّام، أسرع من ريشته على قُماشَة الرسم.

حاوي الزمان

> طفول العقبي*

* قصة «كريستيان بوبين» Christian Bobin يعد الكاتب الفرنسي بوبان من أهم كتّاب القصة القصيرة في فرنسا اليوم.. كاتب يبتعد عن الأضواء ويكتفي بممارسة الكتابة والاستمتاع بهواء الريف الفرنسي الرائع.

تحمل بسطتها المعتقة برائحة حلوى النعناع.. اللوز.. السدر والبخور، قبل أن تشرق الشمس، وتمضي من بيتها في (الغبيرة..)، وقد بدأت البيوت الرثة ذات الجدران المتلاصقة والأبواب الضيقة تخرج أرواحاً كانت منحنية تحتها؛ لتبحث عن سبل عيش غير مأمونة بكفاح جديد. تركب مع ابنها في السيارة (الوانيت)، ترقب وجهه الغض طوال الطريق الطويل من خلف برقعها الأسود.. تسمي عليه في نفسها وهي تنظر إلى تلك القطرات التي تناثرت على خضرة شاربه، فتترقرق في مخيلتها قطرات حليبها على فمه الصغير قبل فطامه من حوالي اثنا عشر عاماً.

في قلب شمال الرياض النابض.. في (العليا)، تقف عند باب المدرسة المترامية الأطراف ببنائها الحديث؛ الذي يتناسب مع ما تحتاجه بنات الأسر المترفة اليوم. تنتظر حتى يحضر البواب وينطلق ابنها إلى (عتيّقة) ليساعد أمه في مشوار الكفاح.

تدخل هي.. تضع بصمة إصبعها على دفتر الحضور ثم تأخذ جانباً من مقصف المدرسة.. تفرش مفرشها الأخضر ذي الزهور البيضاء المنثورة في أنحائه، وتبدأ بترتيب بضاعتها البسيطة.. العلك.. حلوى المصاص والنعناع.. اللوز.. حلوى غزل البنات، وهي تهلل تارة.. وتترنم أخرى بتلك الأهازيج البدوية الحزينة.

ما أن تصبح الساعة التاسعة، وينطلق الجرس ببهجة معلنا" الفسحة، حتى تنطلق الصغيرات إلى الخالة أم ريان. كانت بسطة الخالة أم ريان كصندوق العجائب بالنسبة لهؤلاء الفتيات الصغار، رغم اختلاف بيئاتهن فمنهن من توصيها أمها بأن لا تشتري من تلك الخالة، ومنهن من لا تعرف أمها أصلاً عن صندوق العجائب، ولا تكترث مربيتها إلى قصصها البريئة عنه.

لم تكن الخالة أم ريان تجذب الصغيرات فقط بحلّواها وحنانها، ولكن حتى المدّرسات والمراقبات كنَّ يتسللن إليها ليأخذن نصيبهن من الفصفص.. الديرم، وبعض الوصفات النسائية العتيقة، والدعوات التي تبعث الأمل في مهاراتهن المدرسية الطويلة. بابتسامتها الحييّة، تمتد يد الخالة أم ريان المعطرة برائحة الحناء ونقشها السريالي؛ لتلون فضاءات الفتيات والصبايا بألوان شفقية شفيفة.

رن جرس الفسحة، وانطلقت الصغيرات، ولكن مكان الخالة أم ريان كان فارغا". أين مفرشها الأخضر الذي تطل من بينه تلك الزهور البيضاء؟ أين كفها الأرجواني الذي يمتد إلى الصغيرات؟ أين رائحة حلوى النعناع؟ أين صوت تهليلها ودعواتها؟ أين ابتسامة عينيها؟!

كان مكان الخالة أم ريان صامتاً.. الطاولة الخشبية المهترئة.. الكرسي الجلدي الأسود، وذلك الصندوق المعدني الصغير، الذي كانت تجمع فيه ريالاتها. الأشياء مكانها ولكنها لا تشبه تلك الأشياء القديمة.. الركن هو نفسه، ولكنه لا يشبه ذلك الركن.. أين هو صندوق العجائب والأحلام، الذي كان يصدر موسيقى وتغريداً في ساحة المدرسة؟! لم يعد جرس الفسحة ينطلق بالبهجة ذاتها للصغيرات.. وبالحماسة نفسها.. ليركضن جميعاً إلى الخالة أم ريان.

بعد أسبوع، تأتي الخالة أم ريان إلى المدرسة التي استغنت عن خدماتها بخدمات أكثر تقدماً وحداثة لتأخذ معاشها الأخير هنا. تلتفت الصغيرة لترى الخالة أم ريان تقف في ردهة المدرسة، بابتسامتها العذبة.. بعينيها العسليتين السمحة.. تهرع إليها الصغيرة فتدخل الخالة أم ريان يدها في جيبها لتناولها حلوى النعناع.

اليوم ستكمل تلك الصغيرة العشرين وتستعد لأن تنتقل إلى حياة جديدة مع زوجها.. تفتح صندوق الذكريات.. تطل حلوى النعناع التي احتفظت بها كذكرى للخالة أم ريان، فتلمع في ذاكرتها تلك العيون المبتعدة.

* قاصة سعودية.

قــداســة

> مفلح العدوان*

أحبَّ حجراً، فنقله معه!!

كان يدري أن لا حول له ولا حضور، ويعلم أنه لا يضر ولا ينفع، ولكن بلا إرادة منه صار يحمله بين يديه أنّى سار، وحيثما اتجه، حتى ما عاد أحد يراه إلاّ وهو يتلمّس الحجر ويداعبه، كأنه رفيق حميم!!

في البدء استهزأوا به .....

قالوا: (أي مهووس هذا الذي يترك البشر ويعشق الحجر؟!)

وكانوا يضحكون من طريقته في تحسّس نتوءات حجره الذي كان يطنب في وصفه. كلما سألوه عن سر قداسة الحجر؛ يسرح بعيداً ويجيب: (مهيب، جميل، وهو مرجع البشر والشجر؛ حجر، جدّه التراب، وأبوه الطين، وأول جذره غبار وماء ..... روح من غائب علم النبض، حجري!!). ويكثر في الوصف، كأنه ملاك أسراره وحافظ ناموسه!!

يبتعدون عنه، ويبقى هائماً في ذكر محاسن حجره!!



مرة، رآهم متحلقين حول صخرة، يريدون زحزحتها ....

تأمّل العرق وهو ينزّ من جباههم، واللهاث، وهو يحرق شفاههم!!

ضحك كثيراً، فالتفتوا إليه .....

أشار لهم بأن يَنفَضّوا من حول الصخرة ..... واقترب منها!!

وضع حجره على الصخرة، فابتسموا .....

أخذ يطرق الصخرة بالحجر ..... فاندهشوا!!

قال: (تأملوا فعل الحجر).

وأكمل الطرق، فاخذت المساحات التي تلامسها الحجر بالتفتّت حجارة صغيرة، تَوائم تشبه كتلة الحجر التي بين يديه!!

تساءلوا: (أيّة معجزة تسكن الحجر؟!).

إستعادوا صورة الصخرة حين كانت باشقة، سامقة، وطاغية ككهل يحلم بأبد الخلود..... وأخذوا يتذّكرون الحجر أيام كان بين يديه وادعاً، ساكناً،

كعصفور يشكو من طول السكون!!

همسوا بلا إرادة: (سبحان رب الحجر!!)

تهافتوا إليه شاكرين، فوضع الحجر أمامهم، وأشار إليه منبّهاً: (لا تكلّموني ... واستنطقوا الذي كنتم عنه غافلون!!)

تلمّسوا الحجر، وهم يتقربون منه بدفء اندهاشهم!!

تأمّل طوافهم حول الكتلة الصماء؛ فابتسم، وتداعت في ذاكرته ملامح وجوههم الساخرة منه في أول طواف له بالحجر بينهم .... همس لروحه: «الله، كيف تدور الابتسامات على الشفاه كما الأيام؟!!».

تلمّسوا الحجر باستلاب، فأخذ يكبر ويتضخّم من كثرة مدحهم له، ولمسهم لسطحه، وتقبيلهم لاستدارته ..... صارت النتوءات تنمو على جسده، وتتشكّل أيدٍ، وأرجل، ورؤوساً، بدل أن يصير أملساً مصقولاً كجدران البيوت!!

بُهتوا مما رأوا، فصاروا يصرخون من هَول المعجزة: (حجر ويكبر!!)

اقترب من حجره، وحمله مثل طفل بين يديه ...

حدّقوا به ....

قال وهو يشير إلى الصخرة: (من أراد منكم حجراً فليتبعني؟!).

تبعوه، قطيعاً من الحجّارين ....

رفع حجره عالياً، فارتفعت أعينهم معه كأنهم ينتظرون برق البشارة من بين أصابعه!!

صَفَقَ الصخرةَ بالحجر، فصفقت عيونهم وقلوبهم الصخرة معه!!

تأمّلوا الأثر، فرأوا شقّاً على ما تبقى من مساحة الصخرة.

نظر إليهم، وزجرهم قائلاً: (لم تُرضوا الحجر بكامل قلوبكم، ولم تؤمنوا به بكل حضوركم، فامتنعت الصخرة أمامه، وأبت!)

تدافعوا بلهفة، وأخذوا يُقبّلون الحجر، ويتلمّسونه، ويُصفّقون له، ويصرخون ممجّدين بقاءه، فزاد حجم رأسه، وأطرافه، واتضحت أمامهم على فمه كشرة لا تسر الناظرين!!

أخذتهم الرهبة، فخرّوا للحجر ساجدين ....

خافوا، فانكمشوا متكتلين على بعضهم، متقاربين ومتراصين خشية سطوة حضوره!!

صاروا يدعون للحجر بطول العمر وبالبقاء، فاكتمل الرأس والأطراف، وباقي الجسد، واستوى أمامهم عملاقاً أعظم من كل أحلام نومهم ....

ازدادوا خوفاً لمّا رأوه، وتلاشى نبضهم وهم متراصين كالصخرة أمامه ...

تركهم جامدين، والتفت إلى الصخرة التي فتتّها... تأملها ومدّ لها يداً، فصارت تنبض.. لمسَهَا، فتشكّلت أجساداً برؤوس وأطراف ...

ابتسم لها؛ فنهضت وتبعته بإجلال، أمام جحوظ أعين الأجساد المتحجرة خوفاً!!

---

* قاص من الأردن.

هوسُ بنكهة القهوة

> زياد العطية*

كان الطقس رائعاً في ذلك العصر، أظنه عصر يوم الأربعاء، عرّجت على بقالة صغيرة تقبع في ركنٍ منزوٍ من شارع لا يعرف اسمه إلا البلدية وصاحب تلك البقالة، وإن لم تخنِ ذاكرتي السيئة والتي تشبه قربة مثقوبة، إن اسمه كان "شارع الأزهار الملونة".

اشتريت الصحف الثلاث التي اقرأها يومياً، بعد أن أجبرني البائع على الاستماع منه لفاصل إعلاني عن علب الفول الجديدة، خرجت منزعجاً من ثرثرته، وتوجهت إلى مقهاي المعتاد حيث أتناول هناك قهوتي الكولومبية اللذيذة، فقد كنت معتاداً قراءة الصحف في المقهى، لئلا انشغل عن قراءتي المؤجلة دوماً بالمنزل، ولأكون أكثر صراحة في هذه النقطة، كان هناك سبب آخر، وهو صراخ أولادي الأربعة، الذين يجوبون شقتنا الصغيرة جيئة وذهابا كأنهم موظفون في دائرة حكومية تنعم ببطالة مقنعة.

كان نادل المقهى يقيم لي وزناً لا بأس به، ويبش بوجهي حين يلمحني قادماً من بعيد، وفي ذلك العصر، قام بما جرت عليه العادة من مراسم، ورسم على شفتيه ابتسامته المعهودة عند دخولي إلى المقهى، وذهب من فوره يمسح طاولتي النظيفة التي تقبع في آخر الصالة!.

وبعد أن وضع كوب القهوة على طاولتي، قال لي:"كيف حالك اليوم، يا سيدي"؟

كانت الجملة طبيعية في سياقها إلا الكلمة الأخيرة منها، استفزتني على نحو لم أتوقعه.

" سيدك، مَنْ سيدك؟ أنا لست بسيدك، إنني وبكل فخر موظف محدود الدخل، ولم أكمل بعد أقساط سيارتي الكورية حتى أُصبح سيدك!!".

هذا الرد الذي كنت أود أن أقوله له، لولا أن مجموعة من الزبائن دخلوا دفعة واحدة، فانصرف من أمامي بسرعة، ولم يعطني الفرصة لأحتج على كلامه، قلت لنفسي بحزم عليَّ أن انقل له وجهة نظري هذه في كلامه غير الدقيق عني، وعليه أن يختار المفردات التي تناسب شخصي.

شدني البخار المنبعث من كوب القهوة، عندها بدأت أمارس طقوسي الخاصة في شرب القهوة، تلك الطقوس التي لم ألحظها أبداً، ولم انتبه لنفسي وأنا أمارسها، لولا تعليق ساخر من صديق لي دعوته للمقهى منذ زمن، وندمت على دعوتي تلك، لأنه لم تعجبه القهوة ولا المقهى، ونعتني أنا ومرتاديه بـ"المتفرنجين"، لا أعلم بالضبط لماذا؟

قد يكون السبب أنني قلت له إنها ألذ من قهوتنا العربية! وعلى الرغم من ثقوب ذاكرتي الكثيرة، إلا أنني أتذكر بدقة، ردود فعله، تغيّرت ملامحه كلياً، حتى أنفه أصبح مثل مسدس الماء الذي يلهو به الأطفال، وفمه استحال لفم تنين يتطاير منه

اللهب، وشَـرَعَ، سامحه الله، في اتهاماته لـي:" أنـت لا تحترم تقاليدنا، وتـريد أن نصبح كالخواجات، أنت.. أنتم..". وأزبد، وأرعـد هـكذا، ثم خـرج غاضباً. وتركني وحيداً، أمسح رذاذ لعابه الذي توزع بين وجهي والطاولة.

رفعت الكوب بكلتا يدي، وأخذت أتلذذ بارتشاف القهوة، وأبقيته بين يدي للحظات، والبخار يتصاعد منه على نحو متتابع، ثم وضعته على الطاولة، وتأملته لثوان معدودات، سحبت الصحيفة الأولـى وشرعت بـالـقـراءة، كنت مـصـابـاً بـعـادة سـيـئـة في قـــــراءة الصحف، وهـي أنـي أقــــرأ كـل شيء بالصحيفة، حتى زاوية أخبار الناس.



شربت الكوب الأول باسترخاء كامل، وبمجرد أن رفعت رأسـي، رأيت النادل قادماً نحوي وبيده إبريق القهوة ليملأ كوبي، وهكذا مر الوقت، كوب بعد كوب، وصفحة بعد صفحة، وبينما كنت استمتع باستراحة محارب قصيرة، إذ كنت قد فرغت للتو من قراءة صحيفتين على التوالي، وقبل أن اشرع بالثالثة، دخل رجل بدين جداً، ربما كلمة بدين جداً، لا تفي بالغرض هنا، لكني لا أملك غيرها الآن، كان بديناً لدرجة أن النادل عندما راءه قادماً، هب من مكانه لفتح الجزء الثاني من الباب، ليسهل عملية دخوله! التَفّتُ للحظات لأشاهد عملية الدخول الكبرى تلك، وبعد نجاح العملية دون خسائر تذكر، عدت لصحيفتي مرة أخرى.

اتجه الرجل البدين نحو جهتي، ولم يكن في الجهة التي أجلس فيها غيري أنا، وجلس على الطاولة الكائنة أمامي، لا أعرف لماذا اختار تلك الطاولة بالذات، على الرغم من وجود أماكن شاغرة في الناحية الأخرى من المقهى. حدقت في وجهه، كان كما قلت آنفا بديناً، ويلبس نـظـارة ذات إطار سـمـيك، وعدساتها مـحـدبـة على نـحــو لـم أره في حـيـاتـي. ولـمـحـت أن الشيب غزا شعر رأسه، وأجـزاءً من لحيته غير المحلوقة أيضاً، يبدو أنه في الخمسينات من عمره، وقد أعطته البدانة نوعاً ما من الهيبة، أبعدت عيني عنه بسرعة، عندما تلاقت عيوننا وجهاً لوجه، كانت نظراته حادة، وبدت عيناه كأنهما مضغوطتان على وجه عدسة مكبر. شعرت بتوجس ينذر بكارثة على وشك أن تقع.

و أنا في غمرة انشغالي في القراءة، سمعت نحنحة قادمة من جهة طاولته، تلتها أصوات غريبة. عندها داهمني ذاك الهاجس مرة أخرى، وإن كان ممزوجاً

بخوف حقيقي هذه المرة، حاولت أن أسيطر على مشاعري وأن اطمئن نفسي، لكنني لم أفلح.

قلت لنفسي: "إنه لا يعنيك، فقط انظر إليه وأنت تعرف". أصدرت قراري باستجماع ما تبقى لديّ من شجاعة، وأن انظر إليه خلسة. بسملت، وأخذت أخفض صفحتي الجريدة المفتوحتين على مصراعيهما، وأنفاسي تتابع كأني في سباق للمائة متر، بدا رأسه يظهر لي رويداً، رويداً حتى وصلت إلى مستوى عينيه، وإذا به يحدّق بي أنا بنظرات بلهاء، كان موجهاً عينيه لي، تجاهي أنا، لأنه لم يكن هناك من يجلس خلفي.

كانت نظراته مريبة، ويتفرس في عناوين الصحيفة، عندها، لم أستطع أن أضبط أعصابي، فدقات قلبي تتدافع الواحدة تلو الأخرى. يا ربي، حتى يداي تجمدت بمكانهما، ولم أقدر على تحريكهما لا ذات اليمين ولا ذات الشمال، ومما زاد حالي سوءاً، هو تكرار الأصوات السابقة وعلى نحو متقطع ومخيف في الوقت نفسه. عرفت، أن الرجل هنا من أجلي لا غير، إنه مرسل لي أنا خصيصاً.

يا ويحي، شعرت أن الكرة الأرضية كلها فوق رأسي، آه يا رأسي هل مازلت مكانك؟

أصواته كانت تصلني بانتظام كأنها مضبوطة على وقع ساعة منبه جديدة، في تلك اللحظة، تذكرت نصيحة غبية قرأتها لمعالج نفسي معتوه، حول كيفية السيطرة على الشعور في حالات الطوارئ المفزعة:" تحكم بفعلك، تظاهر بالقوة حتى تتحكم بشعورك"؛ لذا، حاولت أن أتصنع تعابير فروسية زائفة، وأن أنهض بثقة فارس شجاع، وأمشي كطاووس، لكن سرعان ما تأكد لي حمق تلك النصيحة، فليأت ذلك المعالج هنا، ويأخذ مكاني.

لم يكن لي بد من التظاهر بالقراءة، ركزت عيني على الصفحة التي في يدي، كانت الصفحة الثانية والعشرين على ما أظن، وما أذكره جداً، هي الزاوية التي حاولت قراءتها، كان عنوانها " إعلانات فردية". وحين ما بدأت أقرأ جملة كان مطلعها:" يعلن السيد/ همام بن كريم المستريح بأن مكفولته السيدة تاتي توفيق الله، الإندونيسية الجنسية، قد فرت من منزله، ويُرجى...". هنا ضاع كل شيء الكلمة والسطر، والصفحة وكلما حاولت أن أهُمَّ بالمواصلة، تفلت مني الكلمات، وتختلط الأسطر بعضها مع بعض، يأتي إليَّ صوتُه كصفيرٍ مرعبٍ، وأحياناً نحنحة مجلجلة، فيزداد خوفي، بل هلعي، لكني كلما عزمت على تجاهل الأمر، تزداد حدة تلك الأصوات.

انتابتني حالة رهاب شاملة، وبدأ العرق بتصبب، ويتجمع على حدود شعر رأسي وعلى قفاي، لم أعد أطيق المكوث تحت وطأة هذا العذاب النفسي الرهيب، ندت مني ضحكة غبية، قد يكون سببها هو خلق حالة من التوازن النفسي في ظل هذا المأزق، شعرت بأزيز شيطاني بقرب أذني، يقول لي:" أهرب الآن، لا تخف ".

استحوذ هذا الأمر على كل اهتمامي، كان كل ما أحتاجه في تلك اللحظة هو أن استنهض بقايا شجاعتي، وأن أنسل بهدوء، وبالتالي سأجعله يحرج من تعقبي مباشرة، طويت الصحيفة بخفة، وأنا مطرق الرأس، لملمت الصحيفتين الباقيتين، وأخذت أرفع رأسي على نحو تدريجي، في تلك اللحظات، مررت بنظري على شباب كثر فكهين وملتفين حول

طاولتهم، وسحب دخانية متلبدة فوقهم، وكلما اقتربت من النظر إليه، كلما كانت دقات قلبي أسرع، وأخيراً، أدركته، ووقع نظري عليه، يا إلهي، يا أمان الخائفين، كان رأسه منسدلا على صدره، ويصدر منه صوتاً غريباً، كالصوت الذي استخدمه لإخافتي قبل قليل، حتى توقيت الصوت كان كالسابق تماماً، حمدت الله أنه كان نائماً.

اعتقدت بأنه تعب من مراقبتي وسقط في لذة النوم، هنا، انتهزت الفرصة، وبمجرد ما نهضت، أسقط في يدي، وحدث ما كنت أخشاه، فبينما كنت على وشك التسلل، كان هناك شيئاً ما ممسكاً بي من الخلف، ويشدني نحوه كل ما خطوت خطوة للأمام، حسناً، إنه هو، لقد كان يتصنع النوم، وها هو الآن يقبض عليّ في كمينٍ قذر وخسيس. شعرت بدوار كاد يطرحني أرضاً، ولم أجرؤ على أن ألتفت أو حتى أن أرفع رأسي. في تلك الأثناء، كان شاباً يافعاً يجلس وحيداً وعلى مقربة من موقع المواجهة. تبسم لي، وهو يحرك يديه خلف ظهره وكأنه مضيف جوي يشرح لركاب رحلة طريقة ربط الحزام. حدقت فيه، وحاولت أن أفهم مقصده، لكن لم أعرف ماذا يريد، وكل ما فهمته منه، أنه يحثني على النظر خلفي. إذن، لا مناص. سأستسلم لذلك الرجل بشرف وكبرياء مقاتل نبيل. نظرت خلفي، وكانت المفاجأة أنني لم أجد الرجل البدين، وتنفست الصعداء عندما اكتشفت أن ما كان يعيقني هو بضع خيوط منسلة من عمامتي، التفت على ذراع كرسيي. ومن فوري، قمت بتقطيع تلك الخيوط اللعينة، والتي كادت تفسد خطة هروبي.

و فيما أنا أغادر قسراً كوب قهوتي، كنت استمع لشخير الرجل البدين بلذة استماعي لموسيقى شعبية. توجهت للنادل ببطء واضح، وكأني أعد بلاط المقهى.

وعندما وقفت أمام منضدة النادل، تبسم لي كالعادة، لكن هذه المرة بملء شدقيه. أومأت إليه بأن يقترب. وضع رأسه بجانب رأسي، وأنا انظر باتجاه الرجل البدين. سألته:" هل تعرف ذلك الرجل؟". هز رأسه مباشرة وأخذ يواصل الهز حتى نهرته قائلا: "من هو؟" استغرب سؤالي، ولكنه لاحظ شغفي بمعرفته. اقترب مني أكثر، وهمس بأذني وبعد أن تلفت أكثر من مرة كأنه سيفشي سراً نووياً، قال: "أنه العم خميس، السائق الخاص لسيدي صاحب المقهى". صعقت من إجابته تلك، ومن هوية الرجل. شعرت بنسمات باردة تلفح وجهي، واستعادت ركبتيّ مرونتهما، واعترتني رغبة مجنونة في أن أطبع قبلة امتنان على جبين النادل، ولكني تناسيت تلك الرغبة في الحال، خشية أن تخدش صورتي الرزينة أمامه. أخرجت محفظتي بسرعة من جيبي، ولم أحفل بالوريقات الصغيرة التي تناثرت منها. انتفض النادل، وأخذ من فوره يجمعها من الأرض. لم انتظره كثيراً، دنوت منه، ودسست في يده عشرين ريالاً دفعة واحدة، وبزهو فارس منتصر همست بأذنه:" الباقي لك". عرف دون تصريح مني بأن البخشيش هذه المرة أكثر من أي مرة سابقة. ناولني الوريقات، وشيعني إلى الباب وهو يقول:" مع السلامة يا سيدي". عندها لم التفت أو انتبه لكلماته تلك، وكل همي كان أن اذهب إلى البيت وأن أغط في نوم ع م ي ق........

* □□□□□□□□□□□□□□□□□□□.□□□

تور مدينةٌ من نور

> نادر الغنام*

فوضى الحواس اجتاحتني منذ حطت قدماي بمحطة القطارات في مدينة تور الفرنسية، ضجت الحياة بالنشاط والحيوية، وتشابكت فيها أحاديث المسافرين، وابتسامات المتواجدين، وصافرات القطارات، لتشكل سيمفونية رائعة، يفقد المرء فيها نفسه، ويسلّم ذاته للارتفاع والتأرجح والدوار في هذه الفوضى الجميلة.

لم أستطع فهم ذلك الشعور الذي غمرني وأصبح ملازماً لي في هذه المدينة. شعور بالانتماء تخلّق، وشعور بالغربة تبدّد. كأني من هنا، أو كأني أنا هي، أو هي أنا. شعرت بالانتماء لكل الأشياء... المكان، والمطر، والبشر، والهواء، وحتى لكأس الماء.

مدينة، كأني أعرفها منذ القدم، كأني أعرف ما سوف أراه بعد كل منعطف وخلف كل باب وفي كل مقهى.

الناس والأطفال، أشعر أني أعرفهم جميعاً.. حيثما سرت وأينما كنت، لم أكن غريباً عنهم، ولم تكن غريبة عني (أي تور)، ذهبت لكل مكان، وصافحت كل الناس، حفظت كل الوجوه، كل باعي السكاكر، كل المتسولين، وكل المسافرين والقادمين.

تور.. كل شيء فيها يشدني لها، اسم شارع ما، أو محطة قطارات، أو محطة باص، أو ميدان ما، أو مقهى ما.

فيها أجمل مقاهي العالم، بين كل مقهى ومقهى مقهى.

وللمقاهي فيها نكهة خاصة، لا يمكن أن تتلذذ بها خارج حدودها.

تور.. إنها المدينة الخالدة، أكثر خلوداً من روما، إنها المدينة الرائعة، أكثر روعةً من باريس أو لندن أو جنيف أو لاهاي أو بروكسيل.

فلتعذرني كل المدن، فأنا لم أعرف إلا مدينة واحدة، زرعت بي ملامحها لأكره بعد ذلك كل المدن بعدها، فكل مدن العالم ما عدت أراهن، باتت مدناً بلا رائحة وبلا ملامح.

مدنٌ من دمى، ومدنٌ من ملح ومدنٌ من حجر. أما تور فهي مدينةٌ من نـــور.

مدينة كالمنارة التي تهدي السفن، تجذب فراشات الليل بالآلاف، وترتطم بها العصافير الآتية من عرض البحار، مفضلة غالباً الموت على البقاء في الظلمة

تور.. ما زالت رائحتك في أنفي، وما زالت ملامحك أمام عيني، وما زال طعم فناجين قهوتك بفمي.

---

* □□□□□□□□□□□.□□□

أمشاط الضوء

> نوال الجبر*

تحت أقدامي تموتُ البتلاتُ

قبل أن أخرجَ من خجلي، وبعد أن فقدتُ وجودَهُم حولي.. فقدتُ قدرتي على التركيز، في أن أمتصَّ صورةً للذاكرة.

غابت أصواتُهُم عند خروجي، وأمشاطُ الضوء تلوحُ في الغيابِ، بين يده الغليظةِ، يقودُ خطواتي كأنهُ يحثُّني على الهروبِ، وصوتُ عقلي يقولُ: كيفِ تخرجُ العذراءُ من جنتِها بخطواتٍ سريعة؟ أعرفُ كم مِنّ الوقتِ توقّف عندَ عينيَّ، حتى هالني غضبُهُ، والعربة تُقودنا في صمت؟!

المباني العاليةُ والجبالُ تلوحُ خلفَها، والطرقاتُ الملتويةُ تخفي سراً أكادُ أجهلَهُ.. بكيتُ لفرطِ دهشتي، إلى أينَ سيأخذُني؟ لا ضوءَ ولا حتى بشر، حيثُ الصمتُ لا زالَ مستمراً..

توقفَ عن القيادةِ والسيارةُ لا زالت تعملُ!

والخوفُ يأكلُ دهشتي، ويسري رعشاتٍ بينَ أطرافي الباردةِ..

حاولَ أن يُزيحَ أزرارَ ثوبِهِ الأبيض، وتنفسَّ الصُعداء.. ألقى بغترتِهِ البيضاء في المرتبةِ الخلفيةِ، نظر إليَّ شزراً وقال:

- انتظريني هنا، سأذهب قليلاً وأعود..

أجابته فور أن أنهى جملته:

- أشعر بالخوف!

- لا بأس، أنا لستُ ببعيدٍ عنكِ، تحدثّي وستسمعين صوتي..

ذهبَ، والكونُ المظلمُ يُطْبِقُ على حواسي، ماذا بيدي أن أفعل؟

في مكانٍ مظلمٍ، مع شخصٍ لا تعرفُهُ حواسي، ولم تعتد عليه كلماتي.. لفظت اسمه مرات عدة، كشخصٍ سيسرقني لحياةٍ جديدة، أكونُ فيها سيدة، ولكنني هنا وحيدةٌ..

أيُّ لونٍ للفرح سيتبقى من ليلتي الأولى معه من حياتي الجديدة؟ وأين ذهبَ كلُّ هذا الوقتِ ؟ ماذا يفعلُ في ساعةٍ متأخرةٍ كهذهِ؟!

تحرقُني الأسئلةُ، وأتوهُ بحثاً عن جوابٍ لها..

بكيتُ كثيراً هل عليَّ أن أتعلمّ قيادةَ السيارةَ في وقتٍ كهذا ومكانٌ موحشٌ ؟!.. تلحُ عليَّ فكرةُ الهروبِ.. أن أبتعدَ.. أنقذَ نفسي.. أعودُ لتلك القاعة، وبالفستان الأبيض نفسه، وبفارس قتلَهُ الظلامُ!

جهشت نفسي بالبكاءِ، حتى علا صوتُ بكاءٍ على صوتي، خلتُهُ جنيٌّ.. توقفت عن البكاء، كأنني أبحثُ عن ذلكَ الصوتِ الذي يعلو حيناً ويخفتُ حيناً آخر..

أقتربَ مني ذلك الصوتُ، أحسستُ به يلامسُني حتى هجمَ عليَّ، وصرخاتي تعلو. أكادُ أفقأ عينيَّ، كلما أخفيتهما بشدةٍ تحتَ كفي البارد!

جاوبني صارخاً: أُصْمتي!

نظرتُ إليه، هذا هو إذنَّ.. كان جسدي يغتالُهُ الخوفُ، وصمتُ قلبي يتسابقُ مع أضلعي..

حاولَ أن يدفعَ بابَ السيارة بقدمه، بعدَ أن فتحَهُ بيده قادني إلى الخارجِ، حاولتُ أن أعودَ ولكنَّ يدي شُلَّت بالخوفِ.

صرختُ بهِ.. أرجوكَ تريثْ، إلى أينَ تأخذُني؟ وفي أيِّ مكانٍ نحن ؟

أَعِدني إلى عائلتي.. أعدُكَ أنْ لا أُخبرهم عن ما حدث، فقط أعدني..

ستذهبين معي.. قالها صارماً.

قلتُ لهُ، لكنني لا أريدُ الذهابَ إلى مكانٍ لا أعرفهُ، أريدُ أن أعودَ إلى أمي.. أرجوكَ..

بكيت، وألقى بعباءَتي بالقربِ من السيارةِ.

ويدي لا زالت تتحرُ بين كفيهِ..

كان هناك حائطٌ قديمٌ، ليس مرتفعاً جداً ولا منخفضاً ..

والبوابة مفتوحةٌ، كأنها تنتظرُ قدومَنا، غابت أجسادُنا في الظلامِ.. وتشبثتُ به وجسدي يرتجف أكثر، حتى أن كلماتي تسقطُ ميتةً قبل أن تخرجَ!

دموعُهُ الساخنةُ تغمرُ يدي، وأنفُهُ يسيلُ بشدةٍ ..

سقطتُ على الترابِ، لم تعد قدماي قادرتان على أن تحملاني، وكفي بينَ يديهِ، لا زالَ يشدُها بقوةٍ، وفستاني الأبيض تحوَّلَ إلى رمادي.. فقدتُ فردةَ حذائي الأبيض، والأخرى بشريطها الأبيض تلتفُّ على ساقي ..

توقفَ فجأةً، وحملني بين ذراعيه، بعد أن تمزقت ساقي، وعلت صرخاتي من خلعِ ذراعي الأيمن ..

وضعني عند البابِ المفتوحِ، وأنيني لا ينقطعُ، سافرتُ في البكاء.. عادَ من جديدٍ، وضع رأسي على صدرِه، واحتضنني بشدة، وانهارَ من جديدٍ يبكي.. أَخَذَ رأسي بين يديهِ، وقبَّلني قُبلةً طويلةً، ثم قال: ألا ترغبينِ برؤيةِ أمي! ؟

---

* قاصة سعودية

مقايضة

> خالد ربيع السيد

فتى صغيراً في سنه، هادئاً في طبعه، ذو هيئة وتفكير محايد.

كان يقف كثيراً على شاطيء البحر، فتمنى لو أنه تعلم فن الغوص في أعماق المحيط.

ذهب ذات نهار إلى متجر لبيع مستلزمات الغوص، وهناك تعرف على أحد الزبائن.. كان شيخاً حقيقياً. أخذا يتحدثان..

وخلال دقيقة واحدة فقط، شعرا أنهما صديقان حميمان منذ زمن.

كان للشيخ خبرة وافرة في الغوص.. وحماسة زائدة للحياة

بدأ الفتى الهادي يسائله بصفته غواصاً عتيداً ريثما يفرغ البائع من زبون أمامه.

إستمر نقاشهما دائراً حول: كيف يمكن للمرء المجازف أن يكون حيادياً في تفكيره.؟

بقي الشاب الهادئ ساكناً، وبدأ مطمئناً يبتسم في دعه؛ بينما راح الغواص العجوز يروي عن بطولاته ومغامراته، التي خاضها في عرض البحر.

كان مسالماً ومزدحماً بالأفكار، وبدت تجاربه عميقة حد الحكمة.

لحظة إلتفت إليهما البائع. كان الفتى الهادئ قد أخذ رداء الغواص المطاطي، والزعانف البلاستيكية، وأنبوب التنفس، ونظارة الغوص من الرجل العجوز.. ومنحه في المقابل ستين شبابه وعمره الغض.

ثم غادر الرجلان المتجر دون أن يشتريا شيئاً.

شمس غشت

> أحمد الفطناسي*

مَـنْ الـذي يقوم برحلة العبور؟؟ أنـا أم شخص آخر؟ هل الجسد أم العقل وحده، حين أختار أقصى عبور زمني كي يعيش لحظة عبوره، دون الحاجة للتفكير في الجسد؟ هذا الأخير الذي طالما رغب أن يعيش حقيقة وجوده هنا والآن، مستشعراً حالة العبور والحركة،.. كيف يمكن أن نكون هنا على هذا المجسم الحديدي، والـذي قيل أنـه لا يطفو على الماء؟ لِمَ يطفو إذن الآن؟ في الرقعة.. على يميني.. على يساري.. أمامي.. ورائي.. طنجة الجبل، وجبل طارق أهو الجبل بالتأكيد؟ يظلون هنا على امتداد مسافة العبور التي تصل إلى ساعتين ونصف من عمر هذا المجسم الحديدي، حتى يتسنى للنظرة أن تكتشف الوهم. وثمة حقيقة أخرى، فكلما حفرت الذاكرة نوافذ البحث داخل وعينا من أجل تأمل اللحظة، لحظة العبور تلك، تزاحمت صور الوقائع، أو هكذا يبدو. وضجيجها مع الحلم، صور نخطو تجاهها عابرين تفاصيلها، كي ندرك هامش الوهم العريض..عبوري الآن، هل هو عبور لهذا الفضاء الآخـر؟ وحينها هل سأكون أنا أم الآخـر؟ هو حين يعبر، أم أنا العابر الآن؟ وهل سأصل إلى نفسي حين أعبر لضفة الآخر؟.

- ألهذا الحد يُعد عبوري حدثاً عظيماً؟!

تزيد لحظة التفتيش من تعميقٍ لسؤال عبوري الاستثنائي، رجـل الأمـن الـذي يتفحص الأوراق، وجسدي، وملامحي، وعيني.. وكأنها لحظة استنطاق للحظتي، كلامه أشبه بالحجر، همهماته تلاعب أعصابي، ماذا لو تغيّر لون بشرتي عن بشرة الصورة المثبتة بجواز السفر..

- الاسم؟؟
- العمل؟؟
- ما هو اتجاهك؟؟
- ......؟؟؟؟؟؟

كنت أجيب وعيوني على مرفأ السفن، في لحظة استثنائية، جعلتني أتساءل:.."هل عبوري يستحق هذا الاستنطاق؟؟" ولأول مرة بدت ابتسامة خفيفة على محياه، قام مقاطعاً لحظة اندهاشي..

- هل أنت ابن هذه القبيلة؟؟

- لا..

عـادت صلابة وجهه إلى وضعها المعتاد الآلي، حينها أعـدت التفكير فـي هـذا الاسـم العائلي، وتساءلت في قرارة نفسي: أحياناً يترك لنا الآباء والأجداد وصايا نحملها، دون أن يكون لنا الحق في تغييرها أو حتى معرفة جذورها. ظل بصري يحوم على بوابات المرور في الميناء، كنت على وجه رؤية الضفة الأخرى، لكنني الآن لا أهتم بهذا الآخر إنه شبيه بالذي أمامي..

- تحرك.. خذ جوازك..

- آه

أمسكت جواز سفري، خطوت خطوتين، أدرت بصري للوراء. تبدو طنجة كامرأة بحرية، كانت رغبتي أن أزورها من بوابة مقهى صاحب "الخبز الحافي"، كنت سأجلس على طاولة المقهى، وسأطلب شاياً في كأس، وسأنتظر قدومه لأسلم عليه، ولأعبر له عن امتناني، وكالعادة سأغادر المقهى لأنه لم يأت.. ولن يأتي أبداً!!.

عادت خطواتي ترسم أفق عبوري، أنا المتأبط لحرقة الأسئلة، نصل السيوف الحادة تعيد عقارب الرغبة لحياة نخاف أن نحياها لأن آلاتنا صدئة..

يتحول العبور لآفاق جديدة لمغامرة اكتشاف صورة، لا تبدو ثابتة إلا من خلال الصورة الأخرى الوسيطة ولعلها صورة ثابتة غير متحولة؛ ثابتة إلى الحد الذي تسكن فيه الوريقات البيضاء أو فيلماً تافهاً. لا زالت دقات ونبضات قلبي تعيد تركيب المشهد. أنا الآن قائد خطواته، أنا الذي أعدت لحظة الشك لجسدي أتساءل ما هو ثابت الآن، هو أنني هنا، أما هو، فيوجد في الجهة المقابلة هناك.. أمامي طنجة، على قمة الجبل تبتعد الآن كي تولد في الأفق، وفي لحظة للاكتشاف بالنسبة لي ولها موعد ثابت في هذا اليوم من أيام غشت؛ حيث تكون طنجة جسراً وعشاً للعابرين إلى الوطن والحالمين بأوطان أخرى.. اتجهت لمحطة العبور في الساعة الواحدة والنصف، أما هو فاختار الثالثة والنصف بعد الزوال، وحينما أصل سأتجه عبر مسالك عبوره نفسها. أرمق ببصري ساعتي المثبتة في معصمي، ستكون الساعة حينها الرابعة بعد الزوال، علماً أن الساعة في الميناء تشير إلى السادسة، أما هو، فحين يرفع عينيه إلى ساعة مفتشية شرطة الحدود، فسيكتشف أنها الرابعة فقط بعد الزوال من توقيت بلاد الشمس. وللعبة الزمن، حكاية شد وجذب بيني وبينه. لكن "أنا" رسمتها من عالم شفاف، متخيلي الباقي أمامي بكل نتوءاته العابرة، هو العابر من "النحن" وفي عبوري إعادة ترسيم لهوية "أنا" و"النحن"، وهو الآخر المتشكك الحضور. هنا بين حدود الشمال والجنوب، أنا الصدى لريحهما معا، أنا الحامل لحبيبات الماء والرمل، رمل الجنوب، الحار الساخن، والبحر هنا وسيظل لماء الشمال البارد، وكأنها تقاطعات نفسية لحالات الحصار، كلانا امتطى سفينة العبور. هو في قربي الآن يشعر بوجودي. يدي الساخنة الخشنة تلاعب بضوء الشمس اللافح قسمات هذه البرودة، ولعلها إحدى أولى لحظات الصدام، صدام الجسد واللون والجيولوجيا، وما تبقى يكمله هذا العبور.. كنت هنا وكانت الباخرة التي تنقله إلى هناك، لا أراه ولا يراني، أشعر بوجوده كشكل ظاهر للعيان، هو الآن في الجهة الغربية من سطح الباخرة، ونظره في اتجاه الشرق، يتحسس بيديه رطوبة نقط الماء التي تكسو الحبال الغليظة للباخرة وفكره مشغول بسؤال هام:

– لماذا تشرق الشمس دائما من هناك؟

وجودي في الجهة الشرقية للباخرة، ونظري اتجاه الغروب. وكعادتي، اختلفت مع نعلي الصيفي وتركته حراً طليقاً، كقدمي العاريتين، اللتين تجوبان سطح السفينة ذهاباً وإياباً كلانا ينظر إلى الآخر، يستشعر وجوده، يتحسسه، كلانا سيصل إلى هنالك، هل كان مثلي يساءل حبيبات رذاذ البحر المنعكسة في فضاء السفينة؟ هو الآن يعيد سؤال "هرقل" الأسطورة، مثلي، كلانا في لحظة الصفر، ومنذ أن اجتاح "هرقل" حبيبات الماء، قاطعاً فضاءات عالمين ملتحمين، كانا امتداداً طبيعياً لتربتي، أنا الآن مجبر على تشفير لغة الريح كي يظل هو بقربي، معي، وكي أظل قرب نفسي حتى لا يضطر "هرقل" للرحيل.. وعلى باب الجزيرة الخضراء نزلنا كلانا في أول الخطو على أرض ترك لي أجدادي بها رسوماً لمعبر خطاي، أعدت نعلي الريفي لقدمي كي لا أخال نفسي مجذوباً بطرف أبواب الأندلس، الشرطي يتفحص جواز سفري، ويتحدث بلغة موليير التي كنت أرد عليه بها بطلاقة، إلى أن أرغمني تكرار جملته، والتي تحمل إيقاعاً لحنياً خاصاً من الصمت، نهرني هو من الخلف قائلا:

– إنه يطلب منك أن تدلي له بدليل يزكي سبب عبورك؟!! فافعل إذن!!..

---

* كاتب ومسرحي من المغرب، صدر له: محكيات "ملح دادا": سنة ٢٠٠٣م، رواية "الخطايا" سنة ٢٠٠٦م، كتب عدداً من المسرحيات وتولّى إخراجها، أقام عدة معارض تشكيلية، ومعرضاً للصور الفوتوغرافية.

المؤسسة تنظم ندوة:

الأسهم ما لها وما عليها وكيف يمكن فهم أسس تداولها؟

ضمن البرنامج الثقافي لمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، عقدت محاضرة في قاعة المحاضرات بمكتبة دار الجوف للعلوم، بعنوان: «الأسهم ما لها وما عليها وكيف يمكن فهم أسس تداولها؟» للدكتور سعيد الشيخ، كبير الاقتصاديين في البنك الأهلي، وذلك يوم الخميس١٧/محرم/١٤٢٧هـ الموافق ١٦/٢/ ٢٠٠٦م، قدم لها وأدارها وشارك فيها الأستاذ نبيل المبارك، مدير عام شركة سمة، الذي قدم للدكتور الشيخ مبيناً أنه يعد من العلامات الاقتصادية الكبيرة في المملكة، كما أجاب على كثير من أسئلة الجمهور بالتحليل والرد.

ومن أهم ما جاءت به المحاضرة تحذير الدكتور سعيد الشيخ كبير الاقتصاديين بالبنك الأهلي من الأسهم التي يعد ارتفاع أسعارها غير مبرراً؛ لأنها قد تُفقد كثير من المستثمرين ثرواتهم، مشيراً إلى أن الشخص الذي يستثمر في مجال الأسهم ولا يتابع السوق، معرض لفقد أمواله في حالة حصول هبوط حاد في السوق نتيجة لما يحدث من مضاربات في هذه الأسهم.

وقد بدأ الدكتور سعيد الشيخ محاضرته مشيراً إلى أن سوق الأسهم السعودي أصبح يُشغِلُ معظم السعوديين، وأن جميع المهتمين بالأسهم يدركون التقلبات التي تحدث فيه، ومدى ضخامة السوق وإلى أين يتجه.

وأوضح في محاضرته بعض المؤشرات التي تهم المتابعين للشأن الاقتصادي بالمملكة والعاملين بالبنوك، وكيفية قراءة السوق.

وبيّن أنه لا بد لمن يريد الدخول إلى سوق الأسهم السعودي من النظر إليه على أنه مجموعة من الشركات العاملة، تؤدي وظيفة اقتصادية تقدم خدمات أو سلعاً (وليست أوراق) تتبادلها في الصالات مفيداً أنه منذ عام ٢٠٠٣م، تم تسجيل ١٢٤٨٩ شركة باستثناء الشركات المسجلة باسم شخص واحد. وقال إن الشركات المساهمة في عام ٢٠٠٣م كانت ١٢١ شركة لترتفع خلال الفترة من عام ٢٠٠٣م إلى عام ٢٠٠٥م إلى ٣٨٨ شركة، وقد وصل عدد هذه الشركات، مؤخراً، إلى ٤٢٥ شركة.

«النقد الأدبي والنقد الثقافي»

ندوة عقدت بدار الجوف للعلوم

ضمن خطة النشاط الثقافي لمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية لهذا العام، عقدت المؤسسة بدار الجوف للعلوم ندوة بعنوان: «النقد الأدبي والنقد الثقافي»، حضرها جمع من المثقفين والمهتمين، بمشاركة كل من: د. سعد بن عبدالرحمن البازعي، أستاذ الشعر والنقد الأدبي في جامعة الملك سعود، ود. سعيد بن مصلح السريحي، الناقد المعروف ونائب رئيس تحرير جريدة عكاظ، ود. ناصر بن سعد الرشيد، أستاذ اللغة العربية بجامعة الملك سعود، وأدارها الأستاذ الناقد حسين بن محمد بافقيه، مستشار وزير الثقافة والإعلام.

وقد بدأت الندوة بكلمة الأستاذ حسين الذي عرّف بالمشاركين، موضحاً أن النقد الثقافي في السنوات العشر الأخيرة أخذ يتلمس طريقه، من خلال الدقة في تطبيقه، أما مفهوم النقد الأدبي فهو معروف منذ القدم، ثم طرح عدة أسئلة حول موضوع الندوة تضمنت المفاهيم والمصطلحات السائدة، ثم بدأت مداخلات المشاركين.

أوضح د. ناصر الرشيد، أن النقد الأدبي مصطلح مختلف، وينظر إليه على أنه مكون من مقطعين هما: (النقد، والأدبي). النقد بدأ من علم الحديث ثم عاد إليه، وهو علم العلل (علل الحديث).

أما د. سعد البازعي، فقال إن النقد الأدبي يجب أن لا يفهم من وجه واحد، ولكن من عدة أوجه، وأشار إلى أن هناك تيارات ومدارس كثيرة؛ فمنها ما وقف عند الحدود النقدية فقط، ومنها ما يربط الأدب بالثقافة الاجتماعية، ومنها ما يربط الأدب بالحالة الاقتصادية. ومن الصعب أن نقول أن النقد استنفذ أغراضه لأن له وجوهاً مختلفة.

وطالب د. سعيد السريحي بتخليص النقد من النقد، مشيراً إلى أنه آن الأوان لكي يسمى التحليل؛ فالنقد يحلل النصوص، ويكتشف العلاقة الكامنة بين النص ومجموعة جمل، من خلال تحليل العلاقات داخل النص، فالانغلاق على النص أدى إلى قطع حبل المشيمة التي تربطه مع المجتمع.

مصطلح الكتابة النسوية:

الكتابة النسوية تصنيف أدبي أم عنصرية جندريّة ذات تبخيسية؟

> د. سناء شعلان*

يظهر مصطلح أو صفة الكتابة النسوية قطعة فسيفسائية واضحة في المشهد الإبداعي المعاصر، لا سيما إذا كان في معرض تقييم المنتج الإبداعي الذي أنتجته المرأة، وهذا المصطلح الذي كاد يصبح حالة تصنيفية ثابتة للتمييز بين الأدب الذي تنتجه المرأة، والأدب الذي ينتجه الرجل، بات من الملّح التوقف عنده ملياً؛ لأنه يجزم بكلّ صراحة بأنّ الأدب/الإبداع يغدو متغيراً كبيراً في معادلة الجنس، فهو يفترض مسبقاً قبل إخضاع المنتج لمعايير الجنس الأدبي المنتمي إليه أنّ له خصائص فارقة تميّزه، أو لنقل تسمه بالنقص؛ لأنّه أدب أنتجته المرأة، وبذا يصبح مصطلح الكتابة النسوية حكماً معيارياً مسبقاً على أدب المرأة، وهذا يجعله ذا أبعاد تبخيسية من وجهة نظر عنصرية جندرية، تحلّ أدب المرأة مواطناً ثانياً في دنيا الإبداع، وَفْقَاً لجنسها دون التوقّف بعين الحياد عند عملها، ليُستنطق من ذاته، ويُحاكم بأدوات نقدية تنبع من جنسه الأدبي.

فمصطلح الكتابة النسوية محاولة جديدة بأسلوب عصري مقصود، يزاوج بفكر ذكوري عجيب بين هيمنة سلطة الرجل، وبين إرضاء الحركات التحريرية النسوية، بإضفاء صفة الشرعية المكتسبة على ما يكتبن داخل عباءة الرجل؛ وبذلك يغدو مصطلح الكتابة النسوية قيمة تبخيسية لما تنتجه المرأة، ويجعلها في الصفّ الثاني

بعد الرجل، ويسم منتجها بالأنوثة، العدو الأوّل لهيمنة الذكورة، في مجتمع وضع الرجل فيه معايير وشروط الحكم والتلقي بل والإنتاج.

وهذا كلّه يقودنا إلى بدايات خروج المرأة عن قيود الرجل وقهره، فمنذ الستينات سعتْ حركات تحرير المرأة في العالم، التي قادتها فرجينيا وولف وسيمون دي بوفوار اللتان هاجمتا المجتمع الأبوي الغربي، الذي يمنع المرأة من تحقيق طموحاتها الأدبية، فضلاً عن حرمانها اقتصادياً وثقافياً، إلى وضع المرأة في سياق هوية خاصة، تهدف إلى تحرير الخطاب النسوي من سمة هيمنة الرجل. وتعدّ سنة ١٩٦٩م بداية لهذه الثورة في الغرب، التي جاء ظهور التفكيكية على يد جاك ديريدا داعماً لها؛ لأنّه شكّك بمبدأ الأدب النظري للنقد الأدبي، وأكدّ العلاقة الخلافية بين الحضور والغياب، وما دام الأمر كذلك، فإنّ المجال مفتوح على مصراعيه أمام المرأة، لتتجاوز المعايير والقوالب الجامدة، وتشتق معايير أخرى جديدة.

ولا بدّ أنّ المرأة الخارجة عن نير الرجل، الذي قمع منتجها قروناً طويلة، قد بغت في تأكيدها على خصوصية أدبها أن تبرز تجربتها العاطفية والإنسانية، ومن ثم تُعنى باكتشاف التاريخ الأدبي الموروث للمرأة، وهو تاريخ لطالما همّشته سطوة الرجل المبدع، ومن ثم تسعى بعد ذلك إلى تحديد سمات خاصة للغة المرأة ولأسلوبها، وذلك من خلال التكامل الموصول في الأعمال التي تبدعها المرأة، سواء كانت هذه الأعمال قديمة أم معاصرة، وبذلك كلّه تستطيع المرأة المبدعة أن تفرض نموذجاً على الدراسات النقدية، يلغي الفروق بين الذكر والأنثى بما يسمى بالجنسوية، وتصرف الانتباه إلى الهوية الثقافية الأدبية للمنتج، بصرف النظر عن كونه ذكراً أو أنثى.

وفي ضوء ذلك، نستطيع أن ندرك أنّ مصطلح الكتابة النسوية هو تحريف خبيث لمصطلح الخطاب النسوي؛ ففي حين يتمثّل الأوّل التمييز العنصري في الأدب وفق جنس مبدعه، ينطلق الثاني من خصوصية النسق اللغوي الثقافي في دراسة ما يصدر عن النساء وفهمه، كما قد يصدر عن الرجال.

فما تكتبه المرأة، وإن كان منتجاً نسائياً يُعنى بتصوير تجارب النساء اليومية، ومطالبهن ووعيهن الفكري والذاتي والاجتماعي في إطار شرطهن الاجتماعي والاقتصادي، إلا أنّه لا يمكن أن ينفصم عن الإدراك الجمعي؛ وبذلك لا تغدو جزءاً من هيمنة الرجل الإدراكية، بل جزءاً فاعلاً فيها، وفي رسم محدّدتها، فالمرأة قادرة، دون شك، واعتماداً على ما كتبته، على أن تنحاز لقضايا المجتمع، دون الوقوع في فخ الذاتية، والصدور عن مشاكله ومعاناته، شأنها في ذلك شأن الرجل، دون أن تستبعد إمكانية أن تفوقه في ذلك؛ فهي حالة إدراكية ليست دون حالة الرجل بأيّ شكل من الأشكال إذا تساوت الشروط الثقافية والاجتماعية.

والإصرار على مصطلح الكتابة النسوية، واتهامها بالرغبة في البقاء تحت عباءة الرجل، وفي حمايته

إن رفضته، وحاولت الخروج عليه، ورفضتْ تبخيس أدبها، ما هو إلا صورة من صور التقبّل السلبي لمنتج المرأة؛ فهو لا يختلف كثيراً عن الرفض الذي قُوبلتْ به المرأة في منتصف القرن الماضي، مثل اتهامها بأنّ رجالاً يكتبون لها، كما جرى مع وردة اليازجي، التي أُتهمتْ بأنّ أباها وأخاها يكتبان الشعر لها، أو تزهيدهما في الكتابة وتخويفها منها، أو تعريضها لليأس من الكتابة، أو اتهامها بالتطفّل على الكتابة، وأنّ كتابتها دلع، أو إيصالها إلى حافة الجنون، كما حدث مع مي زيادة.

إذن، فالرجل مطالب بالاعتراف بأدب المرأة صنواً له، لا تابعاً، يتقبّله على مضض، ويعطيه قيمة تبخيسية مسبقة بمصطلح "الكتابة النسوية"، والمرأة. الأديبة مطالبة برفض أيّ جندرية في تصنيف أدبها، إنّما إخضاعه وفق تصنيف يعتمد على جنس الأدب ذاته، لا جنس كاتبه، وإحلال مصطلح الخطاب النسوي بديلاً عن مصطلح الكتابة النسوية، وذلك يستوجب مسبقاً العمل على تأكيد دخول المرأة المبدعة تاريخ الإبداع العالمي، واسترداد الأصوات التي هُمّشتْ عبر التاريخ، والتشاور والتنسيق بين المبدعات والمفكرات، ثم ايجاد حوار ولغة مشتركة بين المرأة والرجل، تعمل على التحرّر من جميع الموروثات المتخلّفة، التي كبّلت إبداع المرأة لقرون طويلة، وصولاً إلى ربط المرأة بشروط ومعطيات واقعها وحياتها وحاجاتها.

فليس خفياً أنَّ تبنّي ما يسمى بجنس الأديب، هو بُنية ثقافية أنتجتها التحيزات الذكورية السائدة في الثقافات التي تسم المذكّر بالايجابية، بينما تصف الأنثى بالسلبية، وفق تصنيف جنسوي قصده تبخيس منتج المرأة، والحفاظ على مركزية الرجل القائمة على تهميش المرأة، وعدّها ثانوية أو مضادة لمؤسسات الرجل ولرغباته، وإقصائها عن دورها الإنساني والفكري والإبداعي.

فالمرأة قادرة على الاتصال بمجتمعها، بعيداً عن تلك الأسئلة التي يبقيها الرجل في أتون الجدل، حول إن كانت تكتب بشكل مختلف عن الرجل، وافتراض ذلك جدلاً، ثم ردّ ذلك الاختلاف إلى البيولوجيا والتجربة والخطاب واللاوعي والبعد الاجتماعي؛ في حين أنّ الخطاب النسوي يؤكد فكرة مفادها أنّ التجربة النسوية للمبدعة هي خطابٌ مستقلٌ بذاته، شأنه في ذلك شأن خطاب الرجل، يُدرسُ من داخله ومن دلالته دون التوقف عند جنس كاتبه، فلا فرق بين ما تكتب المرأة والرجل، إلا بمقدار الفرق بين ما يكتبه رجل وآخر، وفق ما أعطي كلّ منهما من موهبة، وسانح ثقافة، وعميق إطلاع؛ وبذلك يصبح الخطاب النسوي منتجاً له ميزاته البعيدة عن العنصرية الجنسية، التي يطرحها مصطلح "الكتابة النسوية"، فالمبدع إنسانٌ بالدرجة الأولى أرجلٌ كان أم امرأة.

---

* محاضرة بالجامعة الأردنية وقاصة وكاتبة.

نوستالجيا تعبق بـ" رائحة الطفولة " في المجموعة القصصية للقاص السعودي عبد الرحمن الدرعان

> نور الدين بازين *

" لا أحد في شرق المدينة أو غربها إلا يعرفها، امـرأة بـلا اسـم تعتل على كتفيها الناحلتين كفناً متأهباً للانقضاض على بقية جسمها، وتمضي فـي الـطـرق الشائخة كأنها تبحث عـن مـوقـع ما يلائم ضريحها"[١].. بهذه الجملة اللاقطة، واصفاً حالة إنسانية، استهل المبدع القاص السعودي عبد الرحمن الدرعان إضمامته "رائحة الطفولة".

وهذا المدخل الذي ابتدأ بلا النافية، جاء ضمن قصة "رسالة" وهي القصة الأولـى في الإضمامة، وبما أن للرسالة قوالب محددة في الكتابة، لا تشبه غيرها من أنـواع الأجـنـاس الأدبيـة، ولا بد لها أن تحافظ على قالب وعلامات التراسل: أي من مرسل إلى مرسل إليه، لكن الملاحظ في رسالة القاص الدرعـان، أنها تمردت على قانون كتابة الرسائل؛ وزاغـت عـن الأسـلـوب الـمتـعـارف عليه فـي كتابة الرسائل، فالقاص لم ينضبط للخصائص الفنية في كتابة الرسالة، مثلاً ككتابة التاريخ أو ذيلها بتوقيع أو طابع ما، فنراه بذلك يريد تمويه القارئ والتحايل عليه، حين بدأ الأضمامة بقصة "رسالة". فهو بتناوله لهذا العنوان المثير، يريد أن يشد القارئ إليه منذ الوهلة الأولى، نافياً، ومستغرباً، ومعرفاً، وبانياً شكل القصة للمجهول، يقول: "لا أحد في شرق المدينة أو غربها إلا يعرفها"[٢]. فالمتأمل لتركيبة هذه الجملة، سيجد أن معنى التراسل حضر بقوة، لكن هذا الحضور أضمره الكاتب عن قصد، إذ عمّم معنى الرسالة وجعلها تكتب بلغة أدبية متعارف عليها ومستهلكة، لكن بأسلوب مميز يحرص على القراءة. المفارقة الغريبة المحصل عليها في تناولنا التحليلي هذا، نجد أن القصة كتبت بنوع من الغموض الناصح، فهو يثير فينا التساؤل، ويجعل المتلقي ينغمس في تقاطعات جدلية.. فقصة "رسالة"- الرسالية تستفز قارئها وتجعله يتابع خاتمة المرأة بإحساس خجول، وكأنه يتلقى رسالة من صديق ما.. تضطره كلماتها إلى المشاركة في إبداء الرأي والجواب عن أسئلة كثيرة لم يضعها كاتبها.

لنتسائل ونحلل قصة "رسالة"، من خلال ما تحبل بـه مـن الـرمـوز والـدلالات، فالكاتب شفّر رسالته المحكية، وترك للقارئ الحاذق حرية التأويل، فرمز المرأة في قصة "رسالة" هي، في اعتقادنا، البلاد العربية؛ فليس المرأة هي المرأة بالمعنى المتداول.. ولنا الحق أن نستحضر هذا المعنى الافتراض، ما دام أن النص أصبح ملكاً للقرّاء. فالمرأة/ الأمة العربية تعيش حالة بئيسة، فهي امرأة:

بلا اسم بلا زعيم حقيقي.

تتعل على كتفيها الناحلتين: أي المشرق والمغرب العربيين.

متأهبة للانقضاض على بقية جسمها: أي التناحر فيما بين الأقطار العربية[٣].

فالقاص عبد الرحمن الدرعان، برع في تصوير حال الأمة بهذه الاستعارة، ولا عمري، أنه قرب بها الحالة التي يعيشها العرب اليوم: وهي حالة أمة تشهد موتها في حياتها، ليبقى السؤال الجوهري، الذي رافقنا منذ قراءتنا الأولى للقصة - الرسالة، هو: لمن وجّه الكاتب رسالته التي يريد بها الالتفات نحو هذه المرأة/ الأمة العربية، التي كان ماضيها ينعم بالأمجاد والانتصارات..؟

يقول: " فكرت ذات ضحى - بدافع الخوف على الماضي الجميل الذي شرع ينقرض- أن ألتقط صورة"[٤]. الصورة التي فكّر الكاتب في التقاطها لهذه المرأة، لن تكتمل؛ فهو يأتي في آخر الرسالة - القصة، ويعترف أن هذه المرأة ماتت، ودليله في ذلك، تلك الرائحة التي فاحت من جنازتها يقول:

"رائحة صلاة ما تفوح من جنازتها.. وعلى شفتيها جملة لم تكتمل"[٥]. والملاحظ، أن الكاتب حاول، مرة أخرى، استعمال المجاز، حين يقول إن هناك صلاة لها رائحة.. وهل للصلاة رائحة..؟

ربما يرمز إلى طهارة المرأة أو دنسها.. لنلاحظ جيداً، فهو لم يعرف كلمة (صلاة)، حيث قال: "رائحة صلاة ".

أي صلاة..؟ وأي رائحة..؟ فهو من كل ذلك يريد التأكيد على وجود صلاة خاصة بهذه المرأة التي تركت لنا رسالة غير مؤرخة وغير موقعة، وتنتظر منا أن نتممها... إذا كان القاص هو الذي يصور أحوال الواقع بعناية أدبية راقية، ويرى الأشياء برؤية ناضجة، فلأنه يكتسب حدساً وخيالاً، وإذا كانت قصة (رسالة) حدثتنا عن حالة احتضار الأمة العربية (في نظري) من خلال المرأة، فإن قصة (ليلة الحشر) هي صورة مليئة بالفساد والضياع والتسلط. ومن البديهي أن القاص الدرعان ينسج ذلك بكتابة أدبية متداخلة، تبرز صوراً من المجتمع، وخاصة فساد الإدارة العربية، التي تنخرها الرشوة المتفشية بشكل لافت.. وها هي قصة (ليلة الحشر)، توغل بالقارئ في صور الحشر الذي نعيشه. القاص يعيد ملامح رحلة قصيرة في ليلة واحدة، جعل القارئ يسافر معه بحذر كبير، استنزف جهده للفهم، فالقاص رغم الغموض الذي ألبسنا في هذه القصة، فقد بعث إشارات واضحة ورموزا تنم عن أشياء وأسماء وصورٍ معيشية، يحتك بها الإنسان في كل زمان ومكان عربيين.

يبدأ عبد الرحمن الدرعان كتابة قصة (ليلة الحشر) بسؤال يصاحبه التعجب، عكس قصته الأولى (رسالة)، التي بدأها بالنفي، فهو يقول في مستهل قصة (ليلة الحشر): "هل ستتأخر عندهم..؟"[٦]، وهو بهذا المدخل يقدم لنا حالة استثنائية، تؤدي بنا إلى فهم معنى القصة، منذ البداية، رغم الضمور الذي يريد أن يُلبسه لها الكاتب عن قصد مسبق منه.

فهو قسّم القصة إلى أربعة أبواب حضيت بتقسيم محكم وبناء جيد؛ فهناك ثلاثة أبواب منها احتكمت مداخلها إلى أسئلة مباشرة: ١) هل ستتأخر عندهم؟. ٢) أعتقوك أخيراً..؟ ٣) أليس غريباً هذا الزحام في البرد؟. وهناك باب آخر يوشي مدخله بالمفاجأة ٤) فجأة ألمحت السائق.. الخ.[٧]. وإذا أعدنا تفكيك النص (ليلة الحشر)، فإن الأبواب الأربعة المكّونة له، ستكوَن لنا قصصاً قصيرة جداً، وفي حالة التفكيك وإعادة بناء النصوص الأربعة في قصة (ليلة الحشر)، فإن هذا التفكك سوف لا يظهر للقارئ، فقد عمل الكاتب على تركيب القصة بعين محترفة وسلسلها

بأسلوب سردي راق، يمكن تفكيكه دون أن يظهر ذلك في أبواب القصة الأربعة، فالباب الأول يجسد لنا ملامح الخوف والتسلط، يقول الكاتب فيه: "سأعتقلك حتى تتبول في ملابسك..". أما الباب الثاني فهو يجسد ملامح الظلم والذل: "أيعقل أن أقتل أحداً أو أنسف مصلحة حتى يوقفوني زهاء ساعة للتحقيق معي أمام الملأ، إن ارتداء القميص، يشكل بالنسبة لي أحد الأعمال الشاقة".. أما الباب الثالث فيصّور ملامح الفوضى والفساد يقول: "أليس غريباً هدا الزحام في البرد؟ وكذلك: "ففي هذا المكان ادفع بالتي هي أحسن وتوكل على الله"، ويقول مرة أخرى: "عند ركوبنا خرجت بحساب ذهني ثمن الرشوة، ومصاريف الطريق..»؛ أما الباب الرابع فهو يوضّح الضياع حيث يقول الكاتب: "فجأة لمحت السائق يحاول أن يوقظ شاباً مرمياً في زاوية الصالة مثل بالة التبن.." [٨].



كل هذه الأبواب تنسجم مع بعضها البعض، لتترك مساحة حرة للتسلسل أو التفكك. تضمر المجموعة القصصية "رائحة الطفولة" كثيراً من الدلالات والإشارات، لتحيلنا إلى الذات، ونستعيد معها اللحظات الهاربة من بين أناملنا الصغيرة، في فترة هي من أجمل وأروع فترات عمرنا، وهي مرحلة الطفولة؛ فمن خلالها، نسترجع ذكريات نمتحها من صور اليومي؛ فلذة الحلم والخيال يمتزجان بالواقع المعيشي، وهذا ما تحاول قصة "رائحة الطفولة " الحاملة لعنوان المجموعة القصصية، وهي موسومة بأشجان الماضي، مهداة إلى رجل كث اللحية يسمى جار الله الحميد أن تبوح به.

كما أن هناك تجاذب قوي بين الزمن وبين ذات القاص، حيث يعيد صور الماضي:

".. وعابثت خيط عصابتها الطويل المتدلي على كنفها اليابس، وحشرتني الرائحة في مضيق مليء بأشجار الحناء، طفلاً أركض فوق تراب القرية خلف الأغنام السائبة مليئاً بالغبطة والأحلام والخوف المسن من عفاريت الظهيرة"[٩]. إن المتأمل في نصوص المجموعة، سيرصد حركات وأفعالاً يبدع فيه القاص، بطريقة تنم عن إمكانيةٍ وجود إحساس كبير لديه، والمبدع مأخوذ بصور الماضي، ومشدوه بصور الحاضر؛ يقتنص كل لحظة من حياته الماضية، لكي يعيد توازنه النفسي من خلال القصص الخمسة، التي

احتوتها المجموعة، والتي اختار لها عنواناً يتغذى من طبق غني بذكريات الطفولة الموزعة بين الزمان والمكان والعائلة والأصدقاء، واضعاً أسئلة كثيرة حول المصير:

"في الممر كنا وحدنا، أمي وأنا وأخي، ولم يكن في الممر ثمة أحد غيرنا،أجلت عيني في خارطة العائلة.. ثم زويت عيني إلى أخي الأصغر، فإذا به يحدق بعينين تفيضان بالإحساس بالفقدان.. لكني شعرت في هذه اللحظة، أنه أنا ذلك الطفل الصغير، الذي يتعين عليه أن يبحث في ملامح أخيه عن ملامح أبيه.

- وابتلعت السؤال: ما الذي سوف يبقى لنا؟!!"(١٠)

وفي النص نفسه يقول:

" كل الصور قد تذبل، لا تموت، لكنها لربما ذبلت لتتفتح من جديد، ولكن أي قوة في الكرة الأرضية تستطيع أن تمحو من خاطره صورة الوداع المقعرة في تجاويف دماغه، والمرتدة على قبة روحه.. في لحظة ينخلع الغصن فيها عن أمه، تحت وحشية ريح صرصر طائشة وعمياء".. (١١).

إن كثافة الأحلام التي تزخر بها المجموعة القصصية، والتي تهطل كقطرات المطر بين سطورها، جاءت لتطمس آثار الواقع المر، وتعيد ملامح العربدة والصعلكة، وطقوس الماضي التي أسستها وجوهاً وشخوصاً مرت في الحلم مرور الكرام، حيث نمضي برفقة المجموعة القصصية إلى جدائل النخيل، ونصنع معه تصويراً دقيقاً للحالات التي تنقشها الوجوه والكائنات بمرارة، تمتزج بلذة تعيد القاص إلى طفولته وصعلكته. إن وجود شخصية الأم في المجموعة، له حضور قوي، إذ إنها المدد عند الإحساس بالضياع والتيه، وهي مرجع لوجدانه ووجوده منذ أن كان طفلاً، يواجه أحلامه الصغيرة بالتي هي أحسن. كما أن وجود الأب في المجموعة القصصية هو تأكيد ضمني على تأثيره في نفسية قاصنا، وكذلك تحديد مصيره، مع تبيان مفضوح للسلطة الأبوية، يقول في نص "الصعلوك":

"أخي الأكبر الذي كان مبتعثاً قبل أن يفتتح الصندوق العقاري، يقول مخاطباً أبي:

- بل هو الابن الشرعي للأرض الذي بقى وفياً لها، لم يتخل عنها ولم يخجل من سمائها، ولم يشارك في ولائم الحزاب، ولا في سرقة أموال المناقصات والانتدابات الوهمية، أسوة بكم أيها الموظفون. أبي يفتح عينيه على اتساعهما، وبعد أن يبصق عليه ويحاكمه بالطرد من البيت، متذرعاً بأنه وافق على بعثه من أجل العلم الغانم، لا من أجل أن يعود من ديار الكفار لكي يربينا هذا العاق".

ويقول كذلك في النص نفسه:

"- بعد العشاء بقليل، سيعود أبي من الصلاة، وينهرني:

- صليت؟"(١٢) والقاص يعيد تراكيب صور الحياة الماضية، فإنه يتأثر بالنزعة العائلية، ويحدثنا عن أخيه وأمه وأبيه وجدته والأهل والأسرة؛ لذلك نجد في قصصه لغة مختلفة إلى حد ما، نجد نوعا من الحنين إلى الماضي المجسد في ذكره لأسماء الأشخاص والأماكن.

ويقول: "هو صديقنا جميعاً" صديق الأشجار والقطط العائدة من طواف النهار وملاذ الأطفال الهاربين من المدرسة، خاصة عندما تمطر السماء، وتنادينا الغيوم البيضاء، لنعرف أغنيتنا الأثيرة التي حفظناها بالتلقين، نستدعي الماء، ونؤلب الأرض، أن تقوم من يأسها إلى الربيع القريب.."(١٣).

يقول كذلك: "... يناديه المؤذن والإمام، وصاحب البقالة البخيل، الذي لا تستطيع نملة أن تسرق منه حبة سكر..."(١٤).

إن التجاور المتناسق في قصص عبد الرحمن الدرعان، بين الحلم والواقع، في استرجاع الذكريات، يضعنا أمام كاتب يتقن حرفته بالوصف الدقيق، والتصوير ذو النبرة الحزينة، يخلع تقاليد حياة تتحكم بها أعراف الأجداد والآباء، وهو مع ذلك يحاول أن يتجرد منها بصعلوكيته وتمرده، ولو بممارسة الحلم واكتشاف ذاته، كما يدل حديثه هذا:

"في الظل المنكسر عن الحائط الشرقي، جلسنا نحن الثلاثة نراقب جدي، وهو يضع مزيداً من التبن على رغوة الطين، ويكلم نفسه بكلمات تفوح برائحة الرثاء واليأس. كان الفناء مملوءاً بالجلود التي تنتظر، الدبغ، طفت حواليها قليلاً، ثم دلفت إلى غرفة أمي، فاستحسنت أن أجرب فستانها المعلق على ظهر الباب، وأفاجيء الجميع بأن أتقمص دور امرأة تتسول، لكنني أحجمت بسبب الجوع، من الخارج جاءني صوت أمي وهي تناديني لأول مرة في حياتي.."[١٥].

لا يكاد القاص عبد الرحمن الدرعان، يجد ذاته الهائمة بين الحلم والواقع، حتى يحس من جديد بالضياع، ومع ذلك فهو يقاوم لكي يسترجع توازنه المسروق، ثم يسيل في وصف الحياة والطبيعة والإنسان، حيث يسري في وصفه الجميل للأشياء بدقة، قد تخلو من مبالغة في الزيادة أو النقصان من زاوية اللغة، ثم يزرع في عقول القراء صوراً يكون قد خاضها في طفولته، ليجد نفسه في القصة، ولا أدل على ذلك من هذه الفقرة:

"كانت النساء يشيدن أغنيات صغيرة ذات إيقاع سريع واسم أمي يلتمع خطفاً بين الكلمات ثم يغيب، ووحدها كانت منكّسة الرأس داخل الزفة، والنظرات تتجه إليها، ترتدي ثياباً زاهية، وقد بدت أصغر بكثير من سنها.."[١٦].

ثم يسترسل وصفاً فلنتأمل معه هذه الصورة الدالة على كثافة رمزية:

"وحدي كنت أراقب الحلقة المرصعة بالنساء باستغراب.. وأصغى إلى صوت العصي التي تهوى على الطبول في الخارج.. أتحسس ظهري، وأحول بكل ما أوتيت من خوفي من الغد.. أن أجد خالتي،التي لم تكن إلا خالتي من الرضاعة، لعلي أجد في عباءتها المضرجة برائحة البرسيم خيطاً أرتق به آثار الجروح، التي ستتفتح عندما يتنزه السوط على طول جسمي وأنا تحت قدمي أبي أرقب السماء البعيدة، ومن حدقتيه يتقادح شرر أحمر ممدداً على بعد سيف أو شاهدة من موتي"[١٧].

إن ثنائية الحلم والواقع تبقى حاضرة داخل نصوص المجموعة "رائحة الطفولة"؛ فقد تعايشت الصفتان منذ أول نص فيها، وخلقت لنا نظريات وخلاصات استمتعنا بها كل ما كررنا القراءة وأعدنا اكتشاف النصوص. وقد كان في هذا التعايش حمولة للدلالات والرموز، يفطن لها من يدرك مغزى الرسائل داخل نصوص المجموعة، وخصوصاً في قصة: "دم الجمعة" مصوراً لنا صراعه مع الأحلام يقول:

" ذلك اليوم - هو الجمعة بلا ريب - ساعة ما قبل المغيب تحديداً، ثمة شيء ما، ربما يد إنسان تتحرش بك أن تخلد إلى نومك، لتصحو في الحلم على أثر ارتطامك بالمشهد البعيد.. تنتبه إلى الرضوض فإذا إنها قد كبرت وغارت بعيداً إلى الحد العصي على الاندمال"[١٨].

ولعل وصف الشغب الطفولي، واكتشاف الذات والذكورة، هي من أبلغ الصور التي تبقى في مخيلة الإنسان، فلا يجد الإنسان من ذلك مهرباً، فيبدأ يحاول البحث عن صيد ثمين يزرع فيه أنيابه، ويبدأ في الاهتمام بشكله، وإثارة فضول بنات الحي، وتنغمس عيناه في جسم إحداهن، وتبدأ المناورة ولفت النظر.. لكن حين ينفرد الذئب بصيده، تغيب

الرومانسية واللطف، ويغيب الأدب والإنسانية، وتحضر بدلاً عنها الوحشية التي تسكن البشر وتظهر في وقتها، وهذا ما يريد القاص عبد الرحمن أن يوضحه في صورة خيالية حين يتحدث عن الفتاة " مريم" يقول:

"ما كان يخطر ذلك في بالك أبداً وحين شاهدت "مريم" تتعثر في حاشية عباءتها، في ذلك اليوم الذي لن تنساه كمنعطف خطير في تاريخك الشخصي، وفسرت الأمر على أنه من قبيل التجريب، وهكذا عانقتها مكباً على أطرافك الأربعة، وشرعت تعوي خلفها مرتجلاً في الحال مسرحية، أنت تستحوذ على دور الذئب الجائع إلى عنزته الجميلة، وكنت بالفعل مصمماً على أن تنضغ عباءتها، فلم يدر في خلدك أنها سوف تختفي إلى الأبد إلا عندما انتهرتك أمك بقسوة وكأنها تتقمص دور الراعي، لولا تلك الجدية التي تعرفها جيداً قائلةً: إن البنت كبرت (!!)"[١٩].

وكذلك:" عبود! هل يمكنني أن ألد كالنساء بسبب الدم؟ - أي دم، هل جرحت أيضاً؟

لكنها أجفلت حينما أفاقت على فضاعة السلوك، الذي قامت به، واختفت إلى الأبد تاركةً الولد يلعق الأسئلة تلو الأسئلة"[٢٠].

من الممتع حقاً أن نجد حضور المرأة في جميع قصص المجموعة، فكل ما نلاحظه هو منحها مكانة جيدة داخل النصوص، واحترام وضعها الأنثوي، ومن هنا يتجلى بوضوح كبير النَفَس الرومانسي لدى عبد الرحمن الدرعان، وكذلك تعلّقه الجميل بالمرأة من خلال أمه وجدته وأخته، وكذلك بنت الجيران التي يكشف عن حبها له، ذلك الدم وهي إحالة على زواجها من غيره، والصبر الذي لقيه من أمه.. فحب الطفولة له لذة خاصة وجميلة، يحتل القلب بدون إذن من مولاه، وينزل بالجسم تغييراً كبيراً، فيبدل شكل صاحبه، وربما في بعض الأحيان تصيبه حمى، فيتيه العقل في أحلام لا حدود لها، ولا يفيق إلاّ بصدمة أو حادثة، تعيده إلى الواقع، يقول: "تصل إليك أسرارهن التي تمجّد حلاوة عينيها.. ضحكتها الدافئة.. شعرها الهارب سبطاً ناعماً، للدرجة التي تجعل الماشطة تفرش لها بساطاً أثناء التسريح، تتذكر حتى أكاذيبها العذبة، وأنت تسترق السمع لكي تتخيل هذه الأسطورة، وتتمنى أن تراها.."[٢١].

إن القاص عبد الرحمن الدرعان يثير كثيراً من المشاهد في نصوصه، كما أن تجربته في نصوص " رائحة الطفولة "، تجربة تستحق أكثر من قراءة ووقفة؛ فهو على الرغم من تميزه بالوصف، فإنه يكتنز بلغة تمتح من الرموز والدلالات، تورّط القارئ والناقد معاً وتجعلهما يبديان اجتهاداً في الاقتراب أكثر من نصوصه، وخلق حميمية معها؛ فهو ينهج في كتاباته لعبة السهل الممتنع، بلغة بسيطة وقريبة من الواقع، يعتمد على محيطه وبيئته مختصراً الحياة في شخوص تعد على رؤوس الأصابع، لكن مع خلق تغيّر في الأسلوب والفكرة، كما يضع كثيراً من الأسئلة والعناصر ليشركنا في عالمه الطفولي، وهو عالم البراءة والتلقائية، وكنز الإنسان الذي لا يفنى، والرائحة التي تنبعث من الذاكرة، وبدون ذاكرة ليس هناك طفولة ولا تاريخ.

---

* كاتب مغربي. □□.□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

١ - المجموعة القصصية "رائحة الطفولة"، نص "رسالة".

-٢،٣،٤،٥ النص نفسه.

-٦ نص ليلة الحشر من نفس المجموعة.

٧، ٨ - النص نفسه.

٩،١٠، -١١ نص رائحة الطفولة.

-١٢،١٣،١٤،١٥،١٦،١٧ نص الصعلوك.

-١٨،١٩،٢٠،٢١ نص دم الجمعة

> ياسمينة صالح*

كـــاتــــب يـــاســـين: المـســاءلـة بين الكتابة والـهـويـة والـوطـن..

«أعتقد أنني ألّفتُ كتاباً واحداً فقط. كان في الأصل شعراً تحّول إلى روايات ثم إلى تمثيليات مسرحية، ولكنه بقي الكتاب ذاته، ولسوف أتركه كما «تنتهي من شيء تصنعه؛ فالمرء يحس في قرارة نفسه أن عمله لم يكتمل والجزائر لم تستكمل قدومها في العالم بعد».

بهذا التعريف البسيط والعميق، لخّص «كاتب ياسين» ذات مقال تجربته الإبداعية كلّها، تجربة تحّولت من عطاء إبداعي وإنساني إلى رؤية سياسية محضة، تبنتها عروش جزائرية تطلق على نفسها اسماً مشتركاً: «الأمازيغية الحرة».. □□□□□ □□□□□□□□□□ □□، وهو المصطلح نفسه، الذي أطلقه كاتب ياسين في تحليل رؤيته السياسية، كواحد من أهم الأدباء المبدعين الجزائريين، الذين كتبوا بالفرنسية دون أن يفقدوا خاصيتهم الجزائرية الدقيقة والمميزة. هو الذي قال عنه الروائي الفرنسي الكبير «دانيال فرامون»: حين أقرأ لكاتب ياسمين، وعلى الرغم من أنه يكتب بالفرنسية فهو يكتب عن الجزائر، ونحن بالتالي نقرأ عن الجزائر.

قبل أكثر من عشرين سنة، تبنّى الأديب والروائي الجزائري كاتب ياسين مطالبه التي صارت سياسية فجأة، وصارت تعني إلى اليوم ملايين من الجزائريين، على اختلاف توجهاتهم. إنه المطلب الجلي في الحوار، والتعبير، والحق في الاختلاف اللغوي الجزائري (اللغة الأمازيغية التي تغطي أكثر من ثلث سكان الجزائر)، والحال أنه التغيير الذي حدث في الواجهة السياسية الجزائرية، وهو نفسه التغيير الذي أخرج تشكيلات أمازيغية معتدلة، ومثلما أخرج تشكيلات متطرفة، وأحياناً راديكالية جداً، تطالب بالحق، ليس في الحرية فقط، بل وفي التحرر، كصيغة أخرى للانفصال عن الدولة، ما أثار غضب السلطات التي عدَّت مجرد الكلام عن الانفصال خيانة كبرى (كما هو واضح في الجريدة الرسمية الجزائرية)؛ وهو بالتالي ما عرف بالردع المناوئ لفكرة التشكيلات السياسية والفكرية الأمازيغية المتطرفة، والتي تعرف في الجزائر باسم «العروش».

كان ذلك قبل أكثر من عشرين سنة.. أيام كان كاتب ياسين يتكلم عن الأمازيغيين، كما لو كانوا يعيشون مواطنين من الدرجة الثانية، وكما لو

كانوا «أكراداً في الجزائر»! وربما كانت تلك الواجهة الثقافية الأكثر معارضة للنظام نفسه، إلى درجة دخل كاتب ياسين نفسه في صف المحظورين، إزاء سلطة كانت ترى فيه زعيماً ثقافياً عرقياً غير مرغوب به !

بهذا التقاطع والتشابك، يعود الجدال الفكري في الجزائر عن «كاتب ياسين» الأديب الروائي والشاعر والسياسي، داخل فكرة المساءلة بين اللغة والهوية والوطن. وتعد تلك المساءلة، في حد ذاتها، شكلاً من أشكال الحوار الفكري في إطار الاعتراف بالآخر، والاعتذار له على سنوات التغييب التي مورست ضد جيل بأكمله؛ بيد أن ذلك الآخر، الذي ربما أقصي دوره طويلاً، في السنوات التي أعتقد فيها السياسي أن بناء دولة جدران أهم من دولة الفكر والثقافة؛ ولأن إشكالية الهوية مطروحة فعلاً في الجزائر، إذ إنها تتحدد اليوم على أساسين أيديولوجي وسياسي أكثر مما تتحدد على أساس ديني، والتي أريد بها «الإصرار» على الدفاع عن ذاكرة أديب، أحب الوطن وكتب عنه في أجمل رواية ما زالت تحتل المراتب الأولى من الكتب الأكثر مبيعاً في أوروبا، وفي فرنسا تحديداً، نظراً لأن كاتب ياسين كان يكتب باللغة الفرنسية فقط.

لم يكن «كاتب ياسين» مبدعاً فقط، كان التقاء ثقافتين أيضاً، وتقاطع حلم وحلم مضاد داخل فكرة واحدة: «الكتابة والأنا الجماعية» وليس الأنا الفردية فحسب، ربما لأنه من مواليد مدينة هي قلب الفكر الأمازيغي الراهن (مدينة بجاية)؛ وبالتالي فهو من سكان الأمازيغ الذين قال عنهم ذات مرة: «إنهم الحقيقة المقبلة في جزائر أخرى سوف تنظف من تراكمات الأزمة البليدة والراكدة»، التي يقصد بها آليا المنظومة السياسية في إطار ما كان يصطلح على تسميته آنذاك بـ: «سياسة الحزب الواحد».

ولد كاتب ياسين عام ١٩٢٩م، في منطقة القبائل الجزائرية. كان ذكياً ومشاغباً، وكان حاضراً ومصراً في ظروف استثنائية، كان فيها الإنسان الجزائري ضحية آلية استعمارية رهيبة. كانت الحقبة الزمنية في الثلاثينات تدفعه إلى ذلك الخيار المدهش الذي جعله ينحاز إلى الكتابة وهو بعد في العاشرة من العمر. بالنسبة إليه، ظلت الجزائر المحتلة هاجساً حقيقياً فجّر قريحته، فتحّول من شخص بلا قضية إلى شخص يحمل الوطن على عاتقه؛ ومن مواطن فقط إلى كاتب ارتبط الوطن عنده بجملة من الرموز والإيحاءات داخل قصائده الأولى، ومقالاته ذات الطابع السياسي اللاذع، فكانت روايته: نجمة..

«نجمة» الرواية التي صدرت لأول مرة، في باريس عام ١٩٥٦م، هي نفسها نجمة المدينة والوطن والحلم، الذي يسكنه الناس البسطاء والمتعبين.. نجمة المرأة أيضاً في زمن متناقض بين المنفى الذاتي والمنفى العام.

كانت نجمة هي الحرب التي حاصرتها ورمتها في اللّغة الأخرى، وفي الخيار الصعب، على مشارف تاريخ غامض جلي في الوقت نفسه، أمام قراءات وترجمات كثيرة منحتها هذا التألق إلى يومنا هذا؛ ما جعل المقاربة مدهشة في الأدب الفرنسي الحديث، بين ما صنعه كاتب ياسين، وما صنعه الأديب الأمريكي «فوكنر»، بالرموز والإيحاءات والتداخلات

نفسها التي أحدثت التقارب فكريا وإبداعيا وإنسانياً بينهما، كما كتب الناقد الفرنسي « جيل سانتان» في كتابه « الحوار والبناء الفكري»، الصادر في باريس السنة الماضية.

يقول كاتب ياسين في مدخل رواية «نجمة»:

«سلام أيها الباب المغلق

يا غلاف كتاب علينا أطبق

يا صفحات كتاب ممزق

نجمة.. يا نجمة

افتحي بابك أو نافذتك

أو اهربي من دهاليز دارك

تكلمي أو اهتفي أو غني أو ابكي

القي علينا الكذب الذي يستحقه المؤمنون

أو دلو الماء على رؤوس المجانين

أرسلي إلينا كلبك أو قطتك

أو إحدى ذبابات بيتك

انفضي على رؤوسنا سجادتك العتيقة

فلا طاقة لي بهذه الوحدة

امرأة واحدة تشغلنا

غيابها يجمعنا

و حضورها يغرقنا»

الهوية واللّغة:

لم يعد طرح تساؤل اللغة عفوياً في جزائر اليوم، صار مرتبطاً بالأزمة السياسية ذاتها، وبالتيارات الموجودة على أرض الواقع، وهي تيارات متشعبة: وطنية وأصولية، وبربرية، ولائكية، أدت إلى ما صار يصنع انقساماً فكرياً وأيديولوجياً عميقاً، أمام راهن صعب وخطير. ولعل الأزمة البربرية التي انفجرت للمرة الثالثة في نحو عشرة أعوام، تبقى هي البركان الذي يهدد الهوية الجزائرية فعلياً، وما يصطلح على تسميته حالياً بـ «الربيع الأمازيغي»، هو في في الحقيقة القشة التي قصمت ظهر البعير، والتي ربما يعدها الآخرون سبباً لأجل نقاش فكري، لا تعترف به السلطة الجزائرية كثيراً، بدليل أن اسم «كاتب ياسين» ظل مختفياً طوال أكثر من عشرين سنة، بوصفه أنه يمثل للجزائريين ولسكان القبائل تحديداً، نافذة فكرية على كل الحريات التي حُرموا منها داخلياً، وعلى هوية بقيت رهن الخطب السياسية البراغماتية والبليدة، ورهن المساومات الكبيرة، التي أدت إلى ذلك الواقع الجزائري الضارب في العنف وفي التصفيات الجسدية والفكرية؛ ومن ثم في التطرف الفكري واللغوي، بين معربين وفرانكفونيين.

لكن عودة الكلام عن الأديب والروائي الجزائري كاتب ياسين في الساعة الأدبية الجزائرية، هو العودة إلى الوراء ربع قرن، إذ يجب الاعتراف أن الكتابة لا يمكنها أن تتوقف بموت الكاتب، بل تستمر لأن رواية نجمة لكاتب ياسين، تتجدد اليوم في واقع يعترف أن الأمازيغية حقيقة صار من الصعب تجاوزها الآن، على الرغم من أن الوطن في النهاية هو الهوية الوحيدة المتبقية للجزائريين جميعاً. ما يهم في الحقيقة هو أن ملتقى «كاتب ياسين» الفكري سينطلق هذه الصائفة في مدينة «تيزي وزو»، بوصفه مدخلاً لعلاقة فكرية متصالحة مع الجميع.

* كاتبة روائية من الجزائر

شعرية الموت والألم في ديوان "خائنة الشبه"

للشاعر السعودي حسن الصلهبي

> عبدالحق ميفراني*

يمثل ديوان الشاعر السعودي حسن الصلهبي "خائنة الشبه" نموذجاً صارخاً لحالة الانكسار، التي مست عمق بعض التجارب الشعرية العربية. وبعيداً عن تحديد الإطار الأجناسي لتأمل هذه التجربة، اقترحنا تتبع الجانب التوليدي للمعجم الشعري، الذي بدأ لنا غنياً إلى الحد الذي يمكنه أن يشكل نافذة حقيقية لاستجلاء البناء الدلالي العام.

يضم الديوان عشرين نصاً شعرياً تتقسم إلى فرعين: الأول بعنوان: "خائنة الشبه"، ويحتوي على خمس عشرة قصيدة، بما فيها قصيدة خائنة الشبه؛ والثاني بعنوان: "وطن للعابرين"، ويضم خمس قصائد، بما فيها قصيدة وطن للعابرين.

الديوان الصادر عن نادي جازان الأدبي، هو في الأصل طبعة ثانية، إضافة إلى أنه متوّج بجائزة أدبية، بما يعني أن عوالم القائد في الديوان تقدم نفسها تحت هذا الوضع الاعتباري، لكننا نتخلص كلياً من هذا الحافز (□□□□□) عندما نلج جسد هذه القصائد.. ثمة وعي بحالة الشعر كإيقاع، ولعل جمالة الترتيب الكتابي والطباعي وتسلسلها، قدمت بُعداً استقرائياً آخر، ليس مجال هذه الدراسة بحثه.

النصوص في ديوان خائنة الشبه تستجيب لهذا التركيب الشعري الأولي:

لماذا أحرفي قلقة؟ قصيدة شهوة النار، ص١١.

والقلق هنا يتعرى في بعده الوجودي الأنطولوجي، ليتسع لأفق الكتابة ووجعها، الذي هو توصيف تحديدي؛ ما يجعل قصائد خائنة الشبه، خائنة حقيقية لأي شبه.. إنها تعبر عن ذاتها وأفقها، خصوصاً إذا كان الشاعر "تسكنه حمى أبي تمام ":

«حمى أبي تمام تسكنني»، قصيدة شهوة النار، ص ١٢.

ولعل إشارة الشاعر إلى تجربة أبي تمام الشعرية دعوة صريحة لخصوصية المغامرة الشعرية؛ فالكتابة ترفض التنميط ووصاية النموذج، وهنا وعي بقدرة القصيدة على التجاوز واتساع أفق الشعر، الذي يتحول معه ديوان "خائنة الشبه" لاستجابة صريحة لمقولة شيلنغ:

"الشعر تمثيل للمطلق والشمولي في ما هو خاص".

فمغامرة القصائد الأنطولوجية مفتاح للعبور لهذا التعدد، وهنا تستطيع القصيدة أن تتحرر من تراث لا ترتضيه، ومن تحجّر النمط، فحتى التسلسل الاختياري للشاعر في "خائنة الشبه" لقصائده، وبالشكل الذي ارتضته هذه القصائد، وحين يمتلك الشاعر لغته، فإنه يمارس انزياحاته عبر اللعب على طرائق التوظيف للغة الشعرية، وعبر إحدى أهم أسس هذا الانزياح ونقصد هنا الصورة الشعرية، وحتى وإن قدم الديوان" "سلاسة" ملحوظة في هذا المنحى، نمثل لإشارتنا بهذا النموذج:

أوقظ الليل بالحروف وأطهو صحوة الصبح فوق نار القصيدة

قصيدة "انتحال القصيدة"، ص ٢٥.

و على الرغم من هذا "اللعب" اللغوي المزدوج، فإن حصر ثنائية الكتابة في الحرف والقصيدة والليل والصباح، كفيل بتوضيح هذا التعامل السلس مع "الصورة الشعرية"، ومع تقنية الخرق اللغوي.

وعودة للحقل المعجمي، الذي ينضبط ديوان "خائنة الشبه " داخله، فإننا نشير لوحدة دلالية أساسية التي نعتنا بها قراءتنا هاته، أي شعرية الموت والألم، والتي هي معادلة جامعة للتوصيف الرؤيوي للقصائد العشرين. وعبرها نكتشف حقول الرؤية الشعرية في الديوان.

ثمة فضاء سوداوي يلف جميع حقول الدلالة في الديوان، وحسب الجرد الذي سنقدمه، يفاجئنا هذا الانكسار والوجع الموحد في شعرية مفتوحة، تنفتح عبر حقلين دلاليين: شعرية الموت، وشعرية الألم:

صفحة	القصيدة	الحقل المعجمي
٩	السواد	السواد - العراء- الليل - أشلاء - الظمأ - اللغو - الفراغ - الموت
١١	شهوة النار	القلق - الصمت - اليأس - الألم - الذوبان - النار - الجنون - اختناق - الجراح - الدم - الموت - الليل - الشرخ - العري
١٥	خائنة الشبه	السراب - الكآبة - الرعب -الخوف - الموت - الجراح - الوجع - العذاب - الرحيل - الغياب
١٨	ثرثرات الغبار	أنين - العقم - الفراغ - الصحراء - الغياب - العري - التيه - الجراح - الموت - الحزن -
٢١	عنق الزجاجة	القلق - اغتيال - الشقوق - الجراح - الجنون- الموت - البكاء - الوجع - هزائم
٢٣	انتحال القصيدة	تلاشي - الزحام - الليل - العطش

٢٦	في يدي يبرد الماء	الحطام – العراء – أوجاع – الألم – الحرقة – احتضار – العذاب – الدم – الفراغ
٣١	حالة اشتباه	الجرح – السواد – الليل – الرماد – انكسار – الموت – الظمأ – الغياب – الجوع
٣٤	هلع يغمس في شبه كلام	الهلع – العري – الحزن – الرمل – السراب – البؤس – الموت – الظلام – الهلع – الجنون – الفراغ – الغياب – الألم
٣٨	حطامك في ماء	انكسار – الموت – الخنوع – الشجون – احتضار – التواء – اللظى – العراء – الجرح – اللظى – الشوك – النار – الكدر – الفرار
٤١	وردة لا يكورها الزمن المستدير	الليل – الميتون – الشك – النهاية – الشجون- الحزن – الخيانة – الليل – انكسار – ضياع
٤٥	دفء البياض	الدم – الظلام – الليل – عجاف
٤٧	نشوة اللاءات	الحزن الصمت – الشك – الجرح – البؤس – الصدأ- النهاية – انتحار – الليل
٥١	الوجع الثاني	الوجع – القبح – عذاب – جراح – الخيانة – الصمت – الحزن
٥٤	لا أحد	الوجع – الموت – الضيم – العري – الرمل – الحزن – التيه – الوهم – الليل – الظلام – الجراح – الجمر
٥٩	أخيرا سقط القمر	النوى – تشظي – صدع – المساء – الليل – الألم – السأم – الرحيل – الفراغ – الجمر – الموت
٦٣	إذ أحرق في الماء	الليل – الوهم – احتراق – الدم
٦٦	على جسد الأرض أورقت	الليل – الهم – القتل – الليل – الصمت – الجرح – الوجع – الحرب – البكاء
٧٠	وطن للعابرين	الليل – التيه – الجراح
٧٢	غيمة البرتقال	جريح – الجراح – الحزن – الوجع – الولع – القلق

ونضيف لهذا الجرد عناوين القصائد، التي نحصر حقلها المعجمي في:

السواد – النار – الخيانة – الهلع – الوجع – الحريق.

كما أننا نعُد الإهداء عتبة أساسية تضاف لهذا الجرد، من خلال الآتي:

الذبول - الأثقال

تُعَدُّ شعرية الموت والألم وحدة إنتاجية، ليس الحقل المعجمي إلا مظهراً قوياً لتجليها، إذ إن توصيف الرؤية بهذا العمق الانكساري السوداوي، لا يمثل استثناء بحكم حضور هذا البعد في متن ممتد من المغرب

في أقصى المحيط الى التجربة الشعرية العراقية في حاضرها المزدوج: المنفى والوجع.

ويكتسي هذا التوصيف الذي يبدو قدرياً عمق اللغة الشعرية في انكشافها وتجليها، خصوصاً حين يحضر هذا الاستدلال في المنحى الوجودي الذي يبدو قدرياً. ويعمق هذا المنحى استجلاء حضور سؤال الكتابة الشعرية التي وسمناها بالقلق الأنطولوجي، وهنا يمتزج البعدان في ترسيمة دالة:

معجم الانكسار

شعرية الموت والألم

رحب الرؤية

قلق القصيدة

ونستدرج مقولات الحقل المعجمي، ونأمل عبر هذا التمحيص، إدراك نقط الارتكاز المقولات المحددة الجامعة لهذا الحصر المعجمي. إننا عبر هذا الاشتغال، نتمكن من تلمّس جوانب ومحددات وأوجه شعرية الديوان، إذ إن الأساس العام يظل هو ثنائية الموت والألم، لكن وفق أية استراتيجية تقدم هذه الرؤية:

م١: القلق، الصمت، الجنون، العطش، الفراغ، الشك.

م٢: اليأس، الذوبان، الشرخ، اختناق، كآبة، الرعب، الخوف.

م٣: الألم، الجراح، العري، العذاب، الحرقة، الوجع.

م ٤: النار، الدم الموت، الليل، السراب، الرحيل، الغياب.

ترتبط م١ بحالات الكتابة، حالات الشعر ذاته، لهذا تمثل مجموعة متجانسة، توصيف دقيق لوجع القصيدة قبل ولحظة التشكل والولادة، لكن يبقى هذا الحقل المعجمي أشد ارتباطاً بالكتابة الشعرية، أما م٢ فهي بوابة عوالم النصوص الشعرية إذ إنها مراكز دلالية ومداخل لتوليد شعرية الموت والألم التي تتلخص م٣ في إبراز حقولها.

وفي هذا المنحى، تتعمق اختيارات نصوص ديوان "خائنة الشبه"، والتي تبرز عوالمها في مستويات الخرق السوداوية الرؤية، التي هي منتهى لأفق مفتوح على الألم، وتعد م٤ ضوابط وفضاءات تجلي، تنكشف عبرها مجالات الإخصاب الشعري.

إن حصر المستوى المعجمي، بهذا الشكل في ديوان "خائنة الشبه"، يقدم لنا في النهاية مستويات الرؤيا وتجلياتها، إذ عبر هذه المغامرة، تمارس الكينونة صيرورتها، كموقع شعري داخل النصوص، والتي أياً كانت قيمتها الإبداعية ما هي إلا تمرين إيحائي لهذا الموت، الذي اختارته كما اختارت المعنى، قصد تحفيز وجع الدلالة وجرحها للتجلي.

وهو تجلي تتحكم فيه مقولات الشك والقلق أساساً إنوجاد إحساس الظمأ للقول الشعري كخلاص وتحرر من لعنة الكتابة.

يكشف الشاعر السعودي حسن الصلهبي. في ديوانه، على قدرة تمثّل الموت والألم كإحدى الثيمات الأكثر خصوصية في التوظيف الدلالي، ووفق هذا المنحى تنكشف رؤية الشاعر للعالم والوجود المحكومة بهذه الرؤية السلبية، التي ما هي إلا حقلاً تحفيزياً لإغناء عوالم المعنى وإخصابه، وإنتاج توليدي يمكننا من انتظار وتأمل تجربة هذا الشاعر، الذي عمّق إضافة إلى شعراء آخرين وعياً شعرياً للقصيدة في الجسد الشعري السعودي.

* شاعر وناقد من المغرب

بين علم العقل ... وأدب العاطفة

> نبيل شبكة*

استُخدِمت كلمتا الأدب والعلم في لغتنا العربية، على مر العصور، للتعبير عن عدة معانٍ؛ فاستخدمت كلمة الأدب، أحياناً، للدلالة على الأخلاق الحميدة والنفس المهذبة، واستعملت هذه الكلمة أيضاً بمعنىً أوسع، في أحيان أخرى، لتدل على الانتاج الشعرى لكبار الشعراء في مختلف العصور، بصرف النظر عما إذا كان هذا الشعر جيداً وملتزماً أم شعراً يتناول- أموراً وموضوعات من الفسق والفجور، كما ورد في بعض أشعار جرير والفرزدق، وما نظمه أبو نواس في الخمريات والغلمانيات؛ وكذلك كانت كلمة العلم في بداية استخدامها، يقصد منها العلم الدينى فقط، ثم اتسعت في معناها لتشتمل على كل ما ينتجه العقل والفن.

وفي عصرنا الحديث، أصبح هناك انفصال بين اللفظين، فهناك صحيفة أو مجلة أو برنامج أدبى محض، وهناك أيضاً ما يوصف بالعلمي فقط وبين الاثنين نجد ما يطلق عليه لفظ الأدبي العلمي في تعريفه. ولكن ما حدود ذلك؟ ليس هناك تعريف واضح؛ وذلك لأن كلمة الأدب وكلمة العلم من الألفاظ الغامضة التى نفهمها جيداً ولكننا إذا أردنا تحديدهما وتعريفهما بالضبط، وجدنا أنفسنا في حيرة من أمرنا. ومثل هذه الكلمات مثل الكثير من الكلمات الأخرى، التي نعرفها ولا نستطيع تعريفها كالجمال والعدل والخيال... إلخ، فكل فرد تبعاً لثقافته وميوله وأغراضه يضع تعريفه الخاص به لمثل هذه الكلمات وغيرها.

وكذلك الحال بالنسبة للأديب والعالم، فكثيراً ما نرى أطباء وعلماء برعوا في كتابة الأدب بمختلف أنواعه من شعر وقصة ومقالة، بينما نرى أيضاً في المقابل أدباء قدموا الكثير من الأعمال الشهيرة للساحة الأدبية بينما عملوا أيضاً في مجالات علمية بحتة.

الأدب دوماً يخاطب العاطفة، أما العلم فإنه يخاطب العقل؛ فإذا قلنا إن المستقيم هو أقصر خطٍ يصل بين نقطتين، فإننا نخاطب العقل ولا نمس العاطفة، بينما لو قرأنا بيت

الشعر التالي للبارودي:

سلوا عن فؤادي قبل شد الركائب
فقد ضاع مني بين تلك الملاعب

لوجدناه يمس العاطفة وليس له أي صلة بالعقل.

فالعالم يقوم باجراء التجارب لاستكشاف ظواهر وقوانين، وليضع أمام العالم القوانين التى لا تحتمل الشك. بينما الأديب ينظر إلى الأشياء من خلال تأثيرها على العواطف البشرية، فالوردة الجميلة يقوم العالم بدراستها من حيث فصيلتها وموطنها وطريقة زراعتها، ولكن الأديب يتغزل في جمالها ويذهب خياله إلى ما يعانيه مع محبوبته، وقد ينظم قصيدة رائعة أوحت له بها هذه الوردة الجميلة وجعلت بينها وبين قلبه وعاطفته نسباً. كذلك يرى عالم الأحياء المحبوبة كمجموعة من العمليات والأبحاث البيولوجية. بينما يرى الأديب في تلك المحبوبة كل هذا العالم وكل النعيم إذا واصلته، وكل الجحيم إذا صدته وهجرته!!

لذلك، نرى أن ارتباط العاطفة بالأدب، هو الذي يمنح هذا الأدب صفة الخلود، على مر العصور؛ فلا زلنا نعجب ونردد الكثير من قصائد امرؤ القيس والمتنبي وجرير والفرزدق وغيرهم، دون الحاجة إلا إلى التعرف على ما غمض من الألفاظ والمعاني، كما إننا لا نمل من تكرار هذه الأعمال الشعرية الخالدة، بل نحفظها ونشعر بالسرور في كل مرة نقرأها، بينما نجد نقيض ذلك في حالة العلم؛ فالعلوم وحقائقها وقوانينها خالدة، بينما إنتاجها العلمي المكتوب غير خالد، فكتب نظريات الهندسة مثلاً لأقليدس لا يقرؤها إلا من أراد التعرف على تاريخ علم الهندسة، وكذلك الحال بالنسبة لكتب الرياضيات والفيزياء والكيمياء... الخ.

وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن العواطف لم تتقدم بالسرعة نفسها، التى تقدمت بها عقول البشر. فعاطفة الإحسان إلى الفقير متأصلة في نفوس الناس منذ قديم الزمان، وستظل وهى تأخذ أشكالاً متعددة من العطاء بدءاً بمنح الفقير درهماً ومروراً بالإسهام في إنشاء المستشفيات للفقراء وتأسيس الملاجىء لليتامى وكبار السن، بينما العقل تواق دائماً إلى الأفضل في الشكل والمضمون، فهو يخترع الأحدث ويلغي القديم، وخير مثال نلمسه في حياتنا المعاصرة ما حدث ويحدث في مجال الحاسبات والهاتف المحمول وتكنولوجيا المعلومات، التى تتقدم بشكل فاق الكثير من التوقعات، بل إننا على وشك أن نرى الحاسب الذى سيكون من الذكاء بحيث يشاركنا في التفكير واختيار الأفضل!

ولا ننسى أنه من الصعب أحياناً أن نفصل بين العلم المتأدب وبين الأدب المتعلم؛ فهناك، على سبيل المثال، الكثير من كتب التاريخ التى لم تكتف بسرد الوقائع وتحديد زمن وقوعها. بل صاغته بصيغة أدبية رائعة، جعلت له وقعاً خاصاً في نفس من يقرأه وشعوره، لتولد لديه الإعجاب أو الكراهية. كما نجد أعمالا فلسفية صيغت في قالب قصصي، وهناك كيمياء وفيزياء قام بصياغتها أدباء وفنانون فخرجت للعالم موضوعات محببة. شيقة تثير عواطف الجمال وتنتزع الإعجاب كل الإعجاب بما في عالمنا من إبداع وفن وسحر وجمال.

---

* الأمين المسئول لدار الجوف للعلوم، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف .

نظرة في

تنمية فاعلية القراءة لدى الأطفال

> محمد صوانه*

يضطلع الآباء والأمهات بمسؤولية كبيرة تجاه أبنائهم، نحو توجيههم للاعتياد على المطالعة، وتنمية ملكة القراءة لديهم باستمرار منذ سنواتهم الأولى، ولا يتحقق ذلك بكفاءة إلا إذا كان الآباء والأمهات أنفسهم مقتنعين بأهمية المطالعة وممارسين لها بشكل يومي في البيت على مرأى من أطفالهم، بل لعلهم يقومون أحياناً بمشاركة أبنائهم في قراءة بعض النصوص المختارة من كتب مفيدة وملائمة لأعمار أبنائهم، ومناقشة بعض الأفكار والمعاني في هذه الكتب.

فالمطالعة كنز ثمين لمن اعتاد عليها، بل هي معين لا ينضب، يتيح وسائل وأدوات المعرفة لكل من يطلبها بين ثنايا الكتب النفيسة على تنوعها؛ فيحصل على نتاج ما كتبه العظماء من العلماء والمفكرين وكبار الأدباء والكتّاب والباحثين، الذين بذلوا جهوداً كبيرة استغرق بعضها سنوات عديدة، فيجنيها القارئ في عدة أيام أو ساعات، وربما خلال دقائق معدودة، استناداً إلى نوعية المعلومات التي يبحث عنها القارئ. والقارئُ الفَطِن يحرصُ دائماً على أن يُدلي دلوه في هذا المعين المتاح؛ ليتزود في كل يوم بخبراتٍ جديدةٍ، ومعلوماتٍ وعلومٍ لا غنى له عنها في حياته. قال أحدُ العلماء كنا في الصغر نقرأ كل كتاب يقع بين أيدينا لمجرد القراءة، نقرأ ثم نقرأ ثم نقرأ... وقال أحد الأساتذة الجامعيين كنت أقرأ في صباح كل يوم قبل أن أذهب إلى الجامعة سبعين صفحة، لأذهب وقد تزودت بمعلومات وثقافة جديدة (المقصود غير المقررات الجامعية التي يدرسّها لتلاميذه)!

نحن أمة «أقرأ» ومتهمة بأنها لا تقرأ !! وقد يكون ذلك صحيحاً إلى درجة كبيرة، بشكل عام ! سألت طالباً في الجامعة: كم تُقَدِّر عدد الكتب التي قرأتها خارج المناهج الدراسية؟ فأجاب: قرأت في حياتي كتاباً واحداً فقط !! تخيّلوا، كيف يصل طالب إلى مستوى المرحلة الجامعية، ولا يكون للمطالعة نصيب ضمن اهتماماته أو نشاطاته الحياتية! إن ذلك بالتأكيد

نتيجة عدم وجود أدنى اهتمام مبكر لدى أسرته بتعويده على المطالعة منذ الصغر، فضلاً عن دور المدرسة المهم في هذا المجال.

ومن الحكمة أن نستدرك ما فاتنا، ونبدأ منذ الآن بتخصيص جزء من وقتنا - الذي يضيع معظمه هدراً - للمطالعة. وفي الوقت نفسه نبدأ بإكساب أبنائنا عادة القراءة منذ نعومة أظفارهم، ونشجعهم على ذلك ونختار لهم ما يناسبهم من الكتيبات الملائمة لأعمارهم والمفيدة لهم، ونجري مناقشات داخل البيت حول ما يطالعونه من كتب، ويمكن أن نقدم لهم هدايا وجوائز على كل نشاط في هذا المجال. وستجد أنك بعد فترة، ونظراً للحاجة الملّحة لتنمية عادة المطالعة، ستقوم بتأسيس مكتبة صغيرة في البيت، تضم مجموعة متنوعة ومفيدة من الكتب؛ لتكون في متناول جميع أفراد الأسرة؛ فتترسخ مع الأيام هذه العادة الحميدة، ولكن ذلك بحاجة إلى الصبر والمثابرة.









ولا بد لكل أسرة من تعهّد أبنائها، فتحفزهم على المطالعة، باستمرار، دون أن تثقل عليهم، وعلى أن لا يكون ذلك على حساب المقررات والواجبات المدرسية، مع الأخذ بعين الاعتبار الأوقات التي تضيع هدراً في الجلوس أمام التلفاز في مشاهدة برامج ومسلسلات قليلة الفائدة، بل قد تكون غير ملائمة لهم فضلاً عن عدم القدرة على التحكّم بها لكثرة الغث فيها، وصعوبة أن نتوقع محتواها بشكل دقيق قبل مشاهدتها من قبل أطفالنا، فأحياناً تعرض برامج تحتوي مفردات وعناصر رديئة المستوى، أو ذات مضامين غير مرغوبة اجتماعياً داخل الأسر المحافظة.

وتضطلع المدرسة بدور مهم في تنمية توجّه الطلبة نحو المطالعة، وذلك من خلال نشاطات وبرامج متنوعة؛ مثل إجراء مسابقات بين المطالعين، وتخصيص ساعة أسبوعية، أو يوماً في الشهر للمطالعة، داخل المكتبة بإشراف معلم قدير، وتشجيع الطلاب على قراءة كتيب أو جزء معين من كتاب وتلخيصه أمام زملائه في الفصل، وإجراء مناقشة قصيرة حول الموضوع بمشاركة المعلم، ما يركّز ويرسّخ عادة القراءة عند الأطفال منذ سنواتهم الدراسية الاولى التي يتعرفون فيها على الكتاب، ويعتادون على

ممارسة القراءة. ويمكن في هذه المرحلة بسهولة، أن نجعلهم يدركون أن المطالعة ينبغي أن تكون من أهم وسائل المعرفة والتثقيف الذاتي، وأن ننمي فيهم القناعة بضرورة أن تصبح جزءا من نشاطاتهم اليومية.

إن القارئ يحقق ذاته كفاعل لا منفعل، إذ أن له دوراً يؤديه أثناء المطالعة، ولكل قارئ قراءته الخاصة به، وتحليلاته الذهنية أثناءها، ولو طلبنا من عشرة أشخاص قراءة نص واحد لخرج كل منهم بانطباعات ومعاني وتأثيرات متباينة عن الآخرين، بتباين الدور الذي قام به كل منهم أثناء قراءته. فالقراءة عملٌ ينطوي على بذل جهد عقلي يستهلك مقداراً من الطاقة بقدر الجهد المبذول فيها، فيكون التحصيلُ والتأثُّر بقدر الجهد المبذول، وبتأثير وتفاعل مع ما يختزنه العقل الباطن من معلومات سابقة تشكّل إطاراً مرجعياً لكل إنسان.

نصائح مهمة في مسألة المطالعة:

١. إعلم أنك إذا قرأت كتاباً فإنك تكون قد حصلت على خبرات سنوات طويلة لعقل مؤلف الكتاب بجهد قليل؛ فانظر كيف تستثمر تلك الخبرات في حياتك وتنمية معلوماتك ومهاراتك.

٢. إن مطالعة الكتاب تعد رحلة مهمة في المعارف والخبرات توفّر الجهد والمال.

٣. تحديد وقت (ساعة أو أكثر) في اليوم أو في الأسبوع للمطالعة.

٤. حسن اختيار الكتاب، مع الحرص على التنوّع في كل مرة؛ حتى يتمكن القارئ من اكتساب ثقافة في مختلف المعارف والعلوم، إذ لا يخلو كتاب من فائدة. ومن حَرِصَ على تثقيف نفسه بالقراءة، أخذ من كل علم طَرَفاً.

٥. النصيحة الذهبية للقارىء أثناء المطالعة، هي «اقرأ بأعين مفتوحة»، ولا تأخذ كل ما تقرأه كمسلّمات؛ فأحياناً تجد بعض المؤلفين يشتطون ويحيدون عن الصواب وخاصة في الكتب المؤلفة من قبل كتّاب غير متخصصين أو ذوي مصالح شخصية.

٦. استثمار أوقات الفراغ الطارئة، بمطالعة ما ينفع من الكتب.

٧. التنويع في المطالعة لتوسيع دائرة الثقافة العامة.

٨. المناقشة مع أفراد الأسرة في الكتب التي يطالعونها.

٩. اعتماد الكتاب إحدى الهدايا التي يمكن تقديمها للأصدقاء، لما يكتسبه الكتاب من فائدة وديمومة، بدلاً من بعض الهدايا ذات القيمة الأقل.

وخلاصة الأمر أن نتعلم كيف نقرأ وماذا نقرأ ؟ كما ينبغي أن نولي أطفالنا الاهتمام اللازم لكي يعتادوا القراءة منذ نعومة أظفارهم، ونرعاهم باستمرار، للترسخ لديهم ملكة القراءة وحب المطالعة. فضلاً عن تعليمهم كيف يقرأون وماذا يقرأون، فالقراءة صنعة يجب أن نمارسها يوميا وهي شرط أساسي من شروط الكتابة.

* إعلامي □□□.□□□□□□□□□□□□□

أهمية التأسيس للمتحف التعليمي في الوطن العربي

> الدكتور: جميل بن موسى الحميد

يعد المتحف التعليمي في كثير من دول العالم المتطور أحد أهم مصادر التعليم والتثقيف للمواطنين. تقول (Green-Hill ١٩٩٤) أن مهمة المتحف هي إيجاد أفضل الطرق المناسبة والفعالة لتثقيف العامة. ويؤكد (Green ١٩٩٨) أن الأطفال في الفترة العمرية من ٤ إلى ١٢ سنة، ينبغي إشراكهم في برامج تثقيفية تعدها المتاحف المختلفة؛ لما لها من دور كبير في تثقيف هؤلاء الطلبة وتعليمهم، وإكسابهم خبرات ومهارات، تفيدهم في حياتهم الدراسية وبعدها. إن المتحف التعليمي يوفر بيئة علمية مناسبة، من خلال برامج مدروسة تهدف إلى إكساب زواره خبراتٍ علمية عملية، تعتمد على تفاعل الفرد مع برامج المتحف التعليمي بأكثر من حاسة، وهو ما يجعل للتعلم بالمتحف خاصية تمتاز بالمتعة والتشويق، تختلف عن غيرها من البيئات التعليمية الأخرى.

ولا يختلف المتحف التعليمي هنا عن غيره من المتاحف، من حيث سبب الوجود. فهو المكان الذي يحتوي على الأدوات والتحف والمقتنيات الصناعية والطبيعية، التي أنتجها واستعملها الإنسان عبر العصور؛ إضافة إلى أن القائمين على المتاحف التعليمية يحرصون على إيجاد بيئات علمية وعملية تمكّن الزوار، وهم غالباً من الأطفال وطلاب المدارس، من الاحتكاك المباشر مع مختلف الخبرات النظرية منها والعملية؛ فمثلاً تجد البيئات البحرية والبرية والغابات، وكذلك الفضاء والفنون والصناعة والألعاب والخيال العلمي، حيث يتاح للزائر فرصة التعامل والعيش، وتجريب هذه البيئات، لدرجة أن الزائر يمكنه أن يعود بفكره وتأمله إلى الماضي مئات بل آلاف السنين، عندما يتجول بين هياكل الديناصورات، كما هو الحال في متحف كليفلاند بولاية أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث يشاهد الزائر عن قرب الحجم الطبيعي لهذة المخلوقات،

نحتاج إلى أن نؤسس لهذا النوع من المتاحف، والتي أثبتت الدراسات العلمية قيمة هذا النوع من المؤسسات المدنية كأحد مصادر التعلم. تؤكد جرين هيل ١٩٩٤) Green-Hill) أن الأطفال لا بد أن يُعطوا فرصاً للنمو والاكتشاف واكتساب الخبرات، وذلك عن طريق بعض الأنشطة من خلال مصادر غير المدارس الاعتيادية. إن التعلّم داخل أروقة المتحف له مزايا وخصوصيات تختلف عنه في المدارس؛ فهذا النوع من التعلّم ينتج تاثيراً يختلف عن تأثير التعلّم بالمدرسة، وذلك نظراً لطبيعة العلاقة بين الطالب والمكان، وكذلك بينه وبين المرشد وأمين المتحف. ويثير التعليم داخل أروقة المتحف الخيال عند الطالب، كما أنه يقوي ملكة الملاحظة للاشياء من حولة ويثري الذكاء. كما أن التعليم داخل المتحف يشجع على تقدير الثقافات الأخرى، ويساعد على فهمها، وكذلك فهم الحياة الطبيعية والفنون التشكيلية وتقديرهما.

وفي الوقت الحاضر، يرى كثير من العلماء المختصين والمهتمين بالتعليم في المتاحف أن نتيجة التعلّم بالمتحف تأتي مختلفة عنها في المدارس الاعتيادية، وذلك لعدة أسباب منها:

١. أن التعليم بالمتحف يرتكز على الموجودات بالمتحف من أعمال فنية أو تحف ومقتنيات.

٢. توفر هامش كبير من الحرية عند الطالب، لاختيار ما يناسبة من موضوعات، أثناء زيارة المتحف

٣. التعلم بالمتحف طوعي وليس جبرياً.

٤. التعلم بالمتحف غير مرتبط بمنهج متسلسل، ولا يترتب على هذا النوع من التعلم اختبارات.

للأسباب آنفة الذكر، يشجع Gartenhaus







ومواطنها الطبيعية، وأسلوب حياتها، وأسباب انقراضها. كل هذة المعلومات تعرض بطريقة مسلّية ومشوّقة، تجعل للمعلومة أثراً طويلاً في سلوك الزائر، وكذلك في إكسابه خبرة مباشرة، قد لا تتوافر في أي موقف تعليمي آخر.

وفي المملكة العربية السعودية والوطن العربي،



١٩٨٤)) المدرسين على اصطحاب طلابهم إلى المتاحف والأماكن المشابهة لها، المتوافرة في مجتمعاتهم المحلية، حيث يمكنهم التدريس باستخدام الأعمال الفنية والمقتنيات المختلفة، ما يجعل للتعلم معنىً أكبر، وقيمةً أكثر.

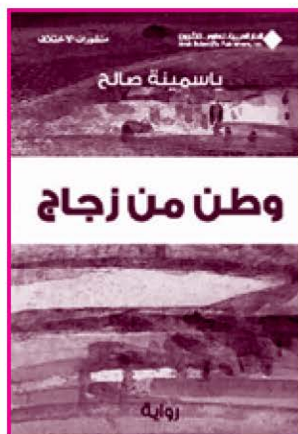
وخلال تجربتي الشخصية في أطروحتي للدكتوراه المعنونة: "الأثر التربوي لزيارة الصفوف المدرسية لمتحف كينيدي للفنون"، خلصت إلى أن هناك مجموعة مهارات وقدرات، اكتسبها الطلاب خلال زياراتهم الميدانية لذلك المتحف: بعضها يتعلق بالمهارات الذهنية والعملية، وبعضها الآخر يتعلق بالجانب النفسي والخبرات الاجتماعية.

ومن نتائج تلك الدراسة، الآتي: تعلم مهارات جديدة، في الكتابة، والتعبير عن الذات، ومهارات في القيادة، والتعرف على بعض الثقافات والحضارات المختلفة، والتعرف بشكل أكبر على منطقتهم، وتعلم سلوكيات جديدة في الأماكن العامة، وتعلم التاريخ وفهمه، وتعلم مهارات في عرض الأعمال الفنية المختلفة، وممارسة بعض الأشغال والأعمال اليدوية، واستخدام العلوم، والشعور بالمتعة والمرح أثناء الزيارات.

ولا يلغي المتحف التعليمي، حسب هذا الطرح، دور المدارس الاعتيادية ولكنه يُعد مكملاً وعاملاً مساعداً على جعل التعليم في المملكة وأكثر فاعلية، إذ يتعرض الطالب خلال زيارة هذه المتاحف إلى خبرات مباشرة مع موجودات المتحف، سواء باللمس أو الشم أو التذوق أو السمع أو الإدراك البصري والذهني، وهذا هو الفرق بين من سمع ومن رأى. فهذه دعوة لنبدأ عصراً تعليمياً جديداً من خلال التأسيس لمتاحف تعليمية في المملكة وفي وطننا العربي.



* رئيس قسم تكنولوجيا التعليم والتربية الفنية بكلية المعلمين بالجوف



روايـة: وطن من زجاج

> حازم إلياس*

المؤلفة: للروائية الجزائرية ياسمينة صالح

النـــاشـــر: الدار العربية للعلوم بيروت.

سنة النشر: ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

عندما قرأت، قبل نحو عامين، روايتها الأولى «بحر الصمت»، فوجئت كثيراً بتلك اللغة الغارقة في الشعر والثورة والإدانة الصريحة، وبذلك النَفَس الأدبي الذي أدخلني، مرة أخرى، عالم الأدب الجزائري الحديث المكتوب باللغة العربية. ياسمينة صالح من جيل الاستقلال، جيل «لا يعرف الاعتذار»، كما تقول على لسان بطلها السابق في رواية بحر الصمت؛ جيل يتيم جداً في وطن ينهار ويتكسر أمام أعين أبنائه، كما تقول على لسان بطلها الثاني في روايتها الجديدة «وطن من زجاج».

ياسمينة صالح لا تعترف بالمقدمات أيضاً، وتعد التاريخ قالباً جاهزاً للتزوير والتشويه، إذ ليس هنالك حقيقة مجردة داخل تاريخ يكتبه أولئك الذين يزيفون الوطن أساساً، ويضحكون على الشعوب ويقتلون أحلامهم بالجملة أو بالتقسيط. والتاريخ الذي يكتبه الشهداء، لا يمكن قراءته خارج الشهادة التي يختارونها. بهذه التلميحات الثورية، وبلغة شاعرية وثائرة، تفتح لنا الأديبة الروائية الجزائرية ياسمينة صالح باب الدخول إلى الأدب الجزائري الراهن، بنص: وطن من زجاج!

لعل القارئ، في المشرق العربي تحديداً التقى عبر الانترنت بنصوص متفرقة للكاتبة الجزائرية ياسمينة صالح، ولا أنكر شخصياً أنني توقفت كثيراً ذات مرة أما نصها، الذي احترت أين أضعه ضمن التصنيف الأدبي، فهو بين الشعر والنثر، وهي التي أسمته «لوحة أدبية»، كي لا تتورط في الدخول إلى معارك أدبية مجانية. ولكن نصها «رسالة اعتذار إلى الرئيس بوش» كان لوحة أدبية مدهشة، يعكس حالة الثورة والصراع الداخلي، بين ما هو كائن وبين ما هو مفروض، إذ إنها صرخة امرأة في واقع سلبي ومستسلم وانهزامي أيضاً.

كان ذلك النص الأدبي نافذة دخولي إلى عوالم ياسمينة صالح الأدبية، قبل أن أقرأ روايتها بحر الصمت، التي سمعت أنها ترجمت إلى اللغتين الفرنسية والاسبانية.

ما يجب التوقف عنده هو أن لياسمينة صالح حضور أدبي ملفت ومدهش، وغير صاخب في الوقت نفسه. هي الأديبة الجزائرية التي تعي أنها تكتب في وطن استثنائي، في انكساراته منذ الاستقلال السياسي إلى

يومنا هذا. وطن يأكل مبدعيه بكل الأشكال ومع ذلك تصر على «لعنة الكتابة»، وتعد أن البقاء داخل الوطن جزءاً من تلك اللعنة، التي تشبه القدر والتي لا يمكن التخلص منها إلا بالموت! لذلك تبدو عناوين ياسمينة صالح مرادفة لكل تلك التناقضات التي تحاول أن تطرحها أمامنا؛ فبحر الصمت كان حالة صراع بين جيلين، جيل الثورة وجيل الاستقلال الجزائري. صراع نكتشف متعته في تفاصيل الرواية، بحيث أننا لا نملك غير الانتباه إلى تلك اللعبة الخطيرة، التي تمارسها أمامنا الأديبة، حين تعلن أن لا مكان لغير الوطن، وأن الوطن سرقوه منا. فهي صورة تعكس الإسقاطات التي تحرق أصابع الكاتبة وأنفاس القارئ معاً، وتصر في كل رواية على نص: «نحن أيتام هذا الزمن الكئيب». إنه النص الذي تكرر في الكثير من النصوص التي كتبتها ياسمينة صالح. بحر الصمت مثلاً صورة جميلة وحزينة لواقع الجزائر بعد الاستقلال، لصراع بين جيلين، جيل الثورة وجيل الاستقلال، وبين حلم وسلطة قمعية، لا تعترف سوى بالقوة والإرهاب السياسي، وديكتاتورية البقاء في السلطة، على جثث البسطاء والفقراء. ولهذا لا أحد ينتصر في النهاية، بل يتحّول المشهد إلى واقع بعينه ضمن خارطة مرادفة للجرح المزمن. هذه التراكيب التراجيدية في عالم الرواية لدى ياسمينة صالح نكتشفها، بشكل مغاير اليوم، في روايتها الجديدة: «وطن من زجاج» الصادرة عن الدار العربية للعلوم ببيروت؛ فالعنوان يبدو مركباً: الوطن والزجاج. ولأن الراهن يميل إلى الاعتقاد أن العنوان واقعي إلى أبعد الحدود، نجد أنفسنا ندخل إلى ذلك الوطن الزجاجي، لنكتشف ملامح جيل آخر، أكثر تعبا وفقداناً للهوية والأمان، جيل تقول عنه ياسمينة صالح إنه جيل المجزرة والقتل اليومي، وسرقة الأحلام، والإهانة الرسمية، التي تمارسها الدولة ضد البسطاء والفقراء. فكيف نطلب من العالم أن يحترمنا حين لا يحترمنا حكامنا، وحين لا يحترمنا جيراننا، وحين لا نحترم أنفسنا أساساً؟! تقولها بلغتها المدهشة. إنها المقاربة الجميلة بين الواقع والموت؛ بين الخير والشر، أمام أعين هذا الجيل الذي تعده السلطة» غاشي» وهو مصطلح يستعمله الجزائريون ليعنون به «قطيع الأغنام» ولأن الضغوطات الداخلية كبيرة، حدث الصدام بين الحياة في قمة عريها من جهة، ومن جهة أخرى، بين الوطن في قضية سياسية معقدة، يثيرها بطل الرواية، وهو صحفي يعايش موت زملائه وأصدقائه وكل أحبابه.

لأول مرة تبدو الرواية بعيدة عن إدانة الإسلاميين، فياسمينة لا تتهم مَنْ يصفون أنفسهم، بالإسلاميين، بل تذهب إلى حد إدانة السلطة نفسها، بأنها تقف وراء ذلك الجحيم لإبادة هذا الشعب تحت تسمية الأرض المحروقة، لأجل ألا يكون ثمة من يطالب بحقوقه، ومن يطلب بالمساواة على أرضه، ولتذهب إيرادات البترول إلى القتلة الرسميين دون أن يحاسبهم أحد! فالإرهابي في منظور الرواية هو السلطة، بكل ما تعنيه الكلمة من مؤسسات هشة، ومن سياسة قمعية وديكتاتورية، تحاسب الفقير على بقائه حياً، وتسعى إلى نشر الموت بين البسطاء!

الرواية تطرح الكثير من الأسئلة، ولكنها ترد على بعضها، وتعد الحرب على الإرهاب حرباً على الفقراء، لأن أسباب الإرهاب تظل قائمة ببقاء الفقر والجهل، والتسيب السياسي الذي أسس إيديولوجية «حاميها حراميها»، كما تقول الروائية.

هذه قراءة أولية لرواية غارقة في الحزن والدموع والرحيل والغياب واليتم، الذي يجمع بين جيلين: جيل الثورة (عمي العربي)، وجيل الاستقلال (النذير). رواية تفوح منها رائحة الوطن المغتال، ونزيف الجرح الجزائري طوال سنوات الموت المجاني. إنها رواية تستحق التوقف أكثر، وتستحق القراءة من جديد؛ لأنها ترسم بأنامل كاتبة جزائرية مرحلة سوداء من مراحل الجزائر الحديثة، ولأنها وهذا هو الأهم تؤكد أن ياسمينة صالح روائية مبدعة، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

---

* طبيب عيون ومثقف سوري مقيم في باريس.

تخطيط المدينة المنورة في العهد النبوي والخلافة الراشدة دراسة حضارية في ضوء المصادر التاريخية



المؤلفة: حصة بنت عبيد بن صويان الشمري

- تلقت تعليمها الابتدائي والمتوسط والثانوي بالجوف.
- أستاذ مساعد في قسم التاريخ والحضارة بكلية التربية للبنات/الأقسام الأدبية-الرياض.

الناشر: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

سنة النشر: ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

يناقش الكتاب الموضوعات المتعلقة بتخطيط المدينة المنورة في العهد النبوي، منذ هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، والبدء ببناء المسجد النبوي، والحجرات الشريفة، وعلاقاتها بالمسجد، وخطط الأنصار، والمهاجرين.

استعرضت المؤلفة نمو المدينة المنورة وتطورها في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ وتناولت بالدراسة مرافق المدينة المنورة العمرانية: كالمنازل، ومساجد الخطط، والطرقات والأزقة، والمرافق العامة بأنواعها المتعددة.

كما استعرضت أثر تخطيط المدينة المنورة على المدن الإسلامية المبكرة، كالبصرة، والكوفة، والفسطاط، والقيروان، وواسط.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى توضيح الأمور، التي واكبت الفترة التالية لهجرة النبي ﷺ إلى المدينة، ومن بينها الآتي:

١- الكشف عن التغيير الجذري، الذي أحدثه النبي ﷺ في تخطيط المدينة المنورة، بعد هجرته إليها.

٢- بيان ابرز ملامح الحجرات الشريفة، وتوضيح علاقتها بالمسجد النبوي.

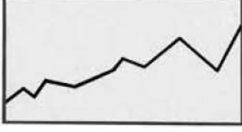
٣- معرفة الطريقة، التي اتبعها النبي ﷺ في تنظيم خطط الأنصار والمهاجرين.

٤- الكشف عن التطور العمراني، الذي حدث للمدينة المنورة خلال عهد الخلفاء الراشدين.

٥- التعرف على أنواع المرافق العمرانية الموجودة في المدينة المنورة، خلال العهد النبوي والخلافة الراشدة.

٦- إبراز أصالة تخطيط المدينة المنورة، ومدى تأثيره على تخطيط المدن الإسلامية الأولى التي نشأت بعدها.

كما ضم الكتاب تعريفات بأهم المصطلحات الواردة فيه، إضافة إلى ملحق للخرائط والرسوم التوضيحية.



اقتصاديات التعليم: استثمار في أمة

المؤلف: الدكتور عبدالواحد بن خالد الحميد.
(عضو هيئة التدريس بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران - سابقا- وكيل وزارة العمل للتخطيط والتطوير حالياً).

الناشر: دار مصر للطباعة.

يُعِدُّ الاقتصاديون الإنفاق على التعليم استثماراً في رأس المال البشري، ويفوق العائد منه العائد من الاستثمار في المشروعات الصناعية والإنتاجية عموماً، إلا إن المشكلة تتمثل في أن العائد من الاستثمار في رأس المال البشري لا يتحقق - في الغالب - إلا في المدى الطويل، الأمر الذي يؤدي، في بعض الأحيان، إلى تأجيل التوسّع في الإنفاق على التعليم بسبب الاحتياجات الاجتماعية الملحّة، التي يصعب على الحكومات تأجيلها.

يؤكد المؤلف أن الاستثمار في الإنسان يختلف عن الاستثمار في الآلات والمعدات؛ فالإنسان ليس آلة، يتم التخلص منها إذا ثبتت أنها غير منتجة أو غير صالحة للاستخدام.

والإنسان ليس محايداً كالآلة ، فهو يملك فكراً ومشاعر، وعندما تُرتكب الأخطاء في الاستثمار التعليمي؛ فإن المدارس والمعاهد والجامعات تُخَرِّجُ بشراً يحملون الشهادات، ولكنهم لن يكونوا قادرين على الإسهام في تنمية مجتمعاتهم، والخسارة هنا لا تقتصر على الأموال التي صرفت على هؤلاء الناس أثناء دراستهم، وإنما تتجاوز ذلك إلى الآثار السلبية التي تنعكس على المجتمع من جراء دخول عناصر غير منتجة إلى ميادين العمل المختلفة .

وقد يؤدي النقص في الموارد المخصصة للتعليم، إلى الإخلال بالشروط الواجب توافرها في العملية التعليمية والتربوية .

وبعكس الاستثمار في الآلات والمعدات، التي يكون عمرها الإنتاجي محدوداً، فإن خريجي المؤسسات التعليمية يستمرون في عملهم مدى العمر؛ فينعكس أداؤهم الضعيف على المجتمع كله، حينما يعجز النظام التعليمي عن تقديم النوعيّة والكميّة، الملائمتين من التعليم للطلبة .



المنقول والمعقول

في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي

المؤلف: د. عارف بن مفضي المسعر.

- مدير عام التعليم بمنطقة الجوف سابقا.

الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

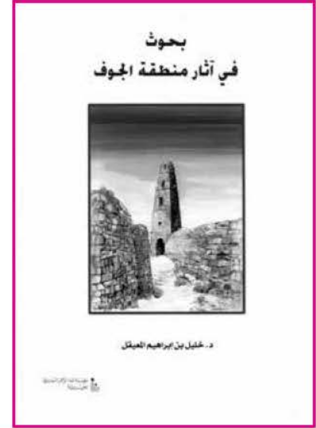
يقول المؤلف في مقدمة كتابه «المنقول والمعقول في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي»: إن الاهتمام بفكر الرازي يأتي بوصفه صاحب مدرسة توفيقية في التفسير، وهو ما يعني الاهتمام بشأن الأمة الإسلامية في حاضرها وبمحاولاتها الجادة للتقدم على طريق الخير، وهو شأن تحتاج معه الأمة الى اجتماع الكلمة ووضوح الرؤية أكثر من أي وقت مضى.

ويرى الباحث أن مشكلة العالم الإسلامي المعاصرة تتمثل في جمعه بين الجانب النقلي الذي يمثل التراث الإسلامي بأصالته وعمقه وقيمته التاريخية والروحية، وبين الاتجاه العقلي المتمثل في التيارات العلمية الثقافية الغربية، حيث تبدو ملامح القضية الحديثة بارزة على شكل حوارات بين الأصالة والمعاصرة، وتلك هي قضية المسلم المعاصر، مؤكداً أن قضايا اليوم في جوهرها شبيهة بعصر الرازي حين هب للم شتات الأفكار المتناقضة.

قسّم الكتاب الذي جاء في ٥٨٩ صفحة الى ثلاثة أبواب رئيسية مقسمة الى عدة فصول لكل باب، تحدث في الباب الأول عن شخصية فخر الدين الرازي وموقعة بين المفسرين متحدثا عن حياته وعصره وكتبه وأثاره، تحدث فيه أيضا عن التفسير في القرن السادس الهجري.

وتحدث في الباب الثاني عن الاتجاه النقلي في تفسير الرازي، وقسمه الى فصول تحدث فيها عن المنقول من الحديث النبوي وكلام الصحابة والتابعين، وعن المنقول من الشعر الجاهلي والأمثال والحكم والمنقول من غير التراث الإسلامي. وفي الباب الثالث تحدث الباحث عن الاتجاه العقلي في تفسير الرازي، وقسمه الى عدة فصول تحدث فيها عن أهمية التأويل وقانونه الكلي، وعن مدى اعتماده على العقل في تفسيره ومنهجه في ذلك، وعن قيمة العقل، وعن حدود العقل، وعن واقعيته وتحفظه، اضافة الى الخاتمة وقائمة بالمراجع والكشافات.

بحوث في آثار منطقة الجوف



المؤلف: الدكتور خليل بن إبراهيم المعيقل.

(عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود).

الناشر: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

يعد البحث في تاريخ الجزيرة العربية وآثارها مجالاً خصباً، وجديداً فهو ما يزال في مراحله الأولى. كما أن معلوماتنا المتوافرة عن التاريخ القديم والإسلامي المبكر، يشوبها كثير من النقص؛ نتيجة قلة اهتمام العرب في عصر ما قبل الإسلام بالتدوين التاريخي، إضافة إلى أن ما ورد في المصادر التاريخية الإسلامية غير دقيق وناقص ويعتمد على مراجع غير عربية؛ لذا فإن كتابة التاريخ القديم للجزيرة العربية لن تتأتى إلا من بوابة الآثار، التي تعد المصدر الوحيد لهذه المرحلة المهمة من تاريخ الجزيرة العربية.

وسوف يضيف البحث في آثار منطقة الجوف معلومات جديدة إلى السجل العام لتاريخ الجزيرة. لقد أسهمت الجوف إسهاماً كبيراً في تاريخ التحضر في الجزيرة العربية، بل إن تاريخ الجوف الذي يمتد لأكثر من مليون وربع المليون عام، والمواقع الأثرية العربية، التي تعود لفترات تاريخية مختلفة تعكس تسلسل التاريخ الحضاري العام في الجزيرة العربية.

يشمل هذا الكتاب خمس دراسات: الأولى تناولت الاستيطان في الجوف منذ أقدم العصور، وتناولت الدراسة الثانية المواقع الأثرية بالجوف، وركّزت على تحديد الفترات التاريخية المختلفة؛ أما الدراسة الثالثة فكانت عن وادي السرحان في ضوء الإكتشافات الأثرية، مع مسح عام للوادي وفتراته التاريخية؛ وعالجت الدراسة الرابعة الآثار الإسلامية بالجوف؛ والدراسة الخامسة جاءت عن مسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل، وهي أول دراسة تنشر باللغة العربية عن المسجد وعمارته وأهميته الأثرية.

قراءة في
الساحة التشكيلية بمنطقة الجوف

> مؤيد منيف*



في نظرة متفحصة على مشهد الساحة التشكيلية بمنطقة الجوف، خلال العشر سنوات الماضية، يأخذنا التساؤل عن الأسباب التي رسمت الهوَة بين تلك الساحة وبين نظيراتها في المناطق الأخرى، وهي وإن كانت امتداداً لواقع الساحة التشكيلية بالمملكة من حيث غياب المتلقي، وقلة وعيه في أهمية هذا الركن من أركان الحالة الثقافية لأي بلد أو منطقة، إلا أن ثمة عوامل من أهمها غياب الداعم الرئيسي، سواء من القطاع الخاص أو غيره لرعاية المعارض والمسابقات والملتقيات التشكيلية، التي كانت تقام برعاية جهات حكومية على هامش فعاليات ثقافية، أو برامج أخرى، أو بجهود ذاتية من الفنانين أنفسهم. إضافة إلى ذلك، قد يكون من الجهات ذات العلاقة كجمعية الثقافة والفنون، مثلاً، دور في عدم تبني تلك الفعاليات، فضلاً عن عدم وجود فرع لها في المنطقة. وعلى الرغم من ذلك إلا أنه ظهرت أسماء لفنانين من المنطقة أسهمت في دفع عجلة تلك الحركة التشكيلية، وكان لها دور ملموس في ذاك الحراك الثقافي الخجول.

وبالوقوف على تجارب هؤلاء الفنانين، نجد أن هناك تنوعاً في الأساليب والمدارس الفنية والقضايا في الأعمال التي طرحت؛ فنجد مثلاً الفنان والكاتب

والقاص عبدالرحمن الدرعان، وبتجريديته الغائبة الحاضرة قدَم أعمالاً ناضجة، بألوانها الصريحة المباشرة والتي كان الإنسان – وبكل أبعاده الإنسانية – هو محورها الأساسي. على الرغم من ابتعاد الفنان عن الساحة التشكيلية منذ حين.

أما الفنان نصير السمارة، فقد تناول في أعماله تراث منطقة الجوف وآثارها، بواقعية بسيطة ورتم بطيء، عكسا تلقائية المكان وجمالياته ومدى إنعكاسه وتأثيره على الفنان.

وإلى المدرسة ذاتها تنتمي أعمال الفنان سلمان الغنام. وبتصويرية رسمت طبيعة الصحراء بالجوف وآثارها، ساعد ذلك اهتمام الفنان بتفاصيل الحالة، لتصل إلى أكبر شريحة ممكنة من الجمهور.

وبموتيفاته ذات الطابع الشرقي، يطل علينا الفنان معجب حواس، حيناً، وبطبيعته الصامتة حيناً آخر، ليسبغ على المكان روح الصمت، عند لقاء تلك اللحظة بأبجديات جميلة.

أما الفنان نواف الربيع فقد قدَم تجربته الفنية بسورياليته المعهودة، وشخوصه، المتواجدة دائماً، في أغلب أعماله، التي شكلت المرأة فيها أهم تلك العناصر، تاركاً المجال أمام المشاهد ليغوص في جدلية تلك الألوان الحارَة، والراسمة لعلامات من الإستفهام!

وعندما نتناول تجربة الفنان جلال الخيرالله؛ فلا بد أن نشير لذلك التنويع في التجربة بين فنه التشكيلي وبين فن الكاريكاتير المثير للجدل، الذي دائماً ما يأخذه من عوالمه التشكيلية، التي يغلب عليها الإطار السوريالي .

وإضافة إلى ذلك، وعلى جانب آخر من الساحة التشكيلية بالمنطقة، برزت أسماء مبدعة في التصوير



الضوئي، ثَبَّتَت نفسها بقوة في هذا المجال، وشكَلت دعامةً أساسية، لا تقل عن غيرها في النهوض بالحركة الثقافية بالمنطقة؛ فالفنان الفوتغرافي عواد فالح، جلب زهوره البرية – في أعماله – وقدَمها للمتلقي؛ فهو دائماً يأخذنا في رحلات استكشافية ماتعة، في صحراء منطقة الجوف يقطف لنا بعضاً من زهور (شقائق النعمان)، ونبات (القيصوم).

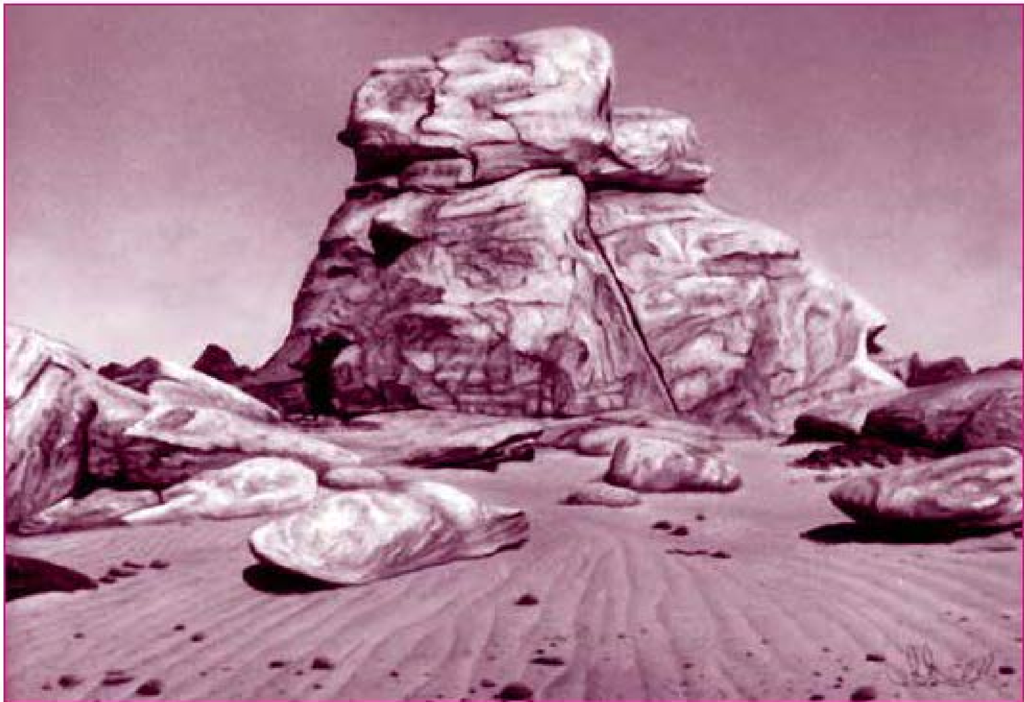
أما الفنان محمد غصاب، فغالباً ما تستوقف عدستُه المبدعة المشاهدَ لأعماله، حينما يوقفنا في لحظة، على معاني إنسانية مكلوبة، ورغيف خبزٍ داخل بيوت قديمه، خرج التاريخ منها، فأعادنا الفنان



إليها.

وترك الفنان أحمد مبرد انطباعات جميلة لدى جمهور اللقطة التصويرية، مستخدماً جميع أدواته البصرية، وحسه الفني على الرغم من حداثة التجربة.

وباستعراض تلك التجارب، يتبقى لنا القول بضرورة زيادة الاحتكاك بتجارب الفنانين، وفتح قنوات الاتصال مع الآخر بشكل أكثر فاعلية، مما هو عليه الآن؛ وذلك من خلال المشاركة في المعارض، والمناسبات الثقافية، والمسابقات الفنية في سواء في داخل المملكة، أو خارجها؛ لتقف على محك التجربة والتقييم، ولزيادة الوعي بالأساليب الأخرى، والإفادة من الأقلام النقدية، بما يعود بالنفع على الحركة التشكيلية والثقافية.



* مؤيد منيف: فنان تشكيلي